تهذيب

البلاغة الواضِحَة

(مع زيادة أمثلة قرآنية وأسئلة تدريبية)

(علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع)

تأليف

علي الجارم ومصطفى أمين

اعتنى به

د. محمد فرمان الندوي

(أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

المكتبة الندوية

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

الطبعة الأولى

ربيع الآخر ١٤٤٤هـ – نوفمبر ٢٠٢٢م

اسم الكتاب	:	تهذيب البلاغة الواضحة (علم البيان، علم المعاني، علم البديع)
اسم المؤلف	:	علي الجارم ومصطفى أمين
اعتنى به	:	محمد فرمان الندوي
عدد الصفحات	:	٢١٦
سعر النسخة	:	-/180
الناشر	:	المكتبة الندوية (الهند)
العنوان	:	ندوة العلماء، لكناؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن القرآن الكريم كان في الواقع محوراً أصيلاً لعلم البلاغة بجميع أنواعها وأبوابها، وعلى أساسه وُضع هذا العلم، ثم أصبح القرآن هو نفسه بلاغة هذا العلم، كما قد عبَّر عن ذلك أحد العلماء الأدباء المعاصرين، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب":

"إن القرآن كان علم البلاغة عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم".

البلاغة فن كبير من الفنون الأدبية يقوم على أساس التذوق والحس بالجمال، يقدر بها الطالب على إدراك ما في الأدب من أساليب تعبيرية تدل على معان جميلة وأفكار سامية، ومفاهيم عالية، إنها وسيلة لتحقيق غاية جليلة وهي تنمية السليقة البيانية في النفس وتكوين الذوق الأدبي الفني الذي يمكن المرء من التمييز بين الكلام الجميل المؤثر والأسلوب البارع الحكيم والكلام الغث الهزيل وأسلوبه الضعيف الركيك.

من هنالك كانت البلاغة فناً أدبياً خالصاً لا يشوبه شيء من الأساليب الفلسفية والعلمية المعقدة، لذلك فإن المتقدمين من علماء البلاغة كأبي هلال العسكري والجاحظ وابن المعتز وابن قتيبة انتهجوا في شرح معنى البلاغة وبيان مفهومها منهج الذوق والفن، وطريقة التحليل والنقد الأدبي، وكان عملهم في مجال البلاغة مقتصراً على الأساليب النقدية والأدبية الخالصة.

فلم تكن البلاغة في الكلام معروفةً كفن مستقل في العهد الأموي بتاتاً،

وإنما كانت الجهود مبذولةً في تحسين الأساليب وتقريب المفاهيم إلى الأذهان بأحسن طريق وأبلغ أسلوب، ولقد كان لأئمة العلم والأدب واللغة اعتناء كبير في هذا المجال، وذلك بتأثير البلاغة المعجزة التي تميز بها كتاب الله تعالى، فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى من علماء البصرة، الذي كان في القرن الثاني الهجري، ألف عدة كتب في هذا الموضوع، منها (إعجاز القرآن) و(معاني القرآن) و(إعراب القرآن) و(طبقات الشعراء) و(المحاضرات والمحاورات) وما إلى ذلك من مؤلفات، وعمرو بن بحر الجاحظ في القرن الثاني والثالث للهجرة في كتابه: البيان والتبيين، أشار إلى هذا الموضوع، ولمح بعض نواحيه، وجعفر بن قدامة ومحمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة والأدب في مؤلفاتهما، وأبو هلال حسن بن عبد الله بن سهيل بن سعيد العسكري في كتابه العظيم المعروف بكتاب الصناعتين، وفي المحاسن في تفسير القرآن.

فهؤلاء الأئمة الأعلام في اللغة والأدب أودعوا في مؤلفاتهم وكتبهم كثيراً من معاني البلاغة والبيان، وتكلموا عن الإعجاز القرآني، ولكنهم لم يوفقوا إلى تدوين علم البلاغة كفن من الفنون الأدبية والكلامية، حتى جاء إمام اللغة والأدب عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني في القرن الخامس للهجرة، وقام بوضع أصول البلاغة وتدوينها كفن مستقلٍ، وألف كتابيه الشهيرين (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) وأثار ضجةً في عالم الأدب والبيان، فقد كان أول من تكلم عن فلسفة البلاغة وما لها من شأن عظيم في فهم الإعجاز القرآني، وهو الذي مهد الطريق إلى التوصل إلى هذا الفن بمباحثه وقواعده، وسهل للقادمين بعده أن يتناولوه بالتبويب والتفصيل، فكان الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي انتهج منهجه وألف في الموضوع كتاباً عظيماً عرف باسم "مفتاح العلوم" أودع فيه قواعد وأبواب هذا العلم بغاية من التفصيل، وتناوله بالشرح والاختصار.

وأول من تكلَّم في علم البديع وأخذه بالترتيب والتنويع فهو أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، فقد

كانت له مكانة عالية في الأدب والشعر، ومن مؤلفاته: (الزهر والرياض) و(البديع) و(الآداب) و(طبقات الشعراء) وغيرها.

ترون أن المدارس الدينية في شبه القارة الهندية تدرس البلاغة، كما تدرس العلوم الأخرى من النحو والصرف، ويركز المدرسون على الاعتناء بقواعد البلاغة ومصطلحاتها وتعريف كل قاعدة ومصطلح وبيان الشواهد لها، فأصبحت البلاغة علماً من العلوم وخالية عن جمال أدبي ومجرداً عن كل إدراك فني، وعكف الطلاب على حفظ متون القواعد والمصطلحات وتعليل أحكامها تعليلاً فلسفياً جافاً لا علاقة له بالتذوق الأدبي والتطبيق العلمي ولا بالشعور بالجمال اللغوي والميزة الفنية.

فكانت الحاجة إلى كتب في البلاغة تشرح مفهومها وتشتمل على نصوص أدبية وألوان فنية وتبين الأساليب التعبيرية الجيدة، وتحلل موضوع البلاغة بدقة وبيان، فيجد فيها الطالب غذاء دسماً لمعنى البلاغة، ويتمتع فيها بمتعة أدبية فنية تذوقية خالصة.

وأمامنا الآن كتاب باسم: البلاغة الواضحة للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين، وهو يستوعب مقدمة، وعلم البيان وعلم المعاني وعلم البديع مع ذكر الأمثلة القرآنية والتمرينات الكثيرة، فاشتغل أخونا العزيز الدكتور محمد فرمان الندوي (أستاذ البلاغة والنقد بجامعة ندوة العلماء، لكناؤ)، خلال تدريسه ببعض الأعمال التحقيقية في داخل الكتاب تيسيرا للطلاب، وهو ناجح في جهده وسعيه، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقه لما يحبه ويرضاه. والله ولي التو فيق.

كتبها

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

١٤٤٣/٨/١٧هـ

٢٠٢٢/٢/٢١م

كلمة عن الكتاب

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْه فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الغُر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد!

فينالُ هذا العلم الشرف الأعلى لكون مادته القرآن الكريم، فما نالت العربية هذا الشرف إلا بشرف مادتها، وهو القرآن الذي جاء بهذا اللسان، فارتقت العربية وعلتْ، فعَنْ عُثْمَانَ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، فلا يمكنُ أن يُوصَل إلى أحكام القرآن الكريم وفهم دقائقه ومعانيه، والوقوف على علوم معانيها وبيانها وبديعها إلا باللغة العربية، وكذلك معرفة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أبلغ البلغاء، فاللغةُ العربية هي علم الآلة.

ذروةُ سنام العربية ولبُّها وتاجُها وجوهرها البلاغةُ، وقد عدَّ ها العلماء علماً قرآنياً، لأن نشأتها أساساً كان في أحضان فهم التنزيل، وإدراك أسباب الإعجاز، ومعرفة طرقه ومسالكه.

يُعتبرُ القرآنُ الكريم (الوحيُ المتلو) هو ذروةُ سنامِ الفصاحةِ، ويلي

---

[1] أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

القرآن في الفصاحة سُنَّةٌ النبي صلى الله عليه وسلم (الوحيُ المعنويُّ)، وكلاهما بلسانٍ عربي مبين، فمنْ أراد تعلُّمَ الوحيين فعليه تعلُّم َالعربية، ثمَّ يلي الوحيين كلامُ العرب، وإدراكهُ أيضاً لا يتمُّ إلا بتعلُّمِ العربية والبلاغة.

وكتاب البلاغة الواضحة غنيٌّ عن التعريف، فقد سارت به الركبان، وهو مقرر في كثير من المدارس والمعاهد والجامعات...

وهذا الكتابُ قد اشتملَ على مقدِّمة، وثلاثةِ أبوابٍ:

علمُ البيان

علمُ المعاني

علمُ البديع

أما مؤلف الكتاب فهما الأستاذان علي الجارم ومصطفى أمين، وهما معروفان في الأوساط العلمية، وكلاهما ينتميان إلى مصر، ولهما كتاب ذائع الصيت أيضا باسم: النحو الواضح في أجزاء عديدة.

هذا، وقد وجدنا نسخة من كتاب البلاغة الواضحة على الإنترنت، بتحقيق الأستاذ علي بن نايف الشحود، فكانت الاستفادة منها خلال التدريس لهذا الكتاب في دار العلوم لندوة العلماء، وقد وفقني الله تعالى لتدريس هذا الكتاب منذ أكثر من عشر سنوات، وتستمر هذه السلسلة، فشعرت خلال هذه العملية بأن أمثلة القرآن والحديث وردت قليلةً في هذا الكتاب، رغم أنها سُلَّم للوصول إلى الكتاب والسنة وفهم بلاغتهما وإدراك تأثير هما، فأدرجتُ في نهاية كل مبحث أمثلة قرآنية مع اعتناء خاص بذكر أسئلة مشتملة على خلاصة البحث. وقد حذفت التمرينات في آخر كل درس، خوفا من الإطالة، لعل هذه الخدمة تكون تيسيرًا لمتعلمي البلاغة العربية ومتذوقيها.

هذا، وقد التمست من سعادة أستاذنا الأديب الناقد، البلاغي الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء) أن يُتحف هذه الطبعة بمقدمة، فتفضل بها مشكورا. جزاه الله تعالى خير الجزاء.

أدعو الله تعالى أن يتقبل مني خدمة هذا الكتاب، ويجعله ذريعةً لفهم أسلوب القرآن الكريم وتذوقه، إنه على كل شيء قدير. وبالإجابة جدير.

كتبها

محمد فرمان الندوي

أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها

بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

١٤٤٣/٨/١٧هـ

٢٠٢٢/٢/٢١م

الفصاحة – البلاغة – الأسلوب

الدرس الأول:

الفصاحة – لغةً واصطلاحًا

تعريفُ الفصاحةِ:

الفصاحةُ: الظهورُ والبيانُ، تَقُولُ: أفْصح الصُّبْحُ إِذا ظَهَر.

تعريفُ الكلامِ الفصيحِ:

والكلامُ الفصيحُ ما كان واضحَ المعنى، سهل اللفظِ، جيِّدَ السَّبك[١].

شروط فصاحة الكلمة:

ولهذا وجبَ أن تكون كلُّ كلمة فيه جاريةً على القياس الصَّرفي[٢]، بينةً في معناها، مفهومةً عَذْبةً سلِسةً.

متى تكون الكلمة فصيحة؟

وإنما تكونُ الكلمة كذلك إذا كانت مألوفَةَ الاستعمال بَين النابهين[٣]

---

[١] جيد السبك: حسن التركيب.

[٢] فقول المتنبي: .

فلا يبرم الأمر الذي هو حالل ولا يُحلَل الأَمر الذي هو يبرم

غير فصيح؛ لأنه اشتمل على كلمتين غير جارتين على القياس الصرفي، وهما حالل، ويحلل، فإن القياس حال ويحل بالإدغام. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - (ج ١/ ص ١٠٨) وصبح الأعشى - (ج ١/ ص ٢٩٦).

[٣] النابه: مُتَيَقِّظٌ، فَطِنٌ، ذكِيٌّ.

من الكتاب والشعراءِ، لأنها لم تَتَداولها ألسِنتُهم، ولم تَجْرِ بها أقلامُهم، إلا لمكانها من الحُسْن باستكمالها جميع ما تقدم مِنْ نُعوت الجوْدة وصِفاتِ الجمال.

والذوقُ السليمُ هو العُمْدَةُ في معرفةِ حُسنِ الكلمات وسَلاسَتِها، وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه؛ لأنَّ الأَلفاظَ أصواتٌ، فالذي يطْرَبُ لصوْت البُلْبل، وينْفِر من أصوات البُوم والغِرْبان، ينْبُو سمعُه عن الكلمة إذا كانت غريبةً مُتَنَافِرَةَ الحروف[1].

ألا ترى أن كلمتَي "الْمُزْنةِ" و"الدِّيمةِ" للسَّحابة الْمُمْطِرة، كلتاهما سَهلَةٌ عذْبَةٌ يسكنُ إليها السمعُ، بخلاف كلمة "البُعَاقِ" التي في معناهما؛ فإنها قبيحةٌ تَصُكُّ الآذانَ. وأمثال ذلك كثير في مُفْردات اللغة تستطيع أَن تُدْركه بذَوْقكَ.

الأسئلة:

١. اكتب معنى الفصاحة لغةً واصطلاحًا.

٢. كيف تعرف أن الكلمة فصيحة؟ اكتب بالمثال.

[1] تنافر الحروف: وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم المكتسب بالنظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم. تاج العروس - (ج ١/ ص: ١٠).

الدرس الثاني:

شروط فصاحة الكلام

(١) **ويشترطُ في فصاحةِ التركيب:** فوْقَ جريان كلماته على القياس الصحيح وسهولتِها ـ أنْ يسلمَ من ضُعفِ التأْليفِ، وهو خروج ُالكلام عن قواعد اللغة المطردة كرجوع الضميرِ على متأخر لفظاً ورتبةً في قول سيدنا حَسانَ[١] رضي الله عنه:

ولو أنَّ مَجدًا أخْلَدَ الدهْر واحِدًا ... مِنَ النَّاسِ أبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ[٢] مُطعِما

فإنَّ الضميرَ في "مَجده" راجع إلى "مُطعِما" وهو متأَخرٌ في اللفظ كما ترى، وفي الرتبة لأَنه مفعول به، فالبيت غير فصيح.

(٢) **ويشترطُ أنْ يسلمَ التركيبُ من تنافر الكلماتِ:** فلا يكونُ اتِّصالُ بعضها ببعضٍ مما يُسبِّب ثِقَلَها على السمع، وصُعوبةَ أدائها باللسان، كقول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفرِ ... وليسَ قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ[٣]

قيلَ: إنَّ هذا البيتَ لا يَتَهيَّأُ لأحدٍ أن يُنْشدَهُ ثلاثَ مرات متوالياتٍ دونَ أن

---

[١] هو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر، قيل: إنه عاش ١٢٠ سنة، ٦٠ في الجاهلية و٦٠ في الإسلام، وتوفى سنة ٥٤هـ. انظر الشعر والشعراء - (ج ١/ص: ٦٠).

[٢] هو مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين، وكان يذب عن النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان أو شرفه سبباً لطول حياته وخلوده في هذه الدنيا، لكان مطعم بن عدى أولى الناس بالخلود، لأَنه حاز من المجد والسؤدد ما لم يحزه غيره.

[٣] البيت من الرجز، ولا يعرف قائله، ولعله مصنوع.

يَتَتَعْتَعَ[١]، لأَنَ اجتماعَ كلماته وقُربَ مخارجِ حروفها، يحدِثان ثِقلاً ظاهرًا، مع أَنَّ كلَّ كلمةٍ منه لو أُخذتْ وحدها كانت غيرَ مُستكْرهةٍ ولا ثقيلةٍ.

(٣) ويجبُ أنْ يسلمَ التركيبُ من التَّعقيد اللفظيِّ: وهو أنْ يكون الكلامُ خَفيَّ الدلالة على المعنى المراد بسبب تأْخيرِ الكلمات أو تقديمِها عن مواطنِها الأصليةِ أو بالفصل بين الكلمات التي يجبُ أن تتجاورَ ويتَّصِلَ بعضُها ببعضٍ، فإذا قلتَ: ما قرأ إلاَّ واحدًا محمدٌ مع كتاباً أَخيه.

كان هذا الكلامُ غيرَ فصيح لضعْفِ تأليفهِ، إذ أصلهُ "ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتاباً واحداً، فقُدِّمتُ الصفةُ على الموصوفِ، وفُصل بين المتلازمين، وهما أداةُ الاستثناء والمستثنى، والمضافُ والمضافُ إليه. ويشبهُ ذلك قول أبي الطَّيب[٢] المتنبي:

أنَّى يكُونُ أبا البَرِيَّةِ آدَمٌ ... وأبُوكَ والثَّقَلانِ أنتَ محَمَّدُ؟[٣]

والوضعُ الصحيحُ أن يقولَ: كيفَ يكونُ آدم أبا البرية، وأبوك محمد، وأنت الثقلان؟ يعنى أنَّه قد جَمعَ ما في الخليقة من الفضل والكمال، فقد فَصَل بين المبتدأ والخبر وهما "أبوك محمد"، وقدَّم الخبر على المبتدأ تقديماً قد يدعو إلى اللَّبس في قوله والثقلان أنت، على أنه بعد التعسف لم يسلمْ كلامُه من سُخفٍ وهَذَر.

---

[١] تتعتع في الكلام: تردد فيه من حصر أوعى.

[٢] أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين الشاعر الطائر الصيت، كان من المطلعين على غريب اللغة، وشعره غاية في الجودة، يمتاز بالحكمة وضرب الأمثال وشرْح أسرار النفوس، ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة سنة ٣٠٣هـ، وتوفى سنة ٣٥٤هـ.

[٣] الثقلان: الإنس والجن، البيت من قصيدة طويلة في مدح شجاع بن محمد الطائي. يقول: كيفُ يكونُ آدم أبا البرية وأبوك محمد وأنت الثقلان أي أنك جميع الإنس والجن يعني أنك تقوم مقامهما بغنائك وفضلك، وهذا كما يروى أن أبا تمام قال لأحمد بن أبي دؤاد لما اعتذر إليه أنت جميع الناس ولا طاقة لي بغض جميع الناس فقال له: ما أحسن هذا المعنى فمن أين أخذته قال من قول أبي نواس، وليس لله بمستنكرٍ، أن يجمع العالم في واحد، وفصل أبو الطيب في هذا البيت بين المبتدأ والخبر بجملة من مبتدأ وخبر.

(٤) **ويجبُ أنْ يسلمَ التركيبُ من التعقيدِ المعنويِّ:** وهو أن يَعمدَ المتكلِّمُ إلى التعبير عن معنًى فيستعمل فيه كلماتٍ في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يُريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأَمر على السامع. مثال ذلك أن كلمة اللسان تُطلَق أحياناً ويُراد بها اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (سورة إبراهيم: ٤)، أي ناطقاً بلغة قومه، وهذا استعمالٌ صحيحٌ فصيحٌ، فإذا استعمل إنسانٌ هذه الكلمة في الجاسوس، وقال: "بثَّ الحاكم ألسنته في المدينة" كان مخطئاً، وكان في كلامه تعقيدٌ معنويٌّ، ومن ذلك قول امرئ القيس في وصْفِ فرَس:

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيفانةً ... كَسا وجْهَهَا سَعفٌ مُنتشر

الخَيْفانةُ في الأصل الجرادةِ، ويريدُ بها هنا الفرس الخفيفة، وهذا لا بأْس به وإن كان تشبيهُ الفرس بالجرادة لا يخلو من ضعفٍ، أمَّا وصفُ هذه الفرس بأنَّ شَعر ناصيتها طويلٌ كَسَعفِ النخل يُغطِّي وجهَها، فغيرُ مقبول؛ لأنَّ المعروف عند العرب أنَّ شعرَ الناصية إذا غَطَّى العينين لم تكنِ الفرسُ كريمةً ولم تكنْ خفيفةً. ومنَ التعقيدِ المعنويِّ قول أبي تمَّام[1]:

جَذَبتُ نَداهُ غدوة السَّبتِ جذْبةً ... فخرَّ صريعاً بين أيدِي القصائد[2]

فإنه ما سكتَ حتى جعل كرمَ ممدوحهِ يَخرُّ صريعاً، وهذا من أقبح الكلامِ.

الأسئلة:

١. وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

اشرح البيت، واذكر موضع الاستشهاد فيه؟

٢. ما هي شروط فصاحة الكلام؟ اكتب بالأمثلة.

---

[1] أبو تمام: هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور. كان واحد عصره في الغوص وراء المعاني وفصاحة الشعر وكثرة المحفوظ، وتوفى بالموصل سنة ٢٣١هـ.

[2] الندى: الجود. وخمر صريعاً: سقط على الأرض.

الدرس الثالث:

البلاغة – لغةً واصطلاحًا

تعريفُ البلاغة:

البلاغةُ لغةً: الوصول والانتهاء، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (المائدة: ٦٧)

وَالبلاغةُ اصطلاحاً: هي تأْديةُ المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحةٍ فصيحة، لها في النفس أَثرٌ خلاَّبٌ، مع ملاءَمة كلِّ كلام للموطن الذي يُقالُ فيه، والأشخاصِ الذين يُخاطَبون.

فليستِ البلاغةُ قبلَ كل شيءٍ إلا فنًّا من الفنون يَعْتمِدُ على صفاء الاستعداد الفِطريِّ ودقة إدراك الجمالِ، وتبَينِ الفروقِ الخفيَّة بين صنوف الأَساليب، وللمرانةِ يدٌ لا تُجحَدُ في تكوين الذوق الفنِّي، وتنشيطِ المواهب الفاتِرة، ولا بدَّ للطالبِ - إلى جانب ذلك - منْ قراءَة طرائف الأَدبِ، والتَّمَلُّؤِ من نَميره الفياض، ونقدِ الآثار الأدبية والموازنة بينها، وأنْ يكونَ له من الثقةِ بنفسه ما يدفعه إلى الحكمِ بحسن ما يراه حسناً وبقبْح ما يَعُدُّه قبيحاً.

وليسَ هناك من فرق بين البليغ والرَّسَّام إلا أنَّ هذا يتناولُ المسموعَ من الكلام، وذلك يُشاكلُ يين المرْئيِّ من الألوان والأَشكالِ، أمَّا في غير ذلك فهما سواء، فالرَّسَّامُ إذا همَّ برسم صورة فكَّر في الألوان الملائمة لها، ثم في تأْليفِ هذه الأَلوان بحيث تخْتَلِبُ الأَبصارَ وتُثير الوجدانَ، والبليغُ إِذا أَراد أَن يُنْشيءَ قصيدةً أَو مقالةً أو خطبةً فكَّر في أَجزائِها، ثم دعا إِليه من الأَلفاظ والأَساليب أَخفَّها على السمع، وأكثرها اتصالاً بموضوعهِ. ثم أَقواها أثرًا في

نفوس سامعيه وأروعَها جمالاً.

عناصر البلاغة:

فعناصرُ البلاغة إذًا لفظٌ ومعنًى وتأليفٌ للألفاظ يَمْنَحُها قُوةً وتأْثيرًا وحُسْناً. ثم دقةٌ في اختيار الكلمات والأَساليب على حسب مواطن الكلامِ ومواقعه وموضوعاته، وحال السامعين والنَّزْعةِ النفسية التي تَتملَّكهم وتُسَيْطِرُ على نفوسهم، فَرُبَّ كلمةٍ حسُنتْ في موطنٍ ثم كانتْ نابيةً مُسْتكْرَهةً في غيره. وقديماً كرِه الأُدباء كلمة "أَيضاً"، وعَدُّوها من أَلفاظ العلماء، فلم تَجر بها أقلامهم في شعر أَو نثر حتى ظَهَرَ بينهم من قال:

رُبَّ ورْقَاءَ هَتُوفٍ في الضُّحا	ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَنَنِ[1]
ذَكَرَتْ إلفاً ودَهْرًا سَالِفاً	فَبَكَتْ حُزناً فَهاجتْ حَزَني[2]
فبكائي رُبما أرَّقها	وبُكاها ربَّما أَرَّقَني[3]
ولَقدْ تَشْكو فَمَا أفْهمُها	ولقدْ أشكو فما تَفهمُني
غيْرَ أنِّي بالجوى أعْرِفُها	وهْي "أيضاً" بالجوَى تعْرفُني[4]

فوَضع أيضاً في مكانٍ لا يَتطلب سواها ولا يَتَقَبَّل غيرها، وكان لها من الرَّوْعة والحُسنِ في نفس الأديب ما يعْجِزُ عنها البيانُ.

ورُبَّ كلامٍ كان في نفسه حسناً خلاَّباً حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقَطَ في غير مسقَطِه، خرج عن حدِّ البلاغةِ، وكان غَرضاً لسهامِ الناقدينَ.

---

[1] الورقاء: الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والهتوف: كثيرة الصياح. والشجو: الهم والحزن. والصدح: رفع الصوت بالغناء، والفنن: الغصن.

[2] الإلف: الأليف.

[3] الأرق: السهر، وأرقها: أسهرها.

[4] الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

ومن أمثلة ذلك قولُ المتنبي لكافور الإخشيدى[١] في أَول قصيدة مدحه بها :

كَفى بِكَ داءً أنْ ترى الموتَ شافيا وحَسْبُ المنايا أَن يَكُنَّ أمانيا[٢]

إذنْ لابدَّ للبليغ أولاً من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه ، وهذه يجب أَن تكون صادقةً ذاتَ قيمةٍ وقوة ، يظهر فيها أَثر الابتكار وسلامةِ النظر ودقة الذوق في تنسيق المعاني وحسن ترتيبها ، فإذا تم له ذلك عَمدَ إلى الأَلفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة ، فأَلف بينها تأْليفاً يكسبها جمالاً وقوّةً، فالبلاغةُ ليست في اللفظ وحدَه ، وليستْ في المعنى وحدَه ، ولكنها أثرٌ لازمٌ لسلامةِ تأْليفِ هذين وحُسْن انسجامِهما.

الأسئلة:

١ـ عَرِّف البلاغةَ لغةً واصطلاحًا.

٢ـ اكتب عناصر البلاغة ، واشرح هذا الموضوع بالأمثلة.

٣. كفى بك داءً أن ترى الموت شافيًا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

اشرح هذا البيت ، واذكر موضع الاستدلال به.

---

[١] كافور الإخشيدي : هو الأمير المشهور صاحب المتنبي ، وكان عبدًا اشتراه الإخشيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ ، فنسب إليه وأعتقه ، فترقى عنده ، وما زالت همته تسمو به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ ، وكان مع شجاعته فطناً ذكياً حسن السياسة ، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٥٧هـ.

[٢] كفى بك : أي كفاك فالباء زائدة ، والمنايا جمع منية وهي الموت ، والأماني : جمع أمنية وهي الشيء الذي تتمناه ؛ يخاطب أبو الطيب نفسه ويقول : كفاك داء رؤيتك الموت شافياً لك ، وكفى المنية أن تكون شيئاً تتمناه.

الدرس الرابع:

الأسلوب وأنواعه

تعريفُ الأسلوب:

هو المعنَى المَصُوغُ في ألفاظ مؤَلَّفة على صورة تكونُ أَقربَ لنَيْل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه.

وأَنواع الأساليب ثلاثة :

(١) الأسلوبُ العلميُّ:

هو أهدأُ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إِلى المنطق السليمِ والفكر المستقيمِ، وأَبعدُها عن الخيال الشِّعريِّ، لأَنه يخاطب العقلَ، ويناجي الفكر، ويَشرَح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموضٍ وخفاءٍ.

وأظهرُ ميزات هذا الأُسلوب الوُضوحُ. ولا بدَّ أن يبدوَ فيه أثرُ القوة والجمالِ، وقوتُه في سطوعِ بيانهِ ورصانةِ حُجَجه، وجَمالُهُ في سهولةِ عباراتهِ، وسلامةِ الذوق في اختيار كلماتهِ، وحُسنِ تقريره المعنى في الأَفهام مِنْ أقربِ وجوه الكلامِ.

فيجبُ أن يُعنَى فيه باختيار الأَلفاظ الواضحةِ الصريحة في معناها، الخالية من الاشتراك، وأن تُؤلّفَ هذه الأَلفاظُ في سهولة وجلاءٍ، حتى تكون ثوباً شَفًّا للمعنَى المقصود، وحتى لا تصْبحَ مثارًا للظنون، ومجالاً للتوجيه والتأْويل. ويحسنُ التنَحِّي عن المجاز ومُحَسِّناتِ البديع في هذا الأُسلوبِ..

(٢) الأسلوبُ الأدبيُّ:

الجمالُ أبرزُ صِفاته، وأظهرُ مُميِّزاته، ومَنشأُ جماله ما فيه من خيالٍ

رائعٍ، وتَصْويرٍ دقيقٍ، وتلمُّسٍ لوجوه الشبهِ البعيدة بين الأشياءَ، وإلباس المعنويِّ ثوبَ المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنويِّ.

فالمتنبي لا يرَى الحُمَّى الراجعةَ ـ كما يراها الأَطباءُ ـ أثراً لجراثيم تَدْخلُ الجسم، فترفعُ حرارته، وتُسببُ رِعْدةً وقُشَعْريرةً. حتى إذا فرغت نوْبَتها تَصبَّبَ الجسم عرَقاً، ولكنه يُصورِّها كما تراها في الأَبيات الآتية:

وزَائِرتــي كــأَنَّ بهــا حيــاءً ... فلِـيْس تَــزُورُ إلاَّ في الظَّــلام[١]

بــذَلتُ لَهــا المَطَــارف والحَشَــايَا ... فَعَافتهــا وباتــتْ في عظــامي[٢]

يضـيقُ الجلـدُ عَـنْ نَفسِـي وعنهـا ... فَتُوسِــعُهُ بــأَنواعِ السَّــقام[٣]

كــأَنَّ الصـبحَ يطْرُدُهـا فتجـرى ... مَــدَامِعُها بأَربعـــة ســجام

أُراقِــبُ وقْتَهــا مِــنْ غَيْــرِ شَــوْقٍ ... مُرَاقَبَــةَ المَشُــوق الْمُسْــتهَام[٤]

ويصْــدُقُ وعْـدُهَا والصِّـدْقُ شـرٌّ ... إذا أَلْقـاكَ في الكُـرَب العِظـام[٥]

أَبِنـتَ الـدَّهْر عِنْـدِي كـلُّ بِنْـتٍ ... فكيف وصَلْتِ أَنتِ مِن الزِّحامِ[٦]

جملةُ القول: أنَّ هذا الأُسلوبَ يجب أنْ يكون جميلاً رائعاً بديعَ

---

[١] الواو واو رب أي رب زائرة لي، يريد بهاء الزائرة الحمى وكانت تأتيه ليلا، يقول: كأنها فتاة ذات حياء؛ فهي تزورني تحت سواد الليل.

[٢] المطارف: جمع مطرف كمكرم وهو رداء من خز، والحشايا: جمع حشية وهي الفراش المحشو، وعافتها: أبتها. يقول هذه الزائرة أي الحمى لا تبيت في الفراش، وإنما تبيت في العظام.

[٣] يقول: جلدي يضيق عن أن يسع أنفاسي ويسعها، فهي تذيب جسمي وتوسع جلدي بما تصيبه به من أنواع السقام.

[٤] يقول: إنه يراقب وقت زيارتها خوفاً لا شوقاً.

[٥] يريد بوعدها وقت زيارتها، ويقول: إنها صادقة الوعد لأنها لا تتخلف عن ميقاتها، وذلك الصدق شر، لأنها تصدق فيما يضر.

[٦] يريد ببنت الدهر الحمى، وبنات الدهر شدائده، يقول للحمى: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامهن من الوصول إلي؟

الخيالِ، ثم واضحاً قويًّا. ويظنُّ الناشئون في صناعة الأَدب أَنه كلما كثر المجازُ، وكثرتِ التشبيهاتُ والأخيلةُ في هذا الأُسلوب زادَ حسنُه، وهذا خطأٌ بيِّنٌ، فإنه لا يذهبُ بجمال هذا الأسلوبِ، أكثر من التكلُّفِ، ولا يُفْسِدُه شرٌّ من تَعمُّدِ الصناعةِ، ونَعْتقدُ أنه لا يُعجبكَ قولُ الشاعر:

فأمطَرَتْ لؤلؤاً من نرْجِسٍ وسقَتْ   ورْداً وعضّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ

هذا من السهلِ عليك أَن تَعْرِفَ أَنَّ الشعرَ والنثرَ الفنيَّ هما مَوْطِنا هذا الأسلوب ففيهما يزْدهِرُ وفيهما يبلغُ قُنَّتَه[1] الفنِّ والجمال.

(٣) الأسلوبُ الخطابيُّ:

هنا تَبْرُزُ قوةُ المعاني والألفاظِ، وقوةُ الحجَّةِ والبرهانِ، وقوةُ العقل الخصيبِ، ومن أظهرِ مميزاتِ هذا الأُسلوب التكرارُ، واستعمالُ المترادفات، وضربُ الأمثال، واختيارُ الكلمات الجزلة ذات الرنين. ومن خيرِ الأَمثلة لهذا الأُسلوب خطبةُ على بن أَبي طالب[2] رضي الله عنه لمَّا أَغار سُفيانُ بنُ عوفٍ الأَسدِي[3] على الأَنبار[4] وقتل عامله عليها:

"هذا أَخُو غامدٍ قد بَلغتْ خيْله الأَنْبار وقَتلَ حَسَّانَ البَكري"[5] وأَزال خَيْلَكمْ عنْ مَسَالِحِها[6] وَقَتل مِنْكم رجالاً صالِحِين. "وقدْ بَلغني أَنَّ الرَّجُل

---

[1] قُنَّة بالضم وهي أعلى الجبل - تاج العروس - (ج ١/ ص: ٣٢) ولسان العرب - (ج ٥/ ص: ١٢١).

[2] على بن أبي طالب: هو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وقد اشتهر ببلاغته وشجاعته، توفي سنة ٤٠ هـ.

[3] سفيان بن عوف الأسدي: هو أحد بني غامد، وهي قبيلة باليمن، وقد بعثه معاوية رضي الله عنه لشن الغارة على أطراف العراق.

[4] الأنبار: بلدة على الشالطئ الشرقي للفرات.

[5] حسان البكري: هو عامل علي رضي الله عنه على الأنبار.

[6] المسالح جمع مسلحة بالفتح: وهي الثغر حيث يخشى طروق العدو.

منهُمْ كان يَدْخُلُ على الْمَرأَةِ الْمُسْلمَةِ والأُخرى المعاهدة[١]، فَيَنْزِعُ حِجْلَهَا[٢]، وقُلْبَهَا[٣]، ورِعاثَها[٤]، ثم انْصَرفُوا وَافِرِين[٥] ما نالَ رجلا منهم كَلمٌ[٦]، ولا أُرِيقَ لهم دَمٌ، فلو أن رجلاً مُسْلماً مات مِنْ بَعْدِ هذَا أَسَفاً، ما كان به ملُوماً، بلْ كان عِنْدي جديرًا.

"فَواعجَباً مِنْ جِدِّ هؤُلاء في بَاطِلِهمْ، وفَشَلِكُمْ عنْ حقِّكُم. فَقُبْحاً لَكمْ حِينَ صِرْتُم غَرَضاً يُرْمَى[٧]، يُغار علَيْكمْ ولا تُغِيرُون، وتُغْزَوْنَ وَلا تغزونَ، ويُعْصى الله وترْضَوْنَ[٨]". فانظر كيف تدرج ابن أبى طالب في إثارة شعور سامعيه حتى وصل إلى القمَّةِ فإنه أخبرهم بغَزْوِ الأَنْبار أولا، ثم بقتل عامله، وأَنَّ ذلك لم يكْفِ سُفْيان بين عوف فأَغْمد سيوفه في نحور كثيرٍ من رجالهم وأَهليهم.

---

[١] المعاهدة: الذمية.

[٢] الحجل: الخلخال.

[٣] القلب بالضم: السوار.

[٤] الرعاث: جمع رعثة، القرط.

[٥] وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

[٦] الكَلم بالفتح: الجرح.

[٧] الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها.

[٨] يشير بالعصيان إلى ما كان يفعله جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين، إن رضا أهل العراق بهذا العصيان فكناية عن قعودهم عن المدافعة، إذ لو غضبوا لهموا إلى القتال. قلت: هذا الخبر في عيون الأخبار - (ج ١/ ص: ٢٢٣) الجملة الثانية والعقد الفريد - (ج ١/ ص: ٤٩٤).

وهذا الوصف للجيش من السلب والنهب غير صحيح بتاتا، فقد كانوا أتقى لله تعالى من أن يفعلوا ذلك، ولذا يجب علينا الانتباه لما يرد في كتب الأدب التي تنقل ما هبَّ ودبَّ، وخاصة على الرعيل الأول، وقد كذب الكثير على بني أمية من قبل خصومهم، خاصة الرافضة. انظر كتاب الدولة الأموية للصلابي.

ثم توجه في الفقرة الثانية إلى مكان الحميَّةِ فيهم، ومثار العزيمة والنخوة من نفسه كل عربي كريم، ألا وهو المرأة، فإنَّ العربَ تبذل أرواحها رخيصةً في الذود عنها، والدفاع عن خِدْرها. فقال: إنهم استباحوا حِماها، وانصرفوا آمِنين.

وفي الفقرة الثالثة أظهر الدَّهَشَ والحَيْرَة من تمسك أعدائه بالباطل ومناصرته، وفشلِ قومه عن الحق وخِذْلانه. ثم بلغ الغيظ منه مبلغه فعيَّرهم بالجُبن والخَوَر.

هذا مثال من أَمثلة الأُسلوب الخطابي نكتفي به في هذه العُجَالة[١].

ونرجو أن نكونَ قد وُفقنا إلى بيان أسرار البلاغةِ في الكلام وأنواع أساليبه، حتى يكونَ الطالبُ خبيرًا بأفانين القول، ومواطنِ استعمالها وشرائط تأْديتها، والله الموفق.

الأسئلة:

١ ـ عرِّف الأسلوب، وما هي أنواعه؟

٢ـ اشرح الأساليب شرحًا وافيًا.

---

[١] قلت: كان عليه أن يأتي بخطبة ثابتة صحيحة ليكون التمثيل صحيحا وهذه خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة:

"أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي ؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي ؛ الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ لاَ يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلاّ ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ وَلاَ تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ اللّهُ "سيرة ابن هشام - (ج٢/ ص: ٦٦١) وإسنادها صحيح.

الباب الأول
علمُ البيان

علمِ البيان: هو معنى واحد يُستطاع أداؤه بأساليبَ عديدة، في صورة رائعةٍ من صور التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقليِّ، أو الكناية.

الدرس الأول
التشبيهُ

(١) أركانهُ:

الأمثلةُ:

قال المَعَرِّيُّ في الْمَديح:

أَنْتَ كالشَّمْسِ في الضِّياءِ وإِن جا ... وَزْتَ كيوانَ فِى عُلُوّ المكان[١]

وقال آخرُ:

أَنْتَ كاللَّيْثِ في الشَّجَاعةِ والإقْدام ... وَالسَّيْفِ في قِراعِ الخُطوب[٢]

وقال آخرُ:

كأَنَّ أَخْلاقَكَ فِي لُطْفِها ... ورقَّةٍ فِيها نَسِيمُ الصَّباحْ

وقال آخرُ:

---

[١] كيوان: زحل، وهو أعلى الكواكب السيارة.

[٢] قراع الخطوب: مصارعة الشدائد والتغلب عليها.

كأنَّما الْماءُ فِي صفاءٍ وَقَدْ جَرى ذائِبُ اللُّجَيْنْ[(١)]

البحث:

في البيت الأَول عَرفَ الشاعِرُ أن مَمْدُوحَه وضِيءُ الوجهِ مُتَلألئُ الطلعة، فأَراد أن يأْتي له بمَثِيل تَقْوَى فيه الصفةُ، وهي الضياء والإشراقُ، فلم يجد أقوى من الشمس، فضاهاه بها، ولبيان المضاهاة أتي بالكاف.

وفي البيت الثاني رأى الشاعر ممدوحه متصفاً بوصفَيْن: هما الشجاعة ومصارعة الشدائد، فَبحَث له عن نَظيرَيْن في كلٍّ منهما إِحدى هاتين الصفتين قويةً، فضاهاه بالأسدِ في الأولى، وبالسيف في الثانية، وبيَّن هذه المضاهاةَ بأَداة هي الكاف.

وفي البيت الثالث وجَدَ الشاعرُ أخلاق صَديقِه دمِثَةً لَطِيفَةً ترتاحُ لها النفسُ، فَعملَ على أنْ يأْتي لها بنظير تَتَجَلَّى فيه هذه الصَّفة وتَقْوَى، فرأَى أنَّ نسيمَ الصباح كذلك فَعَقَدَ المماثلة بينهما، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف كأنَّ.

وفي البيت الرابع عَمِل الشاعِرُ على أَنْ يَجدَ مثيلاً للماء الصافي تَقْوَى فيه صِفَةُ الصفاء، فرأَى أَنَّ الفضة الذائبةَ تَتجلَّى فيها هذه الصفةُ فماثل بينهما، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف كأنَّ.

فأَنتَ ترى في كل بيت من الأبيات الأَربعة أَنَّ شيئاً جُعِلَ مَثِيلَ شيء في صفةٍ مشتركة بينهما، وأَنَّ الذي دلّ على هذه المماثلة أَداةٌ هي الكاف أَو كأَن، وهذا ما يُسَمَّى بالتشبيه، فقد رأَيتَ أَن لا بدَّ له من أَركان أَربعة: الشيء الذي يراد تشبيهه ويسمَّى المشبَّه، والشيءَ الذي يُشَبَّه به ويُسمَّى المشبَّه به، (وهذان يسميان طرفي التشبيه)، والصفةُ المشتركة بين

---

(١) اللُّجين: الفضة.

الطرفين وتسمَّى وجه الشَّبَه، ويجب أَنْ تكون هذه الصفةُ في المشَبَّه به أقوى وأشهَرَ منها في المشبَّه كما رأيت في الأمثلة، ثم أداةُ التشبيه وهي الكاف وكأنَّ ونحوهما[1].

ولا بدَّ في كل تشبيهٍ من وجود الطرفين، وقد يكون المشبَّه محذوفاً للعلم به ولكنه يُقَدَّرُ في الإعراب، وهذا التقدير بمثابةِ وجوده كما إذا سُئِلت "كيفَ على؟ فقلت: كالزهرة، فإن كالزهرة خبر لمتبدأ محذوف، والتقدير: هو الزهرة الزابلة، وقد يحذف وجه الشَّبه، وقدْ تحذف الأداة. كما سَيُبَين لك فيما بعد.

القواعدُ:

(١) التشْبيهُ: بَيانُ أَنَّ شَيْئاً أَوْ أشْياءَ شارَكَتْ غيْرَها في صفةٍ أوْ أَكْثرَ، بأداةٍ هِيَ الكاف أَوْ نَحْوُها ملفوظةً أَوْ ملْحُوظةً.

(٢) أَركانُ التَّشْبيهِ أربْعةٌ، هيَ: الْمُشَبَّهُ، والمشُبَّهُ بهِ، ويُسَمَّيان طَرَفَي التَّشبيهِ، وأَداةُ التَّشْبيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ، وَيَجبُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى وَأَظْهَرَ فِي الْمُشبَّهِ بهِ مِنْهُ فِي الْمُشَبَّهِ.

نَمُوذَجٌ

قال الْمعَريُّ[2]:

رُبَّ لَيْل كأَنَّه الصُّبْحُ في الْحُسـ ... ـن وإنْ كانَ أَسْوَدَ الطَّيْلَسان[3]

وسُهيْلٌ كَوجْنَةِ الْحِبِّ في اللَّوْ ... نِ وقَلْبِ الْمُحِبِّ فِي الخفقان[1]

---

[1] أداة التشبيه إما اسم، نحو شبه ومثل ومماثل وما رادفها، وإما فعل، يشبه ويماثل ويضارع ويحاكي ويشابه، وإما حرف، وهو الكاف وكان.

[2] تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي - (ج ١ / ص: ٨).

[3] الطيلسان: كساء واسع يلبسه الخواص من العلماء، وهو من لباس العجم، جمعه طيالس وطيالسة.

الجواب

المشبه	المشبه به	الأداة	وجه التشبه
الضمير في كأنه العائد على الليل	الصبح	كأن	الحسن
سهيل	وجنة الْحب	الكاف	اللون والاحمرار
سهيل	قلب المحب	الكاف "مقدرة"	الخفقان

الأمثلة القرآنية:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً﴾[سورة النور: ٣٩]

فأعمالهم مشبه، وسراب بقيعة مشبه به، والكاف حرف التشبيه، واللمعان والبرق هما وجه الشبه.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٧-٨].

فضمير "هم" المشبه، وأعجاز نخل خاوية المشبه به، والأداة كأن، وجه الشبه الطول.

الأسئلة:

١ـ عرِّف التشبيه؟

٢ـ اذكر أركان التشبيه؟

٣ـ قُم بتطبيق أركان التشبيه في الجمل الآتية:

أنت كالشمس في الضياء، وأنت كالليث في الشجاعة والإقدام

---

(١) سهيل: كوكب ضوؤه يضرب إلى الحمرة في اهتزاز واضطراب، الوجنة: ما ارتفع من الخد، جزء لحمي موجود على جانبي الخد، الحب: الحبيب. والخفقان: الاضطراب.

الدرس الثاني

أقسامُ التشبيهِ

الأمثلة:

(١) أنا كالماءَ إنْ رَضيتُ صفاءً وإذَا مَا سَخطتُ كُنتُ لهيبا

(٢) سِرْنا في ليلٍ بَهيم[١] كأَنَّهُ البَحْرُ ظَلاماً وإرْهاباً.

(٣) قال ابنُ الرُّوميِّ[٢] في تأْثير غِناءِ مُغَنٍّ:

فَكَأَنَّ لَذَّةَ صَوْتِهِ وَدَبِيبَهَا سِنَةٌ تَمَشَّى فِي مَفاصِلِ نُعَّسِ[٣]

(٤) وقال ابنُ المعتزّ:

وكَأَنَّ الشَمْسَ الْمُنِيرَةَ دِينارٌ جَلَتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَّابِ[٤]

(٥) الجَوَادُ في السرعة بَرْقٌ خاطِفٌ.

(٦) أَنْتَ نجْمٌ في رِفْعةٍ وضِياء تجْتَليكَ[٥] الْعُيُونُ شَرْقاً وغَرْبا

(٧) وقال المتنبي وقدِ اعْتَزَمَ سيفُ الدولةِ سَفَرًا:

أيْنَ أزْمَعْتَ أيُّهذا الهُمامُ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وأنتَ الغَمامُ[١]

---

[١] البهيم: المظلم.

[٢] هو الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، كان إذا أتى بمعنى لا يتركه حتى يستوفيه، وقد توفى سنة ٢٨٣هـ.

[٣] السنة: النعاس.

[٤] جلته: صقلته، والضراب: الذي يطبع النقود.

[٥] تجتليك: تنظر إليك.

(٨) وقال الْمُرَقَّش[٢] :

النَّشْـرُ مسـكٌ والوُجُـوهُ دَنـا نـيرُ وأطـرافُ الأكـفِّ عـنمْ[٣]

البحثُ:

يُشبه الشاعر نفسه في البيت الأَول في حال رضاه بالماء الصافي الهادئ ، وفي حال غضبه بالنار الملتهبة ، فهو محبوبٌ مخوف ، وفي المثال الثاني شُبِّه الليلُ في الظلمة والإِرهاب بالبحر. وإذا تأَمَّلتَ التشبيهين في الشطر الأَول والمثال الثاني رأَيت أَداة التشبيه مذكورةً بكل منهما ، وكلُّ تشبيه تذكر فيه الأَداةُ يسمَّى **مرسلاً**. وإذا نظرتَ إلى التشبيهين مرةً أخرى رأيت أَنَّ وجه الشبه بُيِّنَ وفُصِّلَ فيهما ، وكلُّ تشبيهٍ يُذكر فيه وجهُ الشبه يسمَّى **مفصَّلاً**.

ويصف ابنُ الرومي في المثال الثالث حُسنَ صوت مُغنٍّ وجميلَ إيقاعه ، حتى كأَنَّ لذة صوته تسري في الجسمِ كما تسري أوائل النوم الخفيف فيه ، ولكنه لم يذكر وجهَ الشبه معتمدًا على أنك تستطيع إدراكه بنفسك الارتياح والتلذذ في الحالين. ويشبِّه ابنُ المعتز الشمس عند الشروق بدينار مجلوّ قريب عهده بدار الضرب ، ولم يذكر وجه الشبه أيضاً وهو الاصفرارُ والبريق ، ويسمَّى هذا النوع من التشبيه ، وهو الذي لم يذكرْ فيه وجهُ الشبه ، تشبيهاً **مجملاً**.

وفي المثالين الخامس والسادس شُبِّه الجوادُ بالبرق في السرعة ، والممدوحُ بالنجم في الرفعة والضياء من غير أَن تذكر أداةُ التشبيه في كلا التشبيهين ، وذلك لتأكيدِ الادعاء بأَنَّ المشبَّه عينُ المشبَّه به ، وهذا النوعُ يسمَّى تشبيهاً **مؤكدًا**.

وفي المثال السابع يسأَلُ المتنبي ممدوحه في تظاهر بالذعر والهلَع قائلاً : أين تقصد؟ وكيف ترحل عنا؟ ونحن لا نعيشُ إلا بك ، لأَنك كالغمام الذي

---

[١] أزمعت : وطدت عزمك ، والربا : الأراضي العالية.

[٢] منتهى الطلب من أشعار العرب - (ج ١/ ص : ١٣٣).

[٣] النشر : الراحة الطيبة ، والغم : شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان الخضوب.

يحيي الأَرض بعد موتها ، ونحن كالنَّبتِ الذي لا حياة له بغير الغمامِ.

وفي البيت الأخير يشبِّه المرقش النشر ، وَهو طِيبُ رائحةِ منْ يصف ، بالمسك ، والوجوه بالدنانير ، والأنامل المخضوبة بالعنم ، وإذا تأَملت هذه التشبيهاتِ رأيت أنها من نوع التشبيه المؤكَّد ، ولكنها جمعت إلى حذف الأداة حذفَ وجه الشَّبه. وذلك لأَنَّ المتكلم عمد إلى المبالغة والإغراق في ادِّعاء أنَّ المشبَّه هو المشبَّه به نفْسُه. لذلك أَهملَ الأَداة التي تدلُّ على أَنَّ المشبَّه أَضعفُ في وجه الشبه من المشبَّه به ، وأَهملَ ذكرَ وجه الشبه الذي ينمُ عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفاتٍ دون غيرها. ويسمَّى هذا النوع بالتشبيه. البليغ ، وهو مظهرٌ من مظاهر البلاغة وميدان فسيحٌ لتسابق المجيدين من الشعراء والكُتاب.

القواعدُ:

(٣) التشبيهُ الْمُرْسَلُ ما ذُكِرَتْ فِيه الأداةُ.

(٤) التشبيهُ الْمُؤَكَّد ما حُذِفتْ منهُ الأَداة.

(٥) التشبيهُ الْمُجْمل ما حُذِف منه وجهُ الشبهِ.

(٦) التشبيهُ الْمُفَصَّلُ ما ذُكِرَ فيه وجهُ الشبهِ.

(٧) التشبيه البليغُ ما حُذِفت منهُ الأَداةُ ووَجهُ الشبه

نموذجٌ:

(١) قال المتنبي في مدح كافور:

إذا نِلْتُ مِنكَ الوُدّ فالمَالُ هَيّنٌ ... وَكُلُّ الذي فَوْقَ التّرَابِ تُرَابُ

(٢) وصفَ أعرابيٌّ رجلاً فقال: كأَنَّه النهار الزاهر والقمرُ الباهر الذي لا يخفى على كل ناظر.

(٣) زرنا حديقةً كأنها الفِرْدوْسُ في الجمال والبهاء.

(٤) العالِمُ سِراجُ أُمَّته في الهداية وَتبديدِ الظلاَم.

الإجابةُ

المشبَّه	المشبَّه به	نوع التشبيه	السبب
كل الذي فوق التراب	تراب	بليغ	حذفت الأداة ووجه الشبه
مدلول الضمير في كأنه	النهار الزاهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
مدلول الضمير في كأنه	القمر الباهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
الضمير في كأنه العائد على الحديقة	الفردوس	مرسل مفصل	ذكرت الأداة ووجه الشبه
العالم	سراج	مؤكد مفصل	حذفت الأداة وذكر وجه الشبه

الأمثلة القرآنية:

(١) التشبيه المرسل:

قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (الصافات: ٤٨ـ ٤٩) أي كأنهن بيض مكنون / ذكرت الأداة. وهي حرف كأنّ.

(٢) التشبيه المؤكد:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[سورة يونس: ١١]. أي كاستعجالهم بالخير، حذفت الأداة.

(٣) التشبيه المجمل:

قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت: ٣٤) (٤) أي في الصداقة والحب، حذف هنا وجه الشبه.

التشبيه المفصل:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (سورة البقرة: ١٤٦)، أي كما يعرفون أبناءهم، وهو وجه الشبه، وقد ذكر هنا، فسمّي بالتشبيه المفصل.

(٥) التشبيه البليغ:

قال الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة: : ١٨)، حذف هنا وجه الشبه وأداة التشبيه.

الأسئلة:

١ـ عرِّف التشبيه المرسل، واذكر مثاله من القرآن والشعر؟

٢ـ اشرح البيت الآتي، واذكر فيه نوع التشبيه.

النشر مسك، والوجوه دنانير، وأطراف الأكف عنم

٣ - اذكر نوع التشبيه في البيت الآتي:

إذا نِلْتُ مِنكَ الوُدّ فالمَالُ هَيّنٌ وَكُلُّ الذي فَوْقَ التّرَابِ تُرَابُ

الدرس الثالث

تشبيهُ التمثيل

أمثلة التشبيه غير التمثيل:

قال البُحْتُريُّ:

هُوَ بَحْرُ السّماحِ، والجُودِ، فازْدَدْ ... مِنْهُ قُرْباً، تَزْدَدْ من الفَقْرِ بُعْدا[١]

وقال امْرُؤُ الْقَيْس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ... علـيَّ بـأنواع الهُمومِ ليبتَلي[٢]

أمثلة تشبيه التمثيل:

وقال أبو فراس[٣] الحمداني:

والمـاءُ يفصلُ بـينَ زهـ ... رِ الروضِ، فِي الشَّطَّينِ، فَصْلا[٤]

كَبِسَاطِ وَشْيٍ، جَرَّدَتْ ... أيْدِي القُيُونِ عَلَيْهِ نَصْلاَ[٥]

وقال المتنبي في سَيْفِ الدولة[٦]:

---

[١] السماح: الجود.

[٢] أرخي: أرسل وأسبل، والسدول: جمع سدل وهو الحجاب والستر، ويبتلي: من الابتلاء وهو الاختبار.

[٣] هو أبو فراس الحمداني، كان فريد عصره في الأدب والكرم والشجاعة، وكان شعره جيدًا سهلا. قال الصاحب بن عباد: بديّ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وكان المتنبي يشهد له ويخشاه، ومات قتيلا سنة ٣٥٧هـ.

[٤] الشط: جانب النهر.

[٥] الوشي: نوع من الثياب المنقوشة، وجرد السيف: سله، والقيون: جمع قين وهو صانع الأسلحة، والنصل: حديدة ا لسيف أو السهم أو الرمح أو السكين.

[٦] الواضح في مشكلات شعر المتنبي - (ج ١/ ص:١٧) شبه وهو في قلب الجيش والجيش

يَهُـزُّ الجَـيشُ حَوْلَـكَ جانِبَيْـهِ كمَا نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ[1]

وقال السَّريُّ الرَّفَّاءُ:

وكـأنَّ الهـلالَ نـونُ لُجَـينٍ غرِقَـتْ فِي صـحيفةٍ زَرقـاءِ

البحثُ:

يُشَبِّهُ البحتري ممدوحَه بالبحر في الجود والسماح، وينصح للناس أن يقتربوا منه ليبتعدوا من الفقر، ويشبه امرؤ القيس الليل في ظلامه وهوْله بموج البحر، وأنَّ هذا الليل أرخَى حُجُبَهُ عليه مصحوبةً بالهموم والأحزان ليختبر صبْرَهُ وقوة احتماله. وإذا تأملت وجْه الشبه في كل واحد من هذين التشبيهين رأيتَ أنه صفةٌ أو صفاتٌ اشتركتْ بين شيئين ليس غيرُ، هي هنا اشتراك الممدوح والبحر في صفة الجودِ، واشتراكُ الليل وموجِ البحرِ في صفتين: هما الظلمةُ والروعةُ. ويسمَّى وجه الشبه إذا كان كذلك مفردًا، وكونه مفردًا لا يمنع من تعدد الصفات المشتركة، ويسمَّى التشبيهُ الذي يكون وجه الشَّبه فيه كذلك تشبيهاً غير تمثيل.

اُنظر بعد ذلك إلى التشبيهاتِ التالية:

يشبِّهُ أَبو فِراس حال ماء الجدول، وهو يجري بين روضتين على شاطئيه حلَّاهما الزَّهْر ببدائع ألوانه مُنْبَثًّا بين الخُضرة الناضرة، بحال سيفٍ لَمَّاعٍ لا يزال في بريقِ جدَّته، وقد جرّدَه القُيُونُ على بساطٍ من حريرٍ مُطَرَّز. فأينَ وجهُ الشبهِ؟ أتظنُّ أَنَّ الشاعر يريد أنْ يَعْقِدَ تشبيهين: الأَولُ تشبيهُ الجدول بالسيفِ، والثاني تشبيهُ الروضة بالبِساط الْمُوَشّى؟ لا، إنّه لم يرد ذلك، إنما يريد أَنْ يشبّه صورةً رآها بصورة تخيلها، يريدُ أنْ يشبِّه حال الجدول وهو بين الرياض بحالِ السيف فوق البساط الموشَّى، فوجهُ الشبه هنا صورةٌ لا مفردٌ،

حوله يضطرب للسير بعقابٍ تهز جناحيها.

[1] العقاب: طائر كاسر معروف بالعز والمنعة، ويضرب به المثل في ذلك فيقال: "أمنع من عقاب الجو" وهو خفيف الجناح سريع الطير.

وهذه الصورةُ مأخوذةٌ أو مُنْتَزَعَةٌ من أشياء عدَّة، والصورة المشتركةُ بين الطرفين هي وجود بياضٍ مستطيلٍ حوله اخضرار فيه ألوان مختلفةٌ.

ويشبِّه المتنبي صورةَ جانبي الجيش: مَيْمَنَتِه ومَيْسَرَتِه، سيفُ الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطرابٍ.. بصورةِ عُقَابٍ تَنفُض جَناحَيْها وتحرِّكُهما، ووجهُ الشَّبه هنا ليس مفردًا، ولكنه مُنْتَزَعٌ من متعددٍ وهو وجودُ جانبين لشيءٍ في حال حركةٍ وتَمَوُّج.

وفي البيت الأَخير يشبِّهُ السَّريُّ حال الهلال أبيضَ لَّماعاً مقوّساً وهو في السماءِ الزرقاء، بحال نونٍ من فضةٍ غارقةٍ في صحيفةٍ زرقاءَ، فوجهُ الشبه هنا صورةٌ منتزعةٌ منْ متعددٍ، وهو وجود شيءٍ أبيضَ مقوَّسٍ في شيءٍ أَزرقَ. فهذه التشبيهاتُ الثلاثةُ التي مرت بك والتي رأيتَ أنَّ وجهَ الشَّبهِ فيها صورةٌ مكوَّنةٌ من أشياءَ عِدَّةٍ يسمَّى كلُّ تشبيهٍ فيها تمثيلاً.

القاعدة

(٨) يُسمَّى التشبيهُ تمثيلاً إذا كان وجهُ الشَّبه فيهِ صورةً مُنْتَزَعَةً منْ متعددٍ، وغيْرَ تَمْثِيل إِذَا لم يَكُنْ وجْهُ الشَّبَهِ كذلك.

نَمُوذَجٌ

قال ابن المعتز:

قَدِ انقَضَتْ دولةُ الصيام وقَدْ ... بَشَّرَ سُقْمُ الهلالِ بالعيدِ

يَتلُو الثريا كفَاغِرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنْقُودِ[1]

وقال المتنبي في الرثاء[2]:

[1] الثريا: نجوم مجتمعة تشبه العنقود، وفغر فاه: فتحه.

[2] شرح ديوان المتنبي - (ج ١/ ص: ٢٠٦) يقول: مثل الموت وإبطاله الأرواح كالسارق الذي لا يمكن الاحتراس منه لدقة شخصه كذلك الموت لا يدرى كيف يأتي وكيف يبطل الأرواح ويسرقها من الأجساد.

وما المَوْتُ إلاّ سارِقٌ دَقّ شَخْصُهُ ... يَصولُ بلا كَفٍّ ويَسعَى بلا رِجْلِ [(١)]

وقال الشاعر:

وَتَراهُ فِي ظُلَمِ الوَغَى، فتَخالُهُ ... قَمَرٌ يَكُرُّ علَى الرّجالِ بكَوْكَبِ

الإجابةُ:

الرقم	المشبه	المشبه به	الوجه	نوع التشبيه
١	صورة الهلال والثريا أمامه	صورة شره فاتح فاه لأكل عنقود من العنب	صورة شيء مقوس يتبع شيئاً آخر مكوناً من أجزاء صغيرة بيضاء	تمثيل
٢	الموت	اللص الخفي الأعضاء	الخفاء وعدم الظهور	غير تمثيل
٣	صورةُ الممدوح وبيده سيفٌ لامع يشق به ظلامَ الغبار	صورة قمر يشقُّ ظلمةَ الفضاء ويتصلُ به كوكب مضيءٌ	ظهور شيء مضيء يلوح بشيء متلألئ في وسط الظلام	تمثيل

الأمثلة القرآنية:

التشبيه التمثيل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧].

شبه المنافق بالمستوقد للنار، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وشبه عدم

---

(١) يقول: الموت أشبه بلص دقيق الشخص خفي الأعضاء يسعى إلينا من غير أن نشعر به، ويسطو من حيث لا ندري، فلا سبيل لنا إلى الاحتراس منه.

استفادته من هذه النار بانطفاء النار، فكان وجه الشبه مجموعةً أخذت من أشياء مختلفة.

التشبيه غير التمثيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [سورة البقرة: ٧٤].

شبهت القلوب بالحجارة أو بالحديد في الصلابة والشدة، فوجه الشبه ليس هنا صورة أو مجموعةً، بل مفردًا.

الأسئلة:

(١) ما هو التشبيه التمثيل؟ اذكر مثاله.

(٢) اشرح هذا البيت، واذكر نوع التشبيه فيه

وما الموت إلاّ سارق دقَّ شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

الدرس الرابع

التشبيهُ الضمنيُّ

الأَمثلةُ:

قال أَبو تمّام:

لاَ تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيم مِنَ الْغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمكَانِ الْعَالِي

وقال ابن الرومي:

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عجيباً ... أَنْ يُرَى النَّورُ في الْقَضِيبِ الرَّطيبِ

وقال أَبو الطيبِ:

مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عليهِ ... ما لجرْحٍ بميتٍ إيلامُ

البحثُ:

قد يَنْحو الكاتبُ أو الشاعر منْحًى منَ البلاغة يوحي فيه بالتشبيه منْ غير أنْ يُصرِّحَ به في صورةٍ من صورهِ المعروفة، يفعلُ ذلك نُزوعاً إلى الابتكار، وإقامةً للدليل على الحكم الذي أَسندهُ إلى المشبَّه، ورغبةً في إخفاءِ التشبيه، لأَنَّ التشبيه كلما دقَّ وخَفيَ كان أبلغَ وأفعلَ في النفس.

اُنظر بيت أبي تمام فإنه يقول لمنْ يخاطبها: لا تستنكري خلوَّ الرجل الكريم منَ الغنى فإنَّ ذلك ليس عجيباً، لأَن قِمَمَ الجبال وهي أشرفُ الأَماكن وأعلاها لا يستقرُّ فيها ماءُ السيلِ، ألم تلمح هنا تشبيهاً؟ ألم تر أنه يشبِّهُ ضِمْناً الرجلَ الكريمَ المحرومَ الغِنى بِقمّة الجبل وقد خلت منْ ماء السيل؟ ولكنه لم يضَعْ ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلةٍ، وضمَّنها هذا

المعنى في صورة برهان.

ويقول ابن الروميِّ: إنَّ الشابَّ قد يشيبُ ولم تتقدمْ به السنُّ، وإنَّ ذلك ليس بعجيبٍ، فإنَّ الغصنَ الغضَّ الرطب قد يظهرُ فيه الزهر الأَبيضُ. فابنُ الرومي هنا لم يأْت بتشبيهٍ صريح فإنه لم يقل: إنَّ الفتى وقد وَخَطَهُ الشيبُ كالغصنِ الرطيب حين إزهاره، ولكنه أتى بذلك ضمنًا.

ويقول أبو الطيب: إنَّ الذي اعتادَ الهوانَ يسهلُ عليه تحمُّلهُ ولا يتألم له، وليس هذا الادعاءُ باطلاً؛ لأَنَّ الميتَ إذا جُرحَ لا يتأَلمُ، وفي ذلك تلميحٌ بالتشبيه في غير صراحةٍ.

ففي الأبياتِ الثلاثة تجِدُ أركانَ التشبيهِ وتَلْمحُهُ، ولكنك لا تجدُه في صورةٍ من صوره التي عرفتها، وهذا يسمَّى بالتشبيهِ الضمنيِّ.

القاعدةُ

(٩) **التشبيهُ الضِّمنيُّ**: تشبيهٌ لا يُوضعُ فيه الْمُشَبَّهُ والمشبَّهُ بهِ في صورةٍ من صُورِ التشبيهِ المعروفةِ، بَلْ يُلْمَحان فِي التركِيبِ. وهذا النوع يُؤْتَى به لِيُفيدَ أنَّ الحُكم الذي أُسْنِدَ إِلَى المشَبَّهِ مُمكنٌ.

نمُوذَجٌ

وَأَصْبَحَ شِعْرِيْ مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ ... وفي عنُقِ الحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ العِقْدُ

وقال:

كَرَمٌ تَبَيَّنَ في كَلامِكَ مَاثِلاً ... ويَبِينُ عِتْقُ الخيلِ مِنْ أَصْوَاتِهَا

قال المتنبِّي:

١	حالُ الشِّعر يثني به على الكريم فيزداد الشِّعرُ جمالاً لحسنِ موضعه	حالُ العِقد الثمين يزدادُ بهاءً في عنق الحسناءَ	زيادةُ جمالِ الشيء لجمال موضعه	ضمنيٌّ

٢	حالُ الكلام وأنه ينمُّ عنْ كرم أصل قائله	حالُ الصهيل الذي يدلُّ على كرم الفرس	دلالةُ شيءٍ على شيء	ضمنيٌّ

الأمثلة القرآنية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠]. أي لايدخلون الجنة في أي حال من الأحوال، كما لايمكن دخول الجمل في فم الخيط، فليس التشبيه هنا واضحاً، بل هو ممزوج ومتداخل في المثال.

الأسئلة:

(١) عرِّف التشبيه الضمني واذكر مثاله

(٢) اشرح البيت التالي باللغة العربية:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى

فالسيل حرب للمكان العالي

الدرس الخامس

أغراضُ التشبيه

الأمثلةُ:

(١)قال البحتريُّ:

دانٍ على أيْدي العُفَاةِ، وَشَاسعٌ عَنْ كُلّ نِدٍّ في العلا، وَضَرِيبِ

كالبَدْرِ أفرَطَ في العُلُوّ، وَضَوْءُهُ للعُصْبَةِ السّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

(٢) يقول النَّابغة الذُّبْيانيُّ[1] يمدح النعمان بن المنذر:

فإنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهنَّ كَوْكَبُ

(٣) قال المتنبي في وصف أسد:

ما قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إلاّ ظُنّتَا تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَريقِ حُلُولا[2]

(٤) وقال تعالى﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ، وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

(٥) وقال أبو الحسن الأنباريّ[3] في مصلوبٍ:

---

[1] شاعر من شعراء الجاهلية، وسمي النابغة لنبوغه في الشعر، شهد له عبد الملك بن مروان بأنه أشعر العرب وكان خاصاً بالنعمان ومن ندمائه، وكانت تنصب له قبة حمراء بسوق عكاظ فيأتي إليه الشعراء ينشدونه أشعارهم فيحكم فيها، وقد مات قبيل البعثة.

[2] الدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والفريق: الجماعة، وحلولا: أي مقيمين وهو حال من الفريق.

[3] هو أبو الحسن الأنباري أحد الشعراء المجيدين عاش في بغداد، وتوفى سنة ٣٢٨هـ، وقد

مَـدَدْتَ يَـدَيْكَ نَحْـوَهُمُ احتِفـاءً كَمَــدّهِماَ إِلَــيْهِمْ بالهبــاتِ[1]

(٦) وقال أعرابي في ذم امرأته:

وتَفْتَحُ – لا كانتْ – فَماً لَو رَأَيْتَهُ توَهَّمْتَـهُ بابـاً مِـنَ النَّـار يُفْـتَحُ

البحثُ:

وصف البحتريُّ ممدوحَه في البيت الأول بأنه قريبٌ للمحتاجين، بعيدُ المنزلة، بينه وبين نُظَرَائهِ في الكرم بَوْنٌ شاسعٌ. ولكنَّ البحتري حينما أَحسَّ أَنه وصف ممدوحَه بوصفين متضادينِ: هما القُربُ والبُعدُ، أَرادَ أَنْ يبينَ لك أَنَّ ذلك ممكنٌ، وأنْ ليس في الأمر تناقضٌ؛ فشبَّه ممدوحَه بالبدرِ الذي هو بعيدٌ في السماء، ولكنَّ ضوءَه قريبٌ جدًّا للسائرين بالليل، وهذا أَحدُ أَغراض التشبيه وهو **بيان إمكانِ المشبَّه**.

والنَّابغة يُشبِّهُ ممدوحَه بالشمس ويشبِّه غيره من الملوك بالكواكبِ، لأَنَّ سطوةَ الممدوح تَغُضُّ من سطوةِ كل ملكٍ كما تخفِي الشمسُ الكواكبَ، فهو يريد أَنْ يبين حالَ الممدوح وحالَ غيره من الملوك، **وبيانُ الحال** منْ أَغراض التشبيه أَيضاً.

وبيتُ المتنبي يصفُ عيْني الأَسدِ في الظلام بشدةِ الاحمرار والتوقدِ، حتى إِنَّ من يراهما من بُعْدٍ يظنهما ناراً لقومٍ حُلول مقيمين، فلو لم يعْمدِ المتنبي إلى التشبيه لقال: إِنَّ عَيْنَي الأَسدِ محمرتانِ، ولكنه اضْطُرَّ إلى التشبيه لِيُبَيِّنَ **مقدارَ هذا الاحمرار وعِظَمه**، وهذا منْ أغراض التشبيه أيضاً.

أَمَّا الآيةُ الكريمة فإنها تتحدث في شأن مَنْ يعْبدونَ الأوثان، وأنهم إذا دعوا آلهتَهم لا يستجيبون لهم، ولا يرجعُ إليهم هذا الدعاءُ بفائدةٍ، وقدْ أَرادَ

اشتهر بمرثيته التي رثي بها أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة قتل وصلب، وهو من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب، حتى إن عضد الدولة الذي أمر بصلبه تمني لو كان هو المصلوب وقيلت به.

[1] الاحتفاء: المبالغة في الإكرام، والهبات: جمع هبة والمقصود بها العطية.

الله جل شأنه أنْ يُقرِّر هذه الحال ويُثَبِّتها في الأذهانِ، فشبَّهَ هؤلاءِ الوثنيين بمَن يبسُط كفيهِ إلى الماء ليشربَ فلا يصلُ الماءُ إلى فمه بالبداهة؛ لأنه يَخْرُجُ من خلالِ أصابعه ما دامت كفاهُ مبسوطتينِ، فالغرضُ منْ هذا **التشبيه تقريرُ حال المشبَّهِ**، ويأْتي هذا الغرضُ حينما يكون المشبَّهُ أمرًا معنويًّا؛ لأَنَّ النفسَ لا تجزم بالمعنوياتِ جزمَها بالحسيَّات، فهي في حاجةٍ إلى الإقناع.

وبيتُ أبي الحسن الأنباري من قصيدةٍ نالتْ شهرةً في الأدب العربي لا لشيءٍ إلا أنها حسّنتْ ما أجمعَ الناسُ على قُبحه والاشمئزازَ منه "وهو الصَّلْبُ"، فهو يشبّهُ مدَّ ذراعي المصلوبِ على الخشبة، والناسُ حولَه بمدِّ ذراعيهِ بالعطاءِ للسائلينَ أيام حياتهِ، والغرضُ من هذا التشبيه **التزيينُ**، وأكثر ما يكون هذا النوعُ في المديحِ والرثاء والفخر ووصفِ ما تميلُ إليه النفوسُ.

والأعرابيُّ في البيت الأخيرِ يتحدَّثُ عن امرأته في سُخط وألمٍ، حتى إنه ليدعو عليها بالحرمانِ منَ الوجود فيقول: "لا كانتْ"، ويشبِّهُ فمها حينما تفتحُه ببابٍ من أبوابِ جهنَّم، والغرضُ من هذا التشبيه **التقبيحُ**، وأكثرُ ما يكونُ في الهجاءِ ووصفِ ما تنفِرُ منه النفسُ.

القاعدةُ

(١٠) **أَغْرَاضُ التشبيهِ كثيرةٌ**[١] منها ما يأْتي:

(أ) بيانُ إِمْكانِ المشبَّه: وذلك حِينَ يُسْنَدُ إِليْهِ أمْر مُسْتغْرَبٌ لا تزول غرابتُه إلا بذكر شبيهٍ له.

(ب) بيانُ حالِهِ: وذلك حينما يكونُ المشبَّهُ غيرَ معروف الصفةِ قَبْلَ التشبيه، فَيُفيدُهُ التشبيهُ الوصفَ.

(جـ) بيانُ مقدار حالِهِ: وذلك إذا كان المشبَّهُ معروفَ الصفةِ قَبْلَ التشبيهِ

---

[١] الأغراض المذكورة في القاعدة ترجع جميعها كما ترى إلى المشبه، وهذا هو الغالب، وقد ترجع إلى المشبه به، وذلك في التشبيه المقلوب، وسيأتي.

مَعْرِفَةً إجْماليَّةً، وكان التشبيه يُبَيِّنُ مقدارَ هذه الصفةِ.

(د) تَقْريـرُ حالِـهِ: كمـا إذا كـانَ مـا أُسْنِدَ إلى المشـبَّه يحتـاج إلى التثبيـت والإيضاح بالمثال.

(هـ) تَزْيينُ الْمُشَبَّهِ أو تَقْبيحُهُ

نموذجٌ

(١) قال ابن الرومي في مدح إسماعيل بن بُلْبُل:

وكم أَبٍ قَدْ علا بابْنٍ ذُرَا شَـرفٍ ... كَمَـا عـلا برسـولِ اللّه عَـدْنَانُ

(٢) وقال أبو الطَّيب في المديح[1]:

أرَى كُـلَّ ذي مُلْـكٍ إليـكَ مَصيـرُهُ ... كـأنّـكَ بَحْـرٌ وَالْمُلُـوكُ جَـداوِلُ

الإجابةُ

الرقم	المشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
١	علو الأب بالابن	علو عدنان بالرسول	ارتفاع شأن الأول بالآخر	إمكان المشبه
٢	الضمير في كأنك	بحر	العظم	بيان حال المشبه
٣	الملوك	جداول	الاستمداد من شيء أعظم	بيان حال المشبه

الأمثلة القرآنية:

بيان إمكان المشبه: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].أسند فيها إلى

---

[1] شرح ديوان المتنبي - (ج ١/ ص: ٢٧٠) يعني أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك، وقليلك كثير بالإضافة إليهم.

عيسى أمر غريب، فذكر مثال آدم عليه السلام، فعلم منه أن خلق عيسى ليس بأمر غريب، هذا هو بيان إمكان المشبه.

بيان حال المشبه: قال الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [سورة الواقعة: ٢٢ـ ٢٣]. شبه "حور عين "باللؤلؤ في البياض، ووصف بالمكنون، وهو بيان حال المشبه.

بيان حال مقدار المشبه: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٢٧].فكان مثل الورد الأحمر، ومثل الجلد الأحمر، وذلك من شدة الهول، ومن خوف ذلك اليوم العظيم، فيه مقدار الاحمرار من السماء وعظمها.

تقرير حال المشبه: قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [سورة العنكبوت: ٤١]..أراد الله تعالى أن يقرِّر حال الأوثان، وشبه هؤلاء الوثنيين بمن يبسط كفيه إلى الماء لشرب الماء، الغرض هنا: تقريرحال المشبه.

تزيين المشبه: قال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [سورة الطور: ٢٤] شبه غلمان باللؤلؤ في البياض والحسن والصفاء، والغرض هنا التزيين.

تقبيح المشبه: قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة: ٥٩] شبه الله اليهود بالحمار الذي يحمل الكتب، والغرض التقبيح.

الأسئلة:

(١) اشرح البيت الآتي مع الإشارة إلى غرض التشبيه

مددت يديك نحوهم احتفاءً كمدِّهما إليهم الهبات

(٢) ما هي أغراض التشبيه؟ اذكر اثنين منها بالأمثلة.

الدرس السادس

التشبيهُ المقلوبُ

الأمثلةُ:

قال محمد بن وُهيْب الحِمْيَريُّ[١] :

وبَـدا الصـباحُ كـأن غُرَّتـهُ ... وَجـهُ الخليفـة حـينَ يُمْتَـدحُ

وقال البحتريُّ :

كـأن سَـنَاها بالعَشِـيِّ لصـبُحها ... تبَسُّمُ عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ

وقال حافظ إبراهيم :

أحِـنُّ لهـم ودُونَهُـمُ فَـلاةٌ ... كـأنَّ فَسِيحَها صَـدرُ الحلَـيمِ

البحثُ:

يقول الحِمْيَري : إنَّ تباشير الصباح تشبه في التلألؤ وجهَ الخليفة عند سماعه المديح ، فأنت ترى هنا أنَّ هذا التشبيه خرج عما كان مستقرًّا في نفسك منْ أنَّ الشيءَ يُشَبَّه دائماً بما هو أَقوَى منه في وجه الشبهِ، إذِ المألوفُ أَنْ يقال : إنَّ الخليفة يشبه الصباحَ ، ولكنه عكس وقلب للمبالغة والإغراق بادعاءِ أَنَّ وجهَ الشبه أَقوَى في المشبَّه ، وهذا التشبيهُ مظهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع.

ويشبه البحترى برق السحابة الذي استمر لماعاً طوال الليل يتبسم

---

[١] هو متشيع من شعراء الدولة العباسية بصري الأصل بغدادي النشأة، اتصل بالمأمون ومدحه ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات.

ممدوحه حينما يَعِدُ بالعطاء، ولا شك أَن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام، فكان المعهود أن يشبه الابتسام بالبرق كما هي عادة الشعراء، ولكن البحتري قلَّب التشبيه[١].

وفي المثال الثالث شُبِّهت الفلاة بصدر الحليم في الاتساع، وهذا أيضاً تشبيه مقلوب.

القاعدةُ:

(١١) التشبيهُ المقلوبُ هو جعل المشبَّهِ مشبَّهاً به بادِّعاءِ أَنَّ وجه الشبه فيه أَقوَى وأَظهرُ.

نمُوذجٌ

(١) كأَنَّ النسيم في الرقة أَخلاقُه. . . .

(٢) وكأَنَّ الماءَ في الصفاء طباعُه.

(٣) وكأَنَّ ضوءَ النهار جبينُه. . . .

(٤) وكأَنَّ نشرَ الروض حسنُ سيرته.

---

[١] يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل، وسماه تشبيه التفضيل، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ثم يعدل من التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به، ومثل له بقول الشاعر:

حسبت جماله بدراً مضيئاً ... وأين البدر من ذاك الجمال

ومنه قول المتنبي في سيف الدولة:

ولما تلقاك السحاب بصوبه ... تلقاه أعلى منه كعباً وأكرم

وقول الشاعر:

من قاس جدواك يوماً ... بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطي وتبكي ... وأنت تعطي وتضحك

الإجابةُ

الرقم	المشبَّه	المشبَّه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
١	النسيم	أَخلاقه	الرقة	مقلوب
٢	الماء	طباعه	الصفاء	مقلوب
٣	ضوء النهار	جبينه	الإِشراق	مقلوب
٤	نشر الروض	حسن سيرته	جميل الأَثر	مقلوب

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]. في هذا المثال تشبيه مقلوب، وهو جعل المشبه مكان المشبه به، فكان الأصل: إنما الربا مثل البيع.

(٢) قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القلم: ٣٥]. وفي هذا المثال تشبيه مقلوب، جعل المشبه مكان المشبه به، فكان الأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين.

الأسئلة:

(١) ما هو التشبيه المقلوب؟ واذكر مثاله.

(٢) اشرح الأمثلة الآتية باللغة العربية.

١ - كأن النسيم في الرقة أخلاقه.

٢ - كأن الماء في الصفاء طباعه.

٣ -كأن ضوء النهار جبينه.

الدرس السابع

بلاغةُ التشبيهِ

تنْشأُ بلاغةُ التشبيه منْ أنه ينتقل بكَ منَ الشيء نفسِه إلى شيءٍ طريفٍ يشبهه، أو صورةٍ بارعة تمثِّله. وكلما كان هذا الانتقالُ بعيدًا قليلَ الخطورة بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثيرٍ من الخيال، كان التشبيهُ أروعَ للنفس وأدعَى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ: فلانٌ يُشبه فلاناً في الطول، أو إنَّ الأرضَ تشبهُ الكرة في الشكل، أو أَنَّ الجُزرَ البريطانية تشبهُ بلادَ اليابان، لم يكنْ لهذه التشبيهاتِ أثرٌ للبلاغةِ؛ لظهورِ المشابهةِ وعدم احتياج العثور عليها إلى براعةٍ وجهْدٍ أدبيٍّ، ولخلوها منَ الخيال.

وهذا الضربُ منَ التشبيه يُقصَدُ به البيانُ والإيضاح وتقريبُ الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يُستعمل في العلوم والفنون.

ولكنكَ تأخذكَ رَوْعةُ التشبيه حينما تسمعُ قول المعري يَصِف نجماً:

يُسرِعُ اللّمحَ في احمرارٍ كما تُسرِعُ ... في اللّمحِ مُقلةُ الغَضبانِ

فإنَّ تشبيهَ لمحات النجم وتألقِه مع احمرارِ ضوئه بسرعةِ لمحةِ الغضبان من التشبيهاتِ النادرة التي لا تنقادُ إلا لأَديب. ومنْ ذلك قولُ الشاعر:

وكأنَ النُّجُومَ بينَ دُجاها ... سُننٌ لاحَ بينهُنَّ ابتداعُ

فإنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالةُ النجوم في رُقْعةِ

الليل بحال السُّننِ الدينية الصحيحة متفرقةً بين البدعِ الباطلةِ. ولهذا التشبيه روْعةٌ أخرى جاءَت منْ أَنَّ الشاعر تخيّل أنَّ السنن مضيئةٌ لَّماعةٌ ، وأَنَّ البدعَ مظلمةٌ قاتمةٌ.

ومنِ أبدع التشبيهاتِ قولُ المتنبي :

بَليتُ بِلى الأطْلالِ إنْ لم أقِفْ بها وُقوفَ شَحيحٍ ضاعَ في التُّرْبِ خاتمُهْ

يدعو على نفسه بالبِلى والفناءِ إذا هو لم يقفْ بالأَطلال ليذكرَ عهد مَن كانوا بها ، ثم أَراد أَنْ يصوِّرَ لك هيئةَ وقوفه فقال : كما يقفُ شحيحٌ فقد خاتمُهُ في التراب ، مَنْ كان يُوفَّقُ إلى تصوير حال الذاهلِ المتحير المحزون المطرقِ برأسه المنتقل منْ مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة بحال شحيحٍ فقد في التراب خاتمًا ثميناً؟ ولو أردنا أن نورد لك أمثلة منْ هذا النوع لطالَ الكلامُ.

هذه هي بلاغةُ التشبيه من حيث مبلَغ طرافته وبُعد مرماهُ ومقدار ما فيه من خيالٍ ، أمَّا بلاغته من حيثُ الصورةُ الكلاميةُ التي يوضع فيها أيضًا. فأقلُّ التشبيهات مرتبةً في البلاغة ما ذكرتْ أركانُه جميعُها. لأنَّ بلاغةَ التشبيه مبنيَّةٌ على ادعاءِ أَنَّ المشبّه عين المشبَّه به ، ووجودُ الأداة ووجهِ الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء ، فإذا حذفتِ الأَداةُ وحدها ، أو وجهُ الشبه وحده ، ارتفعت درجةُ التشبيه في البلاغة قليلاً ، لأَنَّ حذف أحد هذين يقوي ادعاءَ اتحاد المشبَّه والمشبَّه به بعض التقوية. أمَّا أبلغ أنواع التشبيهِ فالتشبيهُ البليغُ ، لأنه مبنيٌّ على ادِّعاء أنَّ المشبَّه والمشبَّه به شيءٌ واحدٌ.

الدرس الثامن

وبعضُ ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثين [١]

هذا ـ قد جرى العربُ والمُحدَثون على تشبيه الجوادِ بالبحر والمطر، والشجاعِ بالأَسد، والوجه الحسن بالشمس والقمر، والشَّهمِ الماضي في الأُمور بالسيف، والعالي المنزلة بالنَّجم، والحليم الرزين بالجبلِ، والأَمانيِّ الكاذبة بالأحلامِ، والوجه الصبيح بالدينار، والشَعر الفاحم بالليل، والماء الصافي باللُجَيْنِ، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والخَيْل بالريح والبرْق، والنجوم بالدرر والأَزهار، والأَسنان بالبَرْدِ واللؤلؤ، والسفُنِ بالجبال، والجداولِ بالحيات الملتوية، والشّيْبِ بالنهار ولْمع السيوف، وغُرَّةِ الفرس بالهلال. ويشبهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابةِ، واللئيم بالثعلب، والطائشَ بالفَراش، والذليلَ بالوتدِ. والقاسي بالحديد والصخر، والبليدَ بالحِمار، والبخِيل بالأرض المُجْدِبَة.

وقد اشتهر رجالٌ من العرب بِخلال محمودةٍ فصاروا فيها أعلاماً فجرَى التشبيهُ بهم. فيشبه الوفيُّ بالسَّموْءَل[٢]، والكريم بحاتم، والعادل بعُمر[٣]،

---

[١] المحدث في اللغة: المتأخر، والمراد به هنا من جاء بعد عهد العرب الذين يحتج بكلامهم في اللغة.

[٢] هو السموءل بن حيان اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية توفى سنة ٦٢ ق هـ.

[٣] هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام والأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه.

والحليم بالأحْنَف، والفصيح بسحْبان، والخطيب بقُسٍّ[١]، والشجاع بعمْرو بن مَعْديكرب، والحكيمُ بلقمان[٢]، والذكيُّ بإياس.

واشتهر آخرون بصفاتٍ ذميمة فجرَى التشبيهُ بهم أَيضاً، فيشبه العِيِيُّ بباقِل[٣]، والأحمقُ بهبَنَّقَةَ[٤]، والنادمُ بالكُسعِيّ[٥]، والبخيل بمارد[٦]، والهجَّاءُ بالحُطيّئة[٧]، والقاسي بالحجاج[٨].

الأسئلة:

(١) من هم الذين اشتهروا بخلال محمودة ومذمومة؟ اذكر عدداً منهم.

(٢) ما هي الصفات المشهورة للتشبيه لدى العرب والمحدثين؟ اذكر خمسةً منها.

---

[١] هو ابن ساعدة الإيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

[٢] حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أي ا لإصابة في القول والعمل.

[٣] رجل اشتهر بالعى، اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه فمدَّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال، فضرب به المثل في العى.

[٤] هو لقب أبي الودعاء يزيد بن ثروان القيسي، ويضرب به المثل في الحمق.

[٥] هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ، فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم، فندم على كسر قوسه، وعض على إبهامه فقطعها.

[٦] لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.

[٧] شاعر مخضرم كان هجاء مراً، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه، وله ديوان شعر، وتوفى ٣٠هـ.

[٨] هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملا على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها. توفى بمدينة واسط سنة ٩٦هـ.

الدرس التاسع
الحقيقةُ والمجاز
المجاز اللغويُّ

الأمثلةُ:

قال ابنُ العَمِيد[(١)] في الغزل:

قَامَــتْ تُظَلِّلُنِــي مِــنَ الشَّــمْسِ ... نَفْــسٌ أَعَــزُّ عَلَــيَّ مِــنْ نَفْسِــي

قَامَــتْ تُظَلِّلُنِــي ومِــنْ عجَــبٍ ... شَــمْسٌ تُظَلِّلُنِــي مِــنَ الشَّــمْسِ

وقال البحتريُّ يَصِف مبارزةَ الفَتْح بن خاقان لأسد:

فلَمْ أرَ ضِرْغَامَيْنِ أصْدَقَ منكُمَا ... عِرَاكاً إذا الهَيَّابَةُ النّكسُ كَذّبَا[(٢)]

هِزَبْرٌ مَشَى يَبغي هِزَبْراً، وأغلَبٌ ... منَ القَوْمِ يَغشَى بَاسلَ الوَجهِ أغلَبَا[(٣)]

وقال المتنبي وقد سقط مطرٌ على سيف الدولة:

لِعَيْني كُلَّ يَومٍ مِنْكَ حَظٌّ ... تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أمْرٍ عُجَابِ[(٤)]

---

(١) هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد، نبغ في الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم، وقد برز في الكتابة على أهل زمانه حتى قيل: "بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد" توفى سنة ٣٦٠هـ.

(٢) الضرغام: الأسد، الهيابة: الجبان، والنكس: الضعيف.

(٣) الهِزَبْرُ جمعه هَزَابِرُ: الأسدُ الكاسرُ، والأغلب: الأسد أيضاً، الباسل: الشجاع.

(٤) تحير: أصلها تتحير حذف منها إحدى التاءين.يقول: كل يوم ترى عيني منك شيئًا عجيبا تتحير منه.

حِمَالـةُ ذَا الحُسَـام عِلـى حُسـامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ على سَحَابِ[1]

وقال البحتريُّ:

إذا العَينُ رَاحتْ وَهيَ عَينٌ على الجَوَى فَلَـيْسَ بسِـرٍّ مـا تُسِـرُّ الأضَـالِعُ

البحثُ:

انظـر إلى الشـطر الأَخـير في البيـتين الأولـين، تجـد أنَّ كلمـةَ الشـمسِ استعملت في معنيين: أحدُهما المعنى الحقيقي للشمس التي تعرفها، وهي التي تظهر في المشرق صبحاً وتختفي عند الغروب مساءً، والثاني إنسانٌ وضَّاءُ الوجه يشبه الشمسَ في التلأْلؤ، وهذا المعنى غير حقيقي، وإذا تأملتَ رأيتَ أنَّ هناك صِلَةً وعلاقةً بين المعنى الأصليِّ للشمس والمعنى العارضِ الذي اسْتُعْمِلَتْ فيه. وهذه العلاقة هي المشابهةُ، لأَنَّ الشخص الوضيءَ الوجه يُشْبِه الشمس في الإِشراق، ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتَفْهَم منْ "شمس تظللني" المعنى الحقيقي للشمس، لأَنَّ الشمس الحقيقية لا تُظَلِّل، فكلمة تظللني إذًا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، ولهذا تسمَّى قرينةً دالةً على أَنَّ المعنى المقصودَ هو المعنى الجديدُ العارضُ.

وإذا تأَملت البيت الثاني للبحتريِّ رأَيت أنَّ كلمة "هِزَبْرًا" الثانية يراد بها الأَسد الحقيقي، وأنَّ كلمة "هزبر" الأُولى يراد بها الممدوحُ الشجاعُ، وهذا معنى غير حقيقي، ورأيت أنَّ العلاقة بين المعنى الحقيقي للأسد والمعنى العارض هي المشابهةُ في الشجاعة، وأنَّ القرينةَ المانعةَ من إرادة المعنى الحقيقي للأَسد هي أنَّ الحال المفهومةَ من سياق الكلام تدلُّ على أنَّ المقصود المعنى العارض، ومثل ذلك يقال في "أغْلب من القَوْم" و"باسِل الوَجْه أغْلبا" فإن الثانية تدلُّ على المعنى الأصلي للأسد، والأولى تدل على المعنى

---

[1] الحمالة التي يحمل بها السيف، وهي المحمل أيضا، يقول: سيف حمل سيفا، وسحاب يمطر على سحاب، هذا هو العجاب.

العارض وهو الرجلُ الشجاع، والعلاقة المشابهةُ، والقرينةُ المانعة من إرادة المعنى الأَصلي هنا لفظيةٌ وهي من القوم.

تستطيعُ بعد هذا البيان أنْ تدرك في البيت الثاني للمتنبي أنَّ كلمة حسام الثانية استعملتْ في غير معناها الحقيقي لعلاقة المشابهة في تَحمُّل الأَخطار. والقرينةُ تُفهم منَ المقام فهي حالِيةٌ، ومثل ذلك كلمة "سحاب" الأَخيرة فإِنها استعملتْ لتدلَّ على سيف الدولة لعلاقة المشابهةِ بينه وبين السحابِ في الكرم، والقرينةُ حالِيَّةٌ أيضاً.

أَمَّا بيتُ البحتري فمعناه أنَّ عين الإنسان إِذا أصبحت بسبب بكائها جاسوساً على ما في النفس من وجْدٍ وحُزْن. فإِنَّ ما تَنْطَوِي عليه النفسُ منهما لا يكون سرًّا مكتوماً؛ فأَنت ترى أنَّ كلمة "العين" الأولى استعملت في معناها الحقيقي، وأنَّ كلمة "عين" الثانية استعملت في الجاسوسِ وهو غير معناها الأصلي، ولكنْ لأَنَّ العين جزءٌ من الجاسوس وبها يَعْملُ، أطلقَها وأراد الكلَّ شأنَ العرب في إِطلاق الجزء وإِرادة الكلِّ، وأَنت ترَى أنَّ العلاقة بين العين والجاسوس ليست المشابهةَ، وإنما هي الجزئيةُ، والقرينةُ "على الجوى" فهي لفظيَّةٌ.

ويتَّضحُ منْ كل ما ذكرنا أنَّ الكلماتِ: شمسٌ، وهِزَبْرٌ، وأغْلبُ، وحُسامٌ، وسحابٌ، وعينٌ، استُعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقةٍ وارتباطٍ بين المعنى الحقيقي والمعنى العارضِ، وتسمَّى كلُّ كلمة من هذه مجازاً لغويًّا.

القاعدةُ

(١٢) **المَجَازُ اللّغَويُّ**: هُوَ اللفظُ المُسْتعْمَلُ في غير ما وُضِعَ لَه لِعَلاقة مع قَرينةٍ مانِعةٍ مِنْ إِرادَةِ المعْنَى الحقيقي. والعَلاقةُ بَيْنَ المَعْنَى الحقيقي والمعنى المجازيِّ قدْ تكونُ المُشَابَهةَ، وقد تكونُ غيرَها، والقَرِينَةُ قد تكونُ لفظيةً، وقد تكونُ حَالِيَّةً.

نَمُوذَجٌ

قال أبو الطيب حين مرض بالحمَّى بمصر:

فإنْ أمرَضْ فما مرِضَ اصْطِباري وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتزَامي

وقال حينما أنْذر السحابُ بالمطر وكان مع ممدوحه:

تَعَرّضَ لي السّحابُ وقد قَفَلْنا فقلُتُ إليكَ إنّ مَعيَ السّحابَا[(١)]

وقال آخر[(٢)]:

بلادي وإنْ جارتْ علَى عزيزةٌ وقومي وإنْ ضَنُّوا عليَّ كِرامُ

الإجابةُ

	المجاز	السبب	العلاقة	توضيح العلاقة	القرينة
١	مرض حم	لأن الاصطبار لا يمرض لأن الاعتزام لا يحم	المشابهة المشابهة	شبَّه قلة الصبر بالمرض لما لكل منهما من الدلالة على الضعف شبه انحلال العزم بالإصابة بالحمى لما لكل منهما من التأثير السيئ	لفظية وهي اصطباري اعتزامي
٢	السحاب الأخيرة	لأن السحاب لا يكون رفيقاً	المشابهة	شبه الممدوح بالسحاب لما لكليهما من الأثر النافع	معي

---

(١) قفلنا: رجعنا، وإليك: اكفف.

(٢) شعر معاصر.

٣	بلادي	لأن البلاد لا تجور	غــــير المشابهة	ذكــر الــبلاد وأراد أهلها فالعلاقة المحلية	جارت

الأمثلة القرآنية:

الحقيقـة: قـال الله تعـالى: ﴿وَهُـوَ الَّـذِي أَنْشَـأَكُمْ مِـنْ نَفْـسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأنعام:٩٨].

خلقكم من آدم عليه السلام ، هذا هو المعنى الحقيقي.

المجاز: ١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٦]. لاَ يستحي: لا يترك، فلم يستعمل هنا الترك مباشرةً، بل استعمل الاستحياء في معنى الترك، لأن الترك من ثمرات الحياء.

٢ -قال تعالى: "تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ" [آل عمران: ٢٧]

الحي والميت مجاز عن المؤمن والكافر، لأن المؤمن حي بإيمانه، والكافر ميت بكفره.

الأسئلة:

(١) عرِّف الحقيقة، واذكر مثالها من القرآن الكريم.

(٢) عرِّف المجاز، واذكر مثاله.

الدرس العاشر

الاستعارةُ التصريحيةُ والمَكنيّةُ

الأمثلةُ:

قال تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة إبراهيم: ١].

وقال المتنبي وقد قابله مَمْدُوحُهُ وعانقَه:

فلم أرَ قَبلي مَن مَشَى البحرُ نحوَهُ ... ولا رَجُلاً قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسْدُ

وقال في مدح سيف الدولة:

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ ... تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ[١]

❖❖❖

وقال الحجَّاجُ في إحْدى خُطَبه[٢]:

إني لأرَى رُؤُوساً قد أينَعَتْ، وحانَ قِطافُها وإنّي لَصَاحِبُهَا[٣].

---

[١] بيض الهند: السيوف، واللمم جمع لمة: وهي الشعر المجاور شحمة الأذن، والمراد بها هنا الرموس.يقول: لا ترى الانتصار لذيذاً إلا بعد معركة تتلاقى فيها السيوف بالرؤوس.

[٢] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١/ ص:٣٤٨) شَبَّهَ رُؤُوسَهُم لاسْتِحْقَاقِهِمْ القَتْلَ بِثِمَارٍ أَدْرَكَتْ، وحانَ أن تُقْطَفَ.

[٣] أينعت من أينع الثمر إذا أدرك ونضج، وحان قطافها: آن وقت قطعها، يريد أنه يصير بحال القوم من الشقاق والخلاف في بيعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فهو يحذرهم عاقبة ذلك.

وقال المتنبي :

ولمّـــا قَلّـــتِ الإبْـــلُ امْتَطَيْنَـــا إلى ابـنِ أبـي سُـلَيْمانَ الخُطُوبَـا[(١)]

وقال أيضاً :

المَجْدُ عُـوفِيَ إذْ عُوفيـتَ وَالـكَـرَمُ وَزَالَ عَنْـكَ إلى أعـدائِكَ الأَلَـمُ

البحثُ:

في كل مثال من الأمثلة السابقة مجازٌ لُغويٌّ : أيْ كلمةٌ استُعْملت في غير معناها الحقيقيِّ ، فالمثالُ الأَول من الأمثلة الثلاثة الأُولى يشتملُ على كلمتي الظلمات والنور ، ولا يُقْصد بالأُولى إلا الضلال ، ولا يراد بالثانية إلاَّ الهدى والإيمان ، والعلاقة المشابهة ، والقرينة حاليةٌ ؛ وبيتُ المتنبي يحتوي على مجازين هما البحرُ الذي يراد به الرجل الكريم لعلاقة المشَابهةِ ، والقرينةُ مشى والأُسْد التي يراد بها الشجعان لعلاقة المشابهةِ ، والقرينةُ "تعانقُه" ، والبيت الثالث يحتوي على مجاز هو "تصافحتْ الذي يراد منه تلاقتْ ، لعلاقة المشابهةِ ، والقرينة بيضُ الهند واللمم.

وإذا تأملتَ كلَّ مجاز سبق رأيت أنه تضمَّن تشبيهاً حُذِف منه لفظ المشبَّه واستعير بدله لَفْظ المشبَّه به ليقومَ مقامَه بادعاء أنَّ المشبَّه به هو عينُ المشبَّه ، وهذا أبعدُ مدى في البلاغة ، وأدخَلُ في المبالغة ، ويسمَّى هذا المجاز استعارةً ، ولما كان المشبَّه به مصرّحاً به في هذا المجاز سمّيَ استعارةً تصريحيةً.

نرْجع إذاً إلى الأمثلة الثلاثة الأَخيرة ؛ ويكفي أنْ نوضحَ لك مثالاً منها لتَقيس عليه ما بعده ، وهو قول الحجاج في التهديد : إنِّي لأَرى رؤوساً قد أيْنَعتْ فإنَّ الذي يُفهَم منه أَنْ يشبِّه الرؤوس بالثمرات ، فأَصلُ الكلام إني لأرى رؤوساً كالثمراتِ قد أينعت ، ثم حذف المشبّه به فصار إني لأرى رؤوساً قد أينعتْ ، على تخيُّل أنَّ

[(١)] امتطينا : ركبنا ، والخطوب : الأمور الشديدة ، يقول : لما عزَّت الإبل عليه لفقره حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها.

الرؤوس قد تمثلت في صورة ثمارٍ، ورُمزَ للمشبَّه به المحذوف بشيء من لوازمه وهو أينعتْ، ولما كان المشبَّه به في هذه الاستعارة محْتجَباً سميتِ استعارةً مكنيةً، ومثلُ ذلك يقال في امتطينا الخطوبا وفي كلمة المجد في البيت الأخير.

القاعدةُ:

(١٣) الاسْتِعارَةُ مِنَ المجازِ اللّغَويِّ، وهيَ تَشْبيهٌ حُذِفَ أحَدُ طَرفَيْهِ، فَعلاقتها المشابهةُ دائماً، وهي قسمان:

(أ) تَصْريحيّةٌ: وهي ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ.

(ب) مَكنِيَّةٌ: وهي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهُ بهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازمه.

نَمُوذَجٌ

قال المتنبي يَصِفُ دخول رسولِ الرّوم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما دَرَى ... إلى البَحرِ يَسعَى أمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

وصفَ أعرابيٌّ أخاً له فقال: كان أخِي يَقْري العينَ جَمالا والأُذنَ بياناً[1].

وقال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤].

وقال أعرابيٌّ في المدح: فُلانٌ يَرمي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشَارَ الكَرَمُ[2].

الإجابةُ

(١) أ ـ شُبِّهَ سيفُ الدولة بالبحر بجامع[3] العطاءِ ثم استُعيرَ اللفظُ الدال على المشبَّه به وهو البحر للمشبَّه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحيةِ، والقرينةُ "فأَقبل يمشي في البساط".

ب ـ شُبِّهَ سيف الدولة بالبدرِ بجامع الرّفعةِ، ثم استعيرَ اللفظ الدال على

---

[1] القرى: إكرام الضيف وإطعامه.

[2] الطرف: البصر.

[3] الجامع في الاستعارة هو ما يعبر عنه في التشبيه بوجه الشبه.

المشبَّه به وهو البدر للمشبَّه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحيةِ، والقرينةُ "فأَقبل يمشي في البساط".

(٢) شبِّهَ إمتاعُ العين بالجمالِ وإمتاعُ الأُذن بالبيانِ بقِرَى الضيف، ثم اشتُقَّ من القِرى يَقْرِي بمعنى يُمْتِعُ على سبيل الاستعارة التصريحيةِ، والقرينةُ جمالاً وبياناً.

(٣) شُبِّهَ الرأسُ بالوقودِ ثم حذِف المشبَّه به، ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو "اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنيةِ، والقرينةُ إثبات الاشتعالِ للرأس.

(٤) شُبِّهَ الكرمُ بإنسانٍ ثم حُذِفَ ورُمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو "أَشار" على سبيل الاستعارة المكنيةِ، والقرينة إثباتُ الإشارة للكرم.

الأمثلة القرآنية:

(١) الاستعارة التصريحية:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [سورة الروم: ٥٢]، شبَّه الله تعالى الكفار بالموتى وبالصم، فقد ذكر هنا المشبه به، وكل ما ذكر فيه المشبه به فهو استعارة تصريحية.

(٢) الاستعارة المكنية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [سورة الانفطار: ٢]، شبَّه الله تعالى الكواكب بجواهر، قُطِع سلكها، فتناثرت متفرقة، فخذف المشبه به، ورمز إلى المشبه به بكلمة انتثرت، لأنّ الكواكب لا تنتثر، بل الجواهر تتفرق وتنتشر.

الأسئلة:

(١) عرِّف الاستعارة، واذكرها مثالها.

(٢) ما هي الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية؟ اذكرها بالأمثلة.

(٣) عرِّف بالمجاز المرسل بالأمثلة.

(٤) ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [سورة يوسف: ٨٢]، أجر في هذه الآية القاعدة المذكورة في الكتاب.

الدرس الحادي عشر

تقْسِيمُ الاستعارة إلى أصْلِيَّةٍ وتبَعِيَّةٍ

الأمثلة:

قال المتنبي يَصِف قَلماً:

يَمُــجُّ ظَلاماً في نَهارٍ لِسانُهُ ... وَيُفْهِمُ عمّنْ قالَ ما ليسَ يُسمَعُ

وقال يخاطبُ سيف الدولة:

أُحِبّكَ يا شَمسَ الزّمانِ وبَدْرَهُ ... وَإنْ لامَني فيكَ السُّهَى والفَراقِدُ أ[1]

وقال المعرِّي في الرِّثاءِ:

فَتًى عَشِقَتْهُ الْبَابِلِيَّةُ حِقْبَةً ... فَلَم يَشْفِهَا مِنْهُ بِرَشْفٍ وَلاَ لَثْمٍ[2]

❖❖❖

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٤].

وقال المتنبي في وصف الأسد:

وَرْدٌ إذا وَرَدَ الْبُحَيرَةَ شارِباً ... وَرَدَ الفُراتَ زَئِيرُهُ والنّيلا[3]

البحثُ:

في الأبيات الثلاثة الأُولى استعاراتٌ مكنية وتصريحية؛ ففي البيت الأَول

---

[1] السها: نجم خفي يمتحن الناس به أبصارهم، والفراقد جمع فرقد: وهو نجم قريب من القطب. وفي السماء فرقدان ليس غير.

[2] الحقبة: المدة من الزمان، ويراد بها المدة الطويلة، ورشف الماء: مصه، واللثم: التقبيل.

[3] الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والمراد بالبحيرة بحيرية طبرية، أي أن زئير الأَسد شديد فإذا زأر في طبرية سمع زئيره من في العراق ومصر.

شُبِّهَ القلمُ (وهو مَرْجِعُ الضمير في لسانه) بإنسان ثم حذفَ المشبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو اللسانُ، فالاستعارة مكنيةٌ، وشُبِّهَ المدادُ بالظلام بجامعِ السواد واستعيرَ اللفظ الدالُّ على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية، وشبِّهَ الورقُ بالنهار بجامعِ البياض ثم استعيرَ اللفظُ الدالُّ على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي البيت الثاني شبِّهَ سيفُ الدولة مرةً بالشمسِ؛ ومرّةً بالبدر بجامعِ الرفعة والظهور، ثم استعيرَ اللفظُ الدالُّ على المشبَّه به وهو الشمسُ والبدر للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية في الكلمتين، وشبِّهَ مَنْ دونه مرَّة بالسُّها ومرَّة بالنجومِ بجامعِ الصِّغَر والخفاء، ثم استعيرَ اللفظُ الدالُّ على المشبَّه به وهو السُّها والفراقد للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية في الكلمتين.

وفي البيت الثالث شُبِّهتِ البابليةُ ـ وهيَ الخمرُ ـ بامرأةٍ ثم حذفَ المشبَّه به ورُمِزَ إليه بشيء من لوازمه وهو "عشِقَتْهُ" على سبيل الاستعارة المكنية.

إذا رجَعْتَ إلى كل إجراءٍ أجريناه للاستعارات السابقة، رأيتَ أننا في التصريحية استعرنا اللفظَ الدالَّ على المشبَّه به للمشبَّه وأننا لم نَعْمَلْ عملاً آخرَ، ورَمَزْنا إليه بشيءٍ من لوازمه، وأَنَّ الاستعارةَ تمَّت أيضاً بهذا العمل؛ وإذا تأملتَ ألفاظ الاستعارات السابقة رأيتها جامدةً غيرَ مشتقةٍ. ويسمَّى هذا النوع من الاستعارةِ بالاستعارةِ الأَصليةِ.

انظر إذًا إلى المثالين الأَخيرين تجدْ بكلٍّ منهما استعارةً تصريحيةً، وفي إجرائها نقول: شبِّهَ انتهاءُ الغضبِ بالسكوتِ بجامع الهدوءِ في كلٍّ، ثم استعيرَ اللفظُ الدالُّ على المشبَّه به وهو السكوتُ للمشبَّه وهو انتهاءُ الغضبِ ثم اشتقَّ من السكوتِ بمعنى انتهاءِ الغضب سكتَ بمعنى انتهى.

وشُبِّهَ وصولُ صوت الأَسد إلى الفرات بوصولِ الماءِ، بجامعِ أنَّ كلاًّ ينتهي إلى غايةٍ ثم استعيرَ اللفظ الدالُّ على المشبَّه به وهو الورود للمشبَّه وهو وصول

الصوتِ، ثم اشتُقَّ منَ الورود بمعنى وصول الصوت ورد بمعنى وصل.

فإذا أنتَ وازنتَ بين إجراءِ هاتين الاستعارتين وإجراء الاستعاراتِ الأولى رأيتَ أنَّ الإجراءَ هنا لا ينتهي عند استعارةِ المشبَّه به للمشبَّه كما انتهى في الاستعارات الأُولى، بل يزيدُ عملا آخرَ وهو اشتقاقُ كلمةٍ من المشبَّه به، وأنَّ ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌ لا جامدةٌ، ويسمَّى هذا النوعُ من الاستعارة بالاستعارةِ التبعيةِ، لأنَّ جريانِها في المشتقِّ كان تابعاً لجريانها في المصدر.

ارجع بنا ثانياً إلى المثالين الأخيرين لتتعلَّم منهما شيئاً جديدًا، ففي الأول وهو " وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ " يجوز أنْ يشبَّه الغضبُ بإنسان ثم يحذفُ المشبَّه به ويرْمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو سكتَ، فتكون في "الغضبِ" استعارةٌ مكنيةٌ. وفي الثاني وهو "ورد الفراتَ زئيره" يجوز أن يشبَّه الزئيرُ بحيوان ثم يحذف ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو ورد فيكون في "زئيره" استعارةٌ مكنيةٌ، وهكذا كلُّ استعارةٍ تبعيةٍ يصحُّ أنْ يكون في قرينتها استعارةٌ مكنيةٌ غيرَ أنه لا يجوز لك إجراءَ الاستعارة إلا في واحدةٍ منهما لا في كلتيهما معاً.

القواعدُ:

(١٤) تَكُونُ الاستعارةُ أَصْلِيّةً إذا كان اللفظُ الذي جَرَتْ فيه اسماً جامدًا.

(١٥) تكون الاستعارةُ تَبَعِيّةً إذا كانَ اللفظُ الذي جَرَتْ فيه مُشْتَقًّا أَوْ فِعْلا[١].

كلُّ تَبَعِيّةٍ قَرِينَتُها مَكْنِيَّةٌ، وإذا أُجْرِيتِ الاستعارةُ في واحدةٍ منهما امْتَنَعَ إِجْرَاؤُها في الأُخرَى.

---

[١] تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية، ومثال الاستعارة المكنية التبعية أعجبني إراقة الضارب دم الباغي، فقد شبَّه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق منه قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديدًا، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإراقة وهو الإراقة على طريق الاستعارة المكنية التبعية.

نموذجٌ

قال الشاعر:

عضَّنا الدهرُ بنابهْ ... ليْتَ ما حلَّ بنابهْ

وقال المتنبي:

حَمَلْتُ إلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حديقَةً ... سقاها الحِجَى سَقيَ الرِّياضِ السَّحائبِ[1]

وقال آخر يخاطب طائرًا:

أَنْتَ في خضْراءَ ضاحِكةٍ ... مِنْ بكاءِ العارض الهتِن[2]

الإجابةُ

(١) شُبِّهَ الدهرُ بحيوان مفْترسٍ بجامع الإيذاء في كلٍّ، ثم حُذفَ المشبَّه به ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو "عضَّ" فالاستعارة مكنيةٌ أصليةٌ.

(٢) شُبِّه الشعرُ بحديقةٍ بجامع الجمالِ في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبَّه به للمشبَّه فالاستعارةُ تصريحيةٌ أصليةٌ، وشُبِّهَ الحِجا وهو العقل بالسحاب بجامع التأثير الحسن في كلٍّ وحذف المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو "سقَى"، فالاستعارة مكنيةٌ أصليةٌ.

(٣) شُبِّهَ الإزهارُ بالضحِك بجامع ظهور البياضِ في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبَّه بهِ للمشبَّه، ثم اشتُقَّ من الضحك بمعنى الإزْهار ضاحِكةً بمعنى مُزهِرة، فالاستعارةُ تصريحيةٌ تبعيةٌ.

ويجوز أنْ نضرب صفْحاً عن هذه الاستعارة، وأَنْ نُجْريها في قرينتها فنقول: شبِّهتِ الأرضُ الخضراء بالآدميِّ، ثم حذف المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو ضاحكةٌ فتكون الاستعارةُ مكنيةً.

---

[1] الرياض مفعول به للمصدر وهو سقى سقى مضاف، والرياض مضاف إليه، وأصل الكلام سقى السحائب الرياض.

[2] في خضراء: أي في روضة خضراء، والعارض الهتن: السحاب الكثير الأمطار.

وشُبِّه نزول المطرِ بالبكاء بجامع سقوط الماء في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدالُّ عَلى المشبَّه به للمشبَّه، فالاستعارةُ تصريحيةٌ أصليةٌ، ويجوز أن تُجْرَى الاستعارةُ مكنيةً في العارض.

الأمثلة القرآنية:

(١) الاستعارة الأصلية: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، جرت الاستعارة في كلمة ريحكم، وهي جامدة.

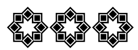
(٢) الاستعارة التبعية: قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [سورة الذاريات: ٤١]، جرت الاستعارة في كلمة العقيم، وهي مشتقة.

الأسئلة:

١ـ عرِّف الاستعارة الأصلية والتبعية بالأمثلة.

٢ـ اذكر موضع الاستشهاد في البيت الآتي:

يمجُّ ظلامًا في نهار لسانه ... ويفهم عمن قال ما ليس يسمع



الدرس الثاني عشر

تقسيمُ الاستعارةِ إلى مرشَّحةٍ ومجرَّدةٍ مُطلَقةٍ

الأمثلةُ:

(أ)

(١) قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى. فما ربحت تجارتهم..﴾ [سورة البقرة: ١٦]..

(٢) وقال البحتريُّ:

يُؤدّونَ التّحيّةَ مِنْ بَعيدٍ إلى قَمَرٍ، مِنَ الإيوَانِ، بَادِ[(١)]

(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ١١][(٢)].

(ب)

(٤) وقال البحتريُّ:

وأرى المنايا إنْ رأتْ بكَ شَيْبَةً جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبلِهَا الْمُتَواتِرِ[(٣)]

(٥) كانَ فُلانٌ أكْتَبَ الناس إذا شَرِبَ قلمُهُ منْ دَوَاتِه أوْ غَنَّى فوْقَ قِرْطاسِهِ.

(٦) وقال قُرَيْظُ[(٤)] بن أُنَيْف:

---

(١) الإيوان: مكان مرتفع في البيت يجلس عليه.

(٢) الجارية: السفينة.

(٣) النبل المتواتر: الكثير المتوالي.

(٤) هو قُريظ بن أنيف من شعراء الحماسة، هو شاعر إسلامي.

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ   طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ ووُحْدَانَا[1]

البحثُ:

في الأمثلة الأولى استعاراتٌ تصريحية في "اشتروا " بمعنى اختاروا، وفي "قمر" الذي يراد به شخص الممدوح، وفي "طغى" بمعنى زاد، وقد استوفت كلُّ استعارة قرينتَها، فقرينة الأولى "الضلالة" و قرينة الثانية "يؤدون التحية" وقرينة الثالثة "الماءُ"، وإذا تأملتَ الاستعارة الأولى رأيت أنها قد ذكِر معها شيءٌ يلائم المشبَّه به، وهذا الشيءُ هو "فما ربحت تجارتهم"، وإذا نظرتَ إلى الاستعارة الثانية رأَيت بها شيئاً من ملائمات المشبَّه، وهو "من الإيوان باد"، وإذا تأملت الاستعارةَ الثالثة رأيتها خاليةً مما يلائمُ المشبَّه به أو المشبَّه.

والأمثلة الثلاثة الثانية تشتمل على استعاراتٍ مكنيةٍ هي الضمير في رأت الذي يعود على المنايا التي شُبِّهتْ بالإنسان. و"القلم" الذي شُبِّه بالإنسان أيضاً والشرُّ الذي شُبِّه بحيوان مفترس، وقد تمَّتْ لكل استعارة قرينتُها، إذْ هي في الأُولى إثبات الرؤْية للمنايا، وفي الثانية إثباتُ الشرب والغناء للقلم، وفي الثالثة إثباتُ إبداء الناجذيْن للشرِّ.

وإذا تأملتَ رأيتَ أنَّ الاستعارة الأولى اشتملتْ على ما يُلائم المشبَّه به وهو جعلتكَ مرمى نبلها وأَنَّ الاستعارة الثانيةَ اشتملت على ما يلائم المشبَّه وهو دواتُه وقرطاسه، وأَنَّ الاستعارة الثالثة خَلَتْ مما يلائم المشبَّه أَو المشبَّه به، والاستعارة التي من النوع الأَول تسمَّى مرشحةً، والتي من النوع الثاني تسمَّى مجردةً، والتي من النوع الثالث تسمَّى مطلقةً.

القواعدُ:

(١٦) الاستعارة المُرَشَّحَةُ: ما ذُكِرَ معها مُلائم المشبهِ بهِ.

---

[1] الناجذان: النابان، وإبداء الشر ناجذيه كناية عن شدته وصعوبته. يصفهم بالإقدام على المكاره والإسراع إلى الشدائد، وأنهم لا يتواكلون ولا يتخاذلون.

(١٧) الاستعارةُ المجرَّدَةُ: ما ذكِرَ معها مُلائمُ المشبَّهِ.

(١٨) الاستعارةُ المُطْلَقة: ما خَلَتْ منْ مُلائماتِ المشبَّهِ به أو المشبَّه[١].

(١٩) لا يُعْتَبَرُ الترشيحُ أو التجريدُ إلا بَعْدَ أنْ تَتمَّ الاستعارةُ باستيفائها قَرِينَتَها لفظيةً أو حاليَّةً، ولهذا لا تُسَمَّى قَرينةُ التصريحيةِ تجْريدًا، ولا قَرينةُ المكْنيةِ تَرْشِيحاً.

نموذجٌ

(١) خلُقُ فلانٍ أرقُّ منْ أنْفاس الصَّبا إذا غازلت أزْهارَ الرُّبا[٢].

(٢) قال الشاعر:

فَإِنْ يهْلِكْ فكلُّ عمودِ قَوْمٍ ... مِنَ الدُّنْيا إلى هُلْكٍ يَصِيرُ

(٣) إنِّي شديدُ العطشِ إلى لِقائِك.

(٤) قال الشاعر:

ولَيْلَةٍ مَرِضَتْ مِن كُلِّ ناحِيَةٍ ... فلا يُضيءُ لها نَجْمٌ ولا قَمَرُ

(٥) وقال الشاعر:

سَقاكِ وحَيّانا بكِ اللّه إنّمَا ... على العِيسِ نَوْرٌ والخدورُ كمائِمُهْ[٣]

الإجابةُ

(١) في كلمة الصَّبا وهي الريحُ التي تَهُبُّ منْ مطلَعِ الشمس ـ استعارةٌ مكنيةٌ، لأنها شُبِّهت بإنسان وحذِفَ المشبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو أنفاس الذي هو قرينة المكنية، وفي غازلت ترشيحٌ.

(٢) في عمود استعارةٌ تصريحيةٌ أَصليةٌ، شُبِّهَ رئيسُ القوم بالعمود بجامع

---

[١] من نوع الاستعارة المطلقة الاستعارة التي تشتمل على ترشيح وتجريد معاً، مثالها في التصريحية، نطق الخطيب بالدرر، براقة ثمينة، فارتاحت لها الأسماع. ومثالها في المكنية، قصف الموت شبابه قبل أن يزهر ويصل إلى الكهولة.

[٢] الربا: الأماكن العالية.

[٣] الخطاب في سقاك لمحبوبته، يدعو لها بالسقيا وأن يحيا بها كما يحيا الناس بالأزهار. والعيس ا لأبل. والكمائم جمع كمامة: وهي غلاف الزهرة.

أَنَّ كلاًّ يحْمِل، والقرينة يهلِك، وفي إلى هُلْك يصير تَجْرِيدٌ.

(٣) شُبِّه الاشتياقُ بالعطش بجامع التطلعِ إلى الغاية، فالاستعارةُ تصريحيةٌ أصليةٌ، والقرينة إلى لقائك وهي استعارةٌ مطلقةٌ.

(٤) في مرضتُ استعارةٌ تبعية شُبِّهتِ الظلمة بالمرض، والجامعُ خَفَاءُ مظاهر النشاط، ثم اشتُق من المرض مرِضتُ، فالاستعارة تصريحيةٌ تبعيةٌ، وفي ما يضيءُ لها نجم ولا قمر تجريدٌ.

(٥) النورُ: الزهْر، أو الأَبيض منه، والمرادُ به هنا النساء، والجامع الحُسْنُ؛ فالاستعارة تصريحيةٌ أصليةٌ، وفي ذكر الخُدور تجريدٌ، وفي ذكر الكمائم ترشيحٌ، فالاستعارةُ مطلقةٌ.

الأمثلة القرآنية:

(١) الاستعارة المرشحة: قال الله تعالى﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٦] كلمة اشتروا وردت في معنى جملة اختاروا، فما ربحت تجارتهم من ملائمات المشبه به.

(٢) الاستعارة المجردة: قال الله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢]، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، فقد حذف هنا المشبه، وهو الإنسان، وذكر ملائمه وهو اللباس هنا، فهو استعارة مجردة

(٣) الاستعارة المطلقة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ١٢]. هذه الاستعارة خالية من ملائمات المشبه والمشبه به.

الأسئلة:

١ـ عرِّفوا المرشحة والمجردة والمطلقة واذكروا أمثلتها.

٢ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾

فسروا هذه الآية في ضوء أقسام الاستعارة.

الدرس الثالث عشر

الاستعارةُ التمثيليَّةُ

الأمثلةُ:

(١) عادَ السَّيْفُ إلى قِرَابهِ، وَحلَّ اللَّيْثُ منيعَ غابه. (لمجاهدُ عاد إلى وطنه بعد سفر)

(٢) قال المتنبي:

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ   يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلالا

(لمن لم يرزقِ الذَّوْق لفِهْم الشعر الرائع).

(٣) قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطيبِ[1]. (لمن يأْتي بالقول الفَصْلِ).

البحثُ:

حينما عاد الرجلُ العامل إِلى وطنه لم يَعُدْ سيفٌ حقيقيٌّ إِلى قرابه، ولم يَنزِل أَسَدٌ حقيقيٌّ إِلى عرينه، وإِذًا كلُّ تركيب من هذين لم يستعمل في حقيقته، فيكون استعماله في عوْدة الرجل العامل إِلى بلده مجازًا والقرينةُ حالِيَّةٌ، فما العلاقة بين الحالين يا ترى، حالِ رجوع الغريبِ إِلى وطنه، وحال رجوع السيف إِلى قِرَابه؟ العلاقةُ المشابهةُ؛ فإِنَّ حال الرجل الذي نزل عن الأَوطان عاملا مجِدًّا ماضياً في الأُمور ثم رجوعَه إِلى وطنه بعد طول الكدِّ، تشْبهُ حال السيف الذي استُلَّ للحرب والجِلاد حتَّى إِذا ظفِر بالنصر عاد إِلى غِمْده. ومثل ذلك يقال في: "وحلَّ الليثُ مَنِيع غابهِ".

---

[1] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١/ ص: ١٩٧).

وبيتُ المتنبي يدلُّ وضْعه الحقيقيُّ على أَنَّ المريض الذي يُصاب بمرارة في فمه إذا شربَ الماءَ العذبَ وجده مُرًّا، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمنْ يَعيبون شِعْرَه لعيْب في ذوقهم الشعريِّ. وضعْف في إدراكهم الأدبيِّ، فهذا التركيبُ مجازٌ قرينتُه حالِيَّةٌ، وعلاقتُه المشابهة، والمشبَّه هنا حال المُولَعين بذمِّه والمشبَّه به حالُ المريض الذي يجد الماءَ الزلال مرًّا.

والمثالُ الثالث مَثلٌ عربيٌّ، أَصلُهُ أنَّ قوماً اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حيَّيْن قَتلَ رجلٌ من أَحدهما رجلاً من الحيِّ الآخر، وإنهم لكذلك إذا بجاريةٍ تُدْعَى جَهيزةَ أَقبلت فأنبأَتهم أَنَّ أَولياءَ المقتول ظَفِرُوا بالقاتل فقتلوهُ، فقال قائل منهم: "قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيب"، وهو تركيب يُتَمَثلُ به في كل موطن يؤتَى فيه بالقول الفصل.

فأَنتَ ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أنَّ تركيباً استعمل في غير معناه الحقيقي، وأنَّ العلاقة بين معناه المجازيِّ ومعناه الحقيقيِّ هي المشابهةُ. وكلُّ تركيب من هذا النوع يُسمَّى استعارةً تمثيليةً[١].

القاعدةُ

(٢٠) الاستعارةُ التمثيلية تركيبٌ استُعْمِلَ في غير ما وُضِعَ له لِعلاَقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعةٍ مِنْ إرادةِ مَعْنَاهُ الأَصْليِّ.

نَمُوذَجٌ

(١) منْ أَمثالِ العرب[٢]: قبل الرِّماءِ تُمْلأُ الكَنائنُ[٣].

(إذا قُلْتَه لمن يريد بناءَ بيتٍ مثلاً قبلَ أَنْ يتوافر لديه المالُ).

---

[١] لابد أن يكون كل من المشبه به في الاستعارة التمثيلية صورة منتزعة من متعدد كما تراه واضحاً في الأمثلة.

[٢] جمهرة الأمثال - (ج ١ / ص: ١٠٦).

[٣] الرماء: رمي السهام، والكنائن جمع كنانة وهي وعاء السهام.

(٢) أَنتَ ترقُمُ على الماءِ (إذا قلته لمنْ يُلِحُّ في شأْنٍ لا يمكنُ الحصولُ منه على غايةٍ).

الإجابةُ:

(١) شُبِّهَتْ حالُ من يريد بناءَ بيت قبل إعداد المال له. بحال من يريد القتال وليسَ في كِنانته سهام، بجامع أن كلاً منهما يتعجلُ الأَمر قبل أَن يُعِدَّ له عُدتهُ، ثم استعير التركيب الدالُّ على حال المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التمثيليةِ، والقرينةُ حاليَّةٌ.

(٢) شُبِّهت حالُ من يُلحُّ في الحصول على أَمر مستحيلٍ، بحال منْ يرقُمُ على الماءِ، بجامعِ أَن كلاًّ منهما يعْملُ عملاً غيْر مُثْمِرٍ، ثم استعير التركيب الدالُّ على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينةُ حاليَّةٌ.

تمرينات

(١) افرضْ حالاً تجْعلُها مشبَّهاً لكُلٍّ من التراكيب الآتية، ثم أَجْرِ الاستعارةَ في خمسة تراكيب.

(١) إنَّك لا تَجْنى منَ الشَّوْكِ العنبَ	(١١) الموردُ الْعذْبُ كثير الزِّحام.
(٢) أَنت تنْفُخُ في رَمَادٍ	(١٢) « اعْقِلْهَا وَتَوكَّلْ»[١]
(٣) لا تنْثُرِ الدُّرَّ أمامَ الخنازير	(١٣) أَنتَ تحْصُدُ ما زَرَعْتَ.
(٤) يبتغي الصَّيْدَ في عِرِّيسَة الأسد[٢]	(١٤) أَلْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ.
(٥) أَخذَ الْقوْسَ باريها	(١٥) يُخرِّبون بيوتَهم بأَيديهم.
(٦) اِستسْمَنْتَ ذا وَرَم.	(١٦) إنَّ الحديد بالحديد يُفلحُ[٣].

---

[١] الضمير في اعقلها يعود على الناقة: أي قيدها ثم توكل على الله. وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي(٢٧٠٧) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ قَالَ «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ».

[٢] العريسة. مأوى الأسد.

[٣] يفلح: يقطع.

(٧) أَنتَ تَضربُ في حديدٍ بارد	(١٧) لا بُدَّ للمصدور أَن يَنْفُث[(١)]
(٨) هو يَبنى قصوراً بغير أَساس	(١٨) لكلِّ جوادٍ كبْوة[(٢)]
(٩) لكل صارم نبْوَة[(٣)]	(١٩) ومَن قصَد البحْرَ استقلَّ السَّواقِيا[(٤)]
(١٠) لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْن[(٥)]	(٢٠) أحَشفاً وسوءَ كِيلة[(٦)].

الأمثلة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [سورة يس: ٨]، شُبه حال الكفار في امتناعهم عن الهدى والإيمان، بمن غلت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال.

الأسئلة:

١ ـ عرِّف الاستعارة التمثيلية، واذكر مثالها.

٢ ـ اكتب عدة استعارات تمثيلية في ضوء الكتاب.

---

(١) المصدور: المصاب بمرض في صدره، والنفث النفخ، ورمى النفلثة.

(٢) كبوة الجواد: عثرته.

(٣) النبوة: عدم قطع السيف.

(٤) السواقي: الأنهار الصغيرة.

قلت: هذا البيت للمتنبي:

قوَاصِدَ كَافُورٍ تَوارِكَ غَيرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ البَحرَ استَقَلّ السّوَاقِيا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج ١/ ص:١٩٢).

(٥) أخرجه البخاري مرفوعا برقم(٦١٣٣) ومسلم برقم(٧٦٩٠).

(٦) الحشف: ردئ التمر، والكيلة اسم بمعنى الكيل.

الدرس الرابع عشر

بلاغةُ الاستعارةِ

سبق لك أَنَّ بلاغة التشبيه آتيةٌ من ناحيتين: الأُولى تأْليف أَلفاظه، والثانية ابتكار مشبَّه به بعيد عن الأَذهان، لا يجول إِلا في نفس أديب وهب الله له استعدادًا سليماً في تعرُّف وجوه الشَّبه الدقيقة بين الأَشياء، وأودعه قدْرةً على ربط المعاني وتوليدِ بعضها من بعض إلى مدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدَّى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحمْلك عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

انظر إِلى قول البحتريِّ في الفتح بن خاقان:

يَسمُو بكَفٍّ، على العافينَ حانيَةٍ ... تهمي، وَطَرْفٍ إلى العَلياءِ طَمّاحِ[1]

ألستَ ترى كفَّه وقد تمَّلتْ في صورة سحابةٍ هتَّانة تصُبُّ وبلها على العافين السائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تملكت عليك مشاعرك فأذْهلتْكَ عما اختبأَ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعتَ قوله في رثاء المتوكل وقد قُتلَ غيلةً:

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السّيُوفُ حُشَاشَةً ... يَجُودُ بها، والمَوْتُ حُمْرٌ أظافِرُهْ[1]

---

[1] العافين: سائلي المعروف، وحانية: عاطفة شفيقة، وتهمى: تسيل، والطرف: البصر، والطماح: الذي يغالي في طلب المعالى والسعى وراءها.

فهل تستطيع أن تُبعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورةُ حيوان مفترس ضرِّجتْ أظافره بدماءِ قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارةُ أبلغَ من التشبيه البليغ؛ لأنه وإن بني على ادعاءِ أنَّ المشبَّه والمشبَّه به سواءٌ لا يزال فيه التشبيه منوِيًّا ملحوظاً بخلاف الاستعارة فالتشبيهُ فيها مَنْسيٌّ مجحُودٌ؛ ومن ذلك يظهر لك أنَّ الاستعارة المرشحةَ أبلغُ من المطْلَقَةِ، وأنَّ المطلقة أبلغُ منَ المجردة.

أمَّا بلاغةُ الاستعارة من حيثُ الابتكارُ ورَوْعَةَ الخيال، وما تحدثه من أثرٍ في نفوس سامعيها، فمجالٌ فسيحٌ للإبداع، وميدانٌ لتسابق المجيدين من فُرسان الكلام.

انظر إلى قوله عزَّ شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[٢] [سورة الملك: ٨] ترتسم أمامك النار في صورة مخلوقٍ ضَخْمٍ بطَّاشٍ مكفهرِّ الوجه عابسٍ يغلي صدرُه حقدًا وغيظاً.

ثم انظر إلى قول أبي العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة:

أتتْـــــهُ الخِلافَـــــةُ مُنْقـــــادَةً   إلَيْـــــهِ تُجَـــــرِّرُ أذْيالَهـــــا

تجد أنَّ الخِلافة غادةٌ هيفاءُ مُدَلَّلَة ملولٌ فُتن الناس بها جميعاً، وهي تأبى عليهم وتصدُّ إعراضاً، ولكنها تأتي للمهدي طائعةً في دلال وجمال تجرُّ أذيالها تيهاً وخفرًا.

هذه صورة لا شك رائعة أَبْدع أبو العتاهية تصويرها، وستبقى حُلوة في الأسماع حبيبةً إلى النفوس ما بقي الزمان.

---

[١] الصريع: المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين؛ وهو من قولهم تقاضى الدائن منه إذا قبضه، والحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح؛ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

[٢] تتميز غيظاً: تتقطع غضباً على الكفرة، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم، والفوج: الجماعة، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نذير﴾؟ للتوبيخ.

ثم اسمع قول البارودي :

إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ   تفزَّعتِ الأفلاكُ، والتفَتَ الدهرُ[(١)]

وخبرني عما تحسُّ وعما ينتابك من هول مما تسمع ، وقل لنا : كيف خطرت في نفسك صورة الأَجرام السماوية العظيمة حيَّةً حساسة تَرتعِد فَزَعاً وَوَهَلا ، وكيف تصورتَ الدهر وهو يلتفتُ دهشاً وذهولاً ؟

ثم اسمع قوله في منفاه وهو نهْبُ اليأْس والأمل :

أَسْمَعُ فِي قَلْبِي دَبِيبَ الْمُنَى   وألمحُ الشُّبهةَ فى خاطِرِى

تجد أنه رسم لك صورةً للأمل يتمَشى في النفس تمشيًّا مُحَسًّا يسمعه بأُذنه. وأنَّ الظنون والهواجس صار لها جسم يراه بعينه ؛ هل رأَيت إِبداعاً فوق هذا في تصويره الشك والأمل يتجاذبان؟ وهل رأيت ما كان للاستعارة البارعة من الأَثر في هذا الإِبداع؟

ثم انظر قول الشريف الرضي في الودَاع :

نَسرِقُ الدّمعَ في الجُيوبِ حَياءً   وَبِنَا مَا بِنَا مِنَ الإشفَاقِ

هو يسرق الدمع حتى لا يُوصمَ بالضعف والخَور ساعةَ الوداع ، وقد كان يستطيع أن يقول : "نَستُر الدمع في الجيوب حياءً" ؛ ولكنه يريد أن يسمو إلى نهاية المُرْتقَى في سحر البيان ، فإنَّ الكلمة "نسْرِقُ" ترسُم في خيالك صورةً لشدة خوفه أَنْ يظهر فيه أثرٌ للضعف ، ولمهارته وسرعته في إخفاء الدمع عن عيون الرقباء. ولولا ضِيق نطاق هذا الكتاب لعرضنا عليك كثيرًا من صور الاستعارة البديعة ، ولكنا نعتقدُ أنَّ ما قدمناه فيه كفايةٌ وغِناءٌ.

الأسئلة:

(١) ما هي بلاغة التشبية؟ اذكر بالمثال.

(٢) اشرح هذا البيت كما ذكر مؤلف الكتاب.

أتتـه الخلافـة منقـادةً   إليـه تُجـرِّرُ أذْيالَهَـا

---

(١) غرب السيف : حده ، وتفزعت : ذعرت أي أصابها الذعر وهو الخوف.

الدرس الخامس عشر

المجاز المرسلُ

الأمثلةُ:

(١) قال المتنبيّ:

لَـــهُ أيَــادٍ علــــي سَــــابغةٌ أعُـــدّ مِنْهَـــا وَلا أُعَـــدّدُهَا[١]

(٢) وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ [سورة غافر: ١٣].

(٣) كَمْ بَعَثنَا الْجَيْشَ جرًّا رًا وأَرْسَلْنا الْعُيُونَا[٢].

(٤) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [سورة نوح: ٧].

(٥) وقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٢].

(٦) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [سورة نوح: ٢٧].

(٧) وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [سورة العلق: ١٧ -١٨].

---

[١] يقول: إن للممدوح علي نعماً شاملةً، فوجودي يعد من نعمه، ولا أستطيع أن أحصر هذه النعم.

[٢] الجيش الجرار: الثقيل السير لكثرته.

(٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣].

البحثُ:

عرفتَ أنَّ الاستعارةَ من المجاز اللغوي، وأنها كلمةٌ استعملت في غير معناها لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي، ونحن نطلب إليك هنا أنْ تتأمل الأمثلة السابقة، وأَنْ تبحث فيما إِذا كانت مشتملة على مجاز.

انظر إلى الكلمة "أيادٍ" في قول المتنبي؛ أَتظن أنه أَراد بها الأيدي الحقيقية؟ لا. إِنه يريد بها النّعم، فكلمة أَياد هنا مجازٌ، ولكن هل ترى بين الأَيدي والنعم مشابهة؟ لا. فما العلاقة إِذا بعد أَنْ عرفت فيما سبق من الدروس أَنَّ لكل مجازٍ علاقةً، وأَنَّ العربيَّ لا يُرسل كلمةً في غير معناها إِلا بعد وجود صلة وعلاقة بين المعنيين؟ تأَملْ تجد أَنَّ اليد الحقيقية هي التي تمنح النعم فهي سببٌ فيها، فالعلاقة إِذًا السببيةُ، وهذا كثير شائع في لغة العرب.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ويُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السماءِ رِزْقاً﴾؛ الرزق لا ينزلُ من السماءِ ولكنَّ الذي ينزل مطرٌ ينشأُ عنه النبات الذي منه طعامُنا ورزقُنا، فالرزق مسَّببٌ عن المطر، فهو مجاز، علاقته المسببةُ، أَمَّا كلمة "العيون" في البيت فالمراد بها الجواسيسُ، ومنَ الهيِّن أن تفهم أنَّ استعمالها في ذلك مجازيٌّ، والعلاقة أنَّ العين جزءٌ من الجاسوس، ولها شأنٌ كبير فيه، فأُطلق الجزء وأريد الكل: ولذلك يقال: إِنَّ العلاقة هنا الجزئيةُ.

وإِذا نظرت في قوله تعالى: ﴿وإِنِّي كُلَّما دَعَوتُهُمْ لِتغفِر لهُمْ جَعَلُوا أصَابِعَهُمْ في آذَانهمْ﴾ رأيت أنَّ الإنسان لا يستطيع أنْ يضع إِصبعَهُ كلها في أُذنه، وأنَّ الأصابع في الآية الكريمة أُطلقتْ وأُريد أطرافُها فهي مجاز، علاقته الكليةُ.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وآتُوا الْيَتَامى أمْوَالَهم﴾ تجد أَنَّ اليتيمَ في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أنَّ الله سبحانه يأمر بإعطاءِ اليتامَى الصغار أموال آبائهم؟ هذا غير معقول، بل الواقع أن الله يأْمر بإعطاء

الأموال منْ وصلوا سِنَّ الرُّشد بعد أن كانوا يتامَى ، فكلمة اليتامى هنا مجاز ، لأنها استعملتْ في الراشدين ، والعلاقةُ اعتبار ما كانَ.

ثـم انظـر إلى قولـه تعـالى : ﴿ولا يلِدُوا إلاَّ فـاجرا كفـارا﴾ تجـدْ أنَّ فـاجرًا وكفارًا مجازان لأنَّ المولود حين يولد لا يكون فاجرًا ولا كفـارًا[1] ، ولكنـه قـد يكونُ كذلك بعد الطفولة ، فأُطْلِقَ المولـود الفـاجر وأريـد بـه الرَّجـلُ الفـاجرُ ، والعلاقة اعتبارُ ما يكون.

أَما قوله تعالى : {فلْيَدْعُ نادِيهُ} والأَمر هنا للسخريةِ والاستخفافِ ، فإننا نعرف أنَّ معنَى النادي مكانُ الاجتماع ، ولكنَّ المقصود به في الآية الكريمة مَنْ في هذا المكان مِنْ عشيرتِهِ ونُصرائه ، فهو مجاز أُطلـق فيـه المحـلُّ وأريـدَ الحـالُّ ، فالعلاقة المحليةُ.

وعلى الضدِّ من ذلـك قولـه تعـالى : ﴿إِنَّ الأَبْـرارَ لَفِـي نَعِـيم﴾ والنعـيم لا يحُلُّ فيه الإنسان لأنه معنًى من المعاني ، وإنما يحلُّ في مكانه ، فاستعمال النعيم في مكانه مجازٌ أطلق فيه الحالُّ وأريد المحلُّ ، فعلاقته الحاليةُ.

وإذا ثبت كما رأيت أنَّ كل مجاز مما سبق كانت له علاقةٌ غيرُ المشابهة مع قرينة مانعة منْ إرادة المعنى الأصلي ، فاعلم أنَّ هذا النـوع مـن المجـاز اللغـوي يسمَّى المجازُ المرسلُ[2] .

القواعدُ:

(٢١) المجازُ الْمُرسَلُ : كلمةٌ اسْتُعْمِلَتْ في غَيْر مَعناها الأَصْليِّ لعلاقةٍ غير

---

[1] أخرج البخارى برقم(١٣٥٩) ومسلم برقم(٦٩٢٦)عَنِ الزُّهْرِىِّ أَخْبَرَنِى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

[2] المرسل : المطلق ، وإنما سُمي هذا المجاز مرسلاً لأنه أطلق فلم يقيد بعلاقة خاصة.

المشابهةِ مَعَ قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنَى الأصْليِّ[١].

(٢٢) مِنْ عَلاقات المجاز المُرْسَل: السَّببيَّةُ ـ المسَبَّبيَّةُ ـ الجُزئيةُ ـ الكليَّةُ ـ اعْتِبَارُ ما كانَ ـ اعتبارُ ما يكونُ ـ المَحَليَّةُ ـ الحاليَّةُ.

نَمُوذَجٌ

(١) شَرِبْتُ ماءَ النِّيل.

(٢) ألقَى الخطيبُ كلمةً كانَ لها كبيرُ الأَثر.

(٣)قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢].

(٤) يَلْبَسُ المصريونَ القطنَ الذي تُنتِجُهُ بلادُهم.

(٥) قال المتنبي[٢]:

وَالأعوَجيّةُ مِلءُ الطُّرْقِ خَلفَهُمُ وَالمَشرَفيّةُ مِلءُ اليوْمِ فَوْقَهُمُ

(٦) سأُوقدُ ناراً.

الإجابةُ:

(١) ماءَ النيل يرادُ بعضُ مائه فالمجاز مرسلٌ، علاقته الكليةُ.

(٢) الكلمةَ يراد بها كلام " " " الجزئيةُ.

(٣) القريةَ يراد بها أهلها، والمجاز مرسل، علاقته المحليةُ.

---

[١] ومن المجاز المرسل نوع يقال له المجاز المرسل المركب، وهو كل تركيب استعمل في غير ما وُضع له لعلاقة غير المشابهة، وذلك كالجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء للتحسر وإظهار الحزن كما في قول ابن الرومي.

بان شبابي فعزَّ مطلبه وانبتّ بيني وبينه نسبه

فهذا البيت مجاز مرسل مركب علاقته السببية والقرينة حالية، فإن ابن الرومي لا يريد الإخبار، ولكنه يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب.

[٢] شرح ديوان المتنبي - (ج ١/ ص: ٣٠١).

(٤) القطنَ يراد به نسيجٌ كان قطناً والمجاز مرسل، علاقته اعتبارُ ما كانَ.

(٥) ملءَ اليوم يراد به ملء الفضاء الذي يشرق عليه النهار فالمجازُ مرسلٌ علاقته الحالِّيةُ.

(٦) نارًا يراد به حطبٌ يئولُ إلى نار فالمجازُ مرسلٌ علاقته اعتبار ما يكونُ.

الأمثلةُ القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [سورة ص: ٣]. القرن مأة عام، والهلاك لأهله. ففيه مجاز، بحيث أطلق الكل، وأريد البعض.

(٢) قال الله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [سورة الزمر: ١٩]، أطلق السبب "محمد" بضمير أنت، وأريد المسبب "الله تعالى"، لأنه من شأنه أن ينقذ من هو في الضلال والهلاك، وإطلاق الإنقاذ على النبي صلى الله عليه وسلم في الآية إطلاق السبب على المسبب.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [سورة المؤمن: ١٣]، أطلق المسبب رزقًا، وأطلق السبب الماء، بأن الله تعالى يكرم عباده بإنزال الماء من السماء، وهذا الماء يكون سببًا في الرزق، فالرزق مسبب عن الماء.

(٤) قال الله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء: ٩٢]، أطلق جزء "الرقبة" وأريد به الكل الرقّ.

(٥) قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١١٩]، أطلق الكل "أصابعهم"، وأريد به الجزء.

(٦) قال الله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء: ٣]، فسمى اليتامى باعتبار ما كان.

(٧) قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [سورة يوسف: ٦]، أطلق الخمر على العنب باعتبار ما يكون في المستقبل.

(٨) قال الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [سورة العلق: ١٧]، أطلق المحل وأريد به الحال، أي الذي ينزل من الرجال.

(٩) قال الله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٧]، أطلق الحال وأريد به المحل، لأن المراد منها أنهم خالدون في الجنة.

الأسئلة:

(١) عرِّف المجاز المرسل بالأمثلة؟

(٢) ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [سورة يوسف: ٨٢].

أجرِ في هذه الآيةِ القاعدةَ المذكورة في الكتاب.

الدرس السادس عشر

المجازِ العقليِّ

الأمثلةُ:

(١) قال المتنبيّ يصف ملك الروم بعد أن هزَّمه سيف الدولة:

ويَمْشِيْ بهِ العُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً   وَقَدْ كَانَ يأبَى مَشْىَ أشْقَرَ أجْرَدَا[1]

(٢) بَنَى عمرو بن العاص مدينةَ الفسطاط.

(٣) نهارُ الزاهدِ صائمٌ وليلُه قائمٌ.

(٤) ازدحمت شوارعُ القاهرة،

(٥) جَدَّ جِدُّكَ وَكَدَّ كِدُّكَ.

(٦) قال الحُطيئةُ:

دَعِ المَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا   وَاُقْعُدْ فإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

(٧) وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٥]:

(٨) وقالَ تعَالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦١]:

البحثُ:

اُنظر إلى المثالين الأولين تجد أن الفعل في كل منهما أُسْنِد إلى غير

---

[1] العكاز: عصا في طرفها زج، وقوله مشي أشقر أجرد: أي مشي جواد أشقر أجرد، والأشقر من الخيل: الأحمر، والأجرد: القصير الشعر، يقول: إنه أقامَ في دير الرهبان، وصار يمشي على العكاز تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الجواد الأشقر، وهو أسرع الخيل عند العرب.

فاعله، فإن العكازَ لا يمشي، والأميرَ لا يبني، وإنما يسير صاحب العصا، ويبني عُمَّال الأَمير، ولكن لما كان العكاز سبباً في المشي والأميرُ سبباً في البناء أسْند الفعل إلى كل منهما.

ثم انظر إلى المثالين التاليَين تجد أن الصوم أُسند إلى ضمير النهار، والقيام أُسْند إلى ضمير الليل، والازدحام أُسند إلى الشوارع، مع أن النهار لا يصوم، بل يصوم مَنْ فيه، والليل لا يقومُ، بل يقوم مَنْ فيه، والشوارع لا تزدحم، بل يزدحم الناس بها، فالفعل أو شِبْهُهُ في هذين المثالين أُسند إلى غير ما هو له، والذي سوَّغ ذلك الإسناد أن المسند إليه في المثالين زمانُ الفعل أو مكانه.

وفي المثال الخامس أُسند الفعلان "جَدَّ" و"كَدَّ" إلى مصدرَيهما ولم يُسند إلى فاعلَيهما، وفي المثال السادس يقول الحطيئة لَمن يَهْجوه: " واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي" فهل تظن أنه بعد أن يقول: لا ترحل لطلب المكارم يقول له: إنك تطْعم غيرَكَ وتكسوه؟ لا. إنما أراد اقعد كلاًّ[1] على غيرك مطعوماً مكْسُوًّا فأُسند الوصف المسند للفاعل إلى ضمير المفعول.

وفي المثالين الأخيرين جاءت كلمة "مستوراً" بدل ساتر، و"مأتياً" بدل آت، فاستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل، وإن شئت فقل: أسند الوصف المبنيُّ للمفعول إلى الفاعل.

فأنت ترى من الأمثلة كلها أنَّ أفعالاً أو ما يشبهها لم تُسند إلى فاعلها الحقيقي، بل إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، وأنَّ صفات كانت من حقها أن تسند إلى المفعول أُسندت إلى الفاعل، وأُخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل أُسندت إلى المفعول، ومن الهيِّن أن تعرف أن هذا الإسناد غير حقيقي، لأن الإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالإسناد إذاً هنا مجازي، ويسمى بالمجاز العقلي، لأن المجاز ليس في

---

[1] الكل: مَن يعوله غيره.

اللفظ كالاستعارة والمجاز المرسَل ؛ بل في الإسناد وهو يدرك بالفعل.

القواعدُ:

(٢٣) المجازُ العقليُّ هو إسنَادُ الفِعل أوْ مَا في معْنَاهُ إلى غيرِ ما هُوَ لَه لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعة من إرادةِ الإسنَادِ الحقيقيِّ.

(٢٤) الإسنادُ المجازيُّ يكونُ إلى سبَب الفعلِ أوْ زمانِه أو مكانِه أو مصدرِه ، أو بإسنادِ المبني للفاعل إلى المفعول أو المبنيِّ للمفعول إلى الفاعِل.

نمُوذَجٌ

(١) قال أبو الطيب :

أبَا المسْكِ أرْجو مِنْكَ نَصْراً عَلَى العِدَا ... وآمُلُ عِزًّا يخصِبُ البِيْض بالدَّم[1]

ويَوْماً يغيظ الحَاسِدِيْن وحَالَةً ... أقِيمُ الشقَا فيْهَا مُقَامَ التَّنَعُّم[2]

(٢) قالَ تعَالى : ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾ [سورة هود : ٤٣].

(٣) ذهبنَا إلى حديقة غنَّاء.

(٥) بَنَت الحكومة كثيْراً من المدارس بمصر.

(٦) وقالَ أبو تمَّام :

تَكَادُ عَطَايَاه يُجَنُّ جُنُونُهَا ... إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا برُقْيَةِ طَالِبِ[3]

الإجابةُ:

١ ـ (أ) عِزًّا يخضِبُ البيض بالدم.

---

[1] أبو المسك : كنية كافور الأخشيدي ، والبيض : السيوف ، يقول : أرجو منك أن تنصرني على أعدائي ، وأن توليني عزًّا أتمكن به منهم وأخضب سيوفي بدمائهم.

[2] يقول : وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حُسادي لما يرون من إعطائك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقال منهم فأتنعَّم بشقائي في حربهم.

[3] يعوذها : يحصنها ، والرقية : العودة ، جمعها رقي.

إسناد خَضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي لأنَّ العز لا يخضب السيوف ولكنَّهُ سبب القوة وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي العبارة مجاز عقليّ علاقته السببية.

(ب) ويوماً يغيْظُ الحاسدين.

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أنَّ اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ: ففي الكلام مجازٌ عقليٌّ علاقته الزمانية.

٢ ـ ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

المعنى لا معصوم[1] اليوم من أمر الله إلاَّ مَنْ رحِمَه الله، فاسم الفاعل أُسند إلى المفعول، وهذا مجازٌ عقْليٌّ علاقته المفعولية.

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء.

غنَّاء مشتقة من الغَنِّ؛ والحديقة لا تَغَنُّ وإنما يغَنُّ عصافيرها أوْ ذُبابها؛ ففي الكلام مجازٌ عقليٌ علاقته المكانية.

٤ ـ بنت الحكومة كثيْراً من المدارس.

الحكومة لم تبْنِ بنفسها ولكنَّها أمرت؛ ففي الإسْنادِ مجازٌ عقليٌّ علاقته السببية.

٥ ـ تكادعطاياه يُجن جنونها.

إسناد الفعل إلى المصدر مجازٌ عقليٌّ علاقته المصدرية.

❖❖❖

---

[1] يجوز أن تكون "عاصم" مستعملةً في حقيقتها، ويكون المعنى لا شيء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم، فإنه هو الذي يعصمه.

الدرس السابع عشر

بلاغةُ المجازِ المرسلِ والمجازِ العقليِّ

إذا تأملتَ أنواع المجاز المرسل والعقلي رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنَى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: "هزمَ القائدُ الجيشَ" أو "قرَّرَ المجلس كذا "كان ذلك أوجزَ من أنْ تقول: "هزمَ جنودُ القائد الجيش"، أو "قرَّر أهل المجلس كذا"، ولا شكَّ أنَّ الإيجاز ضربٌ من ضروب البلاغة. وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين هو المهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازيِّ، بحيث يكون المجاز مصوراً للمعنى المقصود خير تصوير كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثير بالوشاية. والخفِّ والحافر على الجمال والخيل في المجاز المرسل، وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي، فإن البلاغة توجبُ أنْ يختار السبب القوي والمكان والزمان المختصان.

وإذا دققتَ النظر رأيت أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعل المجاز رائعاً خلاباً، فإطلاقُ الكلِّ على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: " فلان فٌم "تريد أنه شره يلتقم كلَّ شيء. أو " فلانٌ أنفٌ " عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف فتبالغ فتجعله كله أنفاً. ومما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أُنافيٍّ[1]

---

[1] رَجُلٌ أُنافِيٌّ بِالضَّمِّ أَي: عَظِيمُ الأَنْفِ - تاج العروس - (ج ١/ ص: ٥٧٢٧) والمخصص - (ج ١/ ص: ٧٦).

قوله : "لست أدري أهو في أنفه أمْ أنفهُ فيه".

الأسئلة:

اذكر الفرق بين المجاز المرسل والمجاز العقلي.

الأمثلة القرآنية:

١ـ ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا﴾ [سورة القصص : ٥٧]، الحرم لا يكون آمناً لأنَّ الإحساس بالأمن من صفات الأحياء، وإنَّما هُو مأمون، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول، وهذا مجازٌ عقليٌّ، علاقته المفعولية.

٢ـ ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [سورة الغافر : ٣٦ـ ٣٧] في إسنادِ البناء إلى هامان مجازٌ عقليٌّ، علاقته السببية.

٣ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [سورة الأنعام : ٦]، ففي إطلاق السماءِ على المطر مجازٌ مرسلٌ، علاقته المحلية.

٤ـ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر : ٢٢] وجاء ربك أي أمر ربك بالفصل في مصير الناس يوم القيامة، وفي إطلاق الرب وإرادة أمره مجازٌ مرسلٌ، علاقته السببية، لأنَّ الله هو سبب هذا الأمر.

الأسئلة:

١ـ ما هو المجاز العقلي؟ عرِّفه واذكر مثاله.

٢ـ كيف يكون الإسناد المجازي؟

الدرس الثامن عشر

الكنايةُ

الأمثلةُ:

(١) تقولُ العربُ: فلانةٌ بعيدةُ مهوَى القُرط.

(٢) قالت الخنساء[١] في أخيها صخرٍ:

طويـلُ النجـادِ رفيـعُ العمـادِ   كثيُـر الرمـادِ إذا مـا شـتا

(٣) وقال آخرُ في فضل دار العلوم في إحياءِ لغة العربِ:

وجـددتُ فيـكِ بنـتُ عـدنانَ   داراً ذكَّرتَهـا بـداوةَ الأعـرابِ

(٤) وقال آخرُ:

الضَّـاربين بكـلِّ أبـيضَ مخـذَمٍ   والطـاعنينَ مجـامعَ الأضـغانِ[٢]

(٥) المجدُ بين ثوبيكَ والكرمُ ملءَ بُرديكَ.

البحثُ:

مهوى القرط المسافةُ من شحمة الأذن إلى الكتف، وإذا كانت هذه

---

[١] الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، أشهر شاعرات العرب، وأشهرهن على الإطلاق شاعرة نجدية عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت وهي من أولى طبقات الرثاء، وفدت على الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومها وكان يستنشدها ويعجبه شعرها، استشهد أولادها الأربعة في القادسية سنة ١٦ هـ فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وتوفيت سنة ٢٤ هـ.

[٢] والمخذم بالذال المعجمة السيف، والأضغان: جمع ضغن، وهو الحقد.

المسافة بعيدةً لزم أنْ يكون العنق طويلاً ، فكأنَّ العربي بدل أنْ يقول : "إن هذه المرأة طويلة الجِيد" نفحنا بتعبير جديد يفيد اتصافها بهذه الصفة.

وفي المثال الثاني تصف الخنساء أخاها بأنه طويل النجاد ، رفيع العماد ، كثير الرماد. تريد أنْ تدل بهذه التراكيب على أنه شجاع ، عظيم في قومه ، جواد ، فعدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الإشارة إليها والكناية عنها ، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، ثم إنه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون عظيم المكانة في قومه وعشيرته ، كما أنه يلزم من كثرة الرماد كثرةُ حرق الحطب ، ثم كثرة الطبخ ، ثم كثرة الضيوف ، ثم الكرم ، ولما كان كل تركيب من التراكيب السابقة ، وهي بعيدة مهوى القرط ، وطويل النجاد ، ورفيع العماد ، وكثير الرماد ، كُنيَ به عن صفة لازمة ، لمعناه ، كان كلُّ تركيبٍ من هذه وما يشبهه كناية عن صفة.

وفي المثال الثالث أراد الشاعر أن يقول : إن اللغة العربية وجدت فيكِ أيتها المدرسة مكاناً يذكرها بعهد بدواتها.فعدل عن التصريح باسم اللغة العربية إلى تركيب يشير إليها ويعدُّ كناية عنها وهو بنت عدنان.

وفي المثال الرابع أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس ، وهو مجامعُ الأضغان ، لأنَّ القلوب تُفهم منه إذ هي مجتمع الحقد والبغض والحسد وغيرها.

وإذا تأملت هذين التركيبين وهما : بنت عدنان ، مجامع الأضغان رأيت أنَّ كلاً منهما كُني به عن ذات لازمة لمعناه ، لذلك كان كل منهم كنايةً عن موصوف وكذلك كلُّ تركيب يماثلها.

أما في المثال الأخير فإنك أردت أن تنسب المجد والكرم إلى من تخاطبه ، فعدلت عن نسبتهما إلى ما له اتصال به ، وهو الثوبان والبردانِ ، ويسمَّى هذا

المثال وما يشبهه كنايةٌ عن نسبة. وأظهر علامة لهذه الكناية أنْ يصرحَ فيها بالصفة كما رأيت، أو بما يستلزم الصفة، نحو: في ثوبيه أسدٌ، فإن هذا المثال كنايةٌ عن نسبة الشجاعة.

وإذا رجعت إلى أمثلة الكناية السابقة رأيت أنَّ كُلاًّ منها ما يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي الذي يفهم من صريح اللفظ، ومنها مالا يجوز فيه ذلك.

القواعدُ:

(٢٥) الكنايةُ لفظٌ أطلقَ وأريدَ به لازمُ معناهُ مع جوازِ إرادة ذلك المعنَى.

(٢٦) تنقسمُ الكنايةِ باعتبارِ المكني عنه ثلاثةَ أقسامٍ، فإنَّ المكني عنه قد يكون صفةً، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبةً[1].

نموذجٌ

(١) قال المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب:

فَمَسّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ... وَصَبّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ

وَمَنْ فِي كَفّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ... كمَنْ فِي كَفّه منهُمْ خِضابُ[2]

(٢) وقال في مدح كافور:

إنّ فِي ثَوْبِكَ الذي المَجْدُ فيهِ ... لَضِيَاءً يُزْري بكُلّ ضِيَاءِ[3]

---

[1] إذا كثرت الوسائط في الكناية نحو: (كثير الرماد) سميت تلويحاً. وإن قلت وخفيت نحو: (فلان من المستريحين) كناية عن الجهل والبلاهة، سميت رمزاً. وإن قلت الوسائط ووضحت أو لم تكن، سميت إيماء وإشارة، نحو: (الفضل يسير حيث سار فلان) كناية عن نسبة الفضل إليه. ومن الكناية نوع يسمى التعريض، وهو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنىً آخرَ يفهم من السياق، كأن تقول لشخص يضر الناس: (خير الناس أنفعهم للناس)، وكقول المتنبي يعرض بسيف الدولة وهو يمدح كافوراً:

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى ... فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياْ

[2] القناة: عود الرمح.

[3] أزرى به: استهان، يقول: إن في ثوبك لضياءً من المجد يفوق كل ضياء بقوة إشراقه.

الإجابةُ:

١ - كنى بكون بسطهم حريراً عن سيادتهم وعزتهم، وبكون بسطهم تراباً عن حاجتهم وذلهم، فالكناية في التركيبين عن الصفة.

٢ - وكنَّى بمن يحمل قناة عن الرجل، وبمن في كفه خضابٌ عن المرأة، وقال: إنهما سواء في الضعف أمام سطوة سيف الدولة وبطشه، فكلتا الكنايتين كنايةٌ عن موصوف.

٣ - أراد أنْ يثبت المجد لكافور، فترك التصريح بهذا وأثبته لما له تعلق بكافور وهو الثوب، فالكناية عن نسبةٍ.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [سورة الصافات: ٤٨] كنى بذلك عن الحور العِين، لأنهن عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

الكناية عن الصفة:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]، الكناية عن الاعتدال، وهي صفة.

الكناية عن الموصوف:

(٢) قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [سورة الزخرف: ١٨] (أي من هو في الجدال غير مظهر لحجته لضعف رأيه)، وهو موصوف.

الكناية عن النسبة:

(٣) قال الله تعالى: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٦]، كنى تعالى بالمسّ عن الجماع تأديبًا للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يخاطبون به، وهو نسبة.

الدرس التاسع عشر

بلاغةُ الكِنايةِ

الكنايةُ مَظهرٌ من مظاهر البلاغةِ، وغايةٌ لا يصل إليها إلا من لطفُ طبعُه، وصفتْ قريحتُه، والسرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرةٍ تعطيك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها برْهانها، كقول البحتري في المديح:

يَغضُّونَ فَضْلَ اللّحظِ مِن حَيثُ ما بدا لهمْ عَنْ مَهيبٍ، في الصّدورِ، مَحبَّبِ

فإنه كنَى عن إكبار الناس للممدوحِ، وهيبتِهم إياه، بغضِّ الأبصارِ الذي هو في الحقيقة برهانٌ على الهيبة والإجلالِ، وتظهرُ هذه الخاصةُ جليةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

ومن أسباب بلاغةِ الكنايات أنها تضعُ لكَ المعاني في صورة المحسوساتِ، ولا شكَّ أن هذه خاصةُ الفنون، فإنَّ المصورِّ إذا رسم لك صورةً للأملِ أو لليأسِ، بهرَكَ وجعلكَ ترى ما كنتَ تعجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً، فمثلُ كثيرِ الرمادِ في الكناية عن الكرمِ، ، ورسولُ الشرِّ، في الكنايةِ عن المزاحِ.

وقول البحتريِّ:

أو ما رأيتَ المجْدَ ألقى رحلَهُ في آل طلحةَ ثمَّ لمْ يتحوَّلِ

وذلك في الكنايةِ عن نسبةِ الشرف إلى آل طلحةَ.

كلُّ أولئك يبرز لك المعاني في صورةٍ تشاهدُ، وترتاحُ نفسُك إليها.

ومن بدائع الكنايات قولُ بعض العرب :

أَلاَ يــا نَخْلــةً مِــنْ ذَاتِ عِــرْقٍ عَلَيْــك وَرَحْمَــةُ اللّــهِ السّــلامُ

فإنه كنَى بالنخلةِ ، عن المرأة التي يحبُّها.

ولعل هذا المقدار كاف في بيان خصائص الكناية وإظهار ما تضمنته من بلاغة وجمال.

الأسئلة:

اشرح بلاغة الكناية بغاية من التفصيل.

=====

الباب الثاني

علم المعاني

الدرس الأول

تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء

علم المعاني هو دراسة تُعِينُ على تأْدية الكلام مطابقاً لمقتضى الحال.

الأمثلةُ:

(١) قال أبو إسحاق الغزيّ[١] :

لولا أبو الطيب الكنديُّ ما امتلأتْ   مسامع الناس من مدح ابن حمدان

(٢) وقال أبو الطيب:

لا أشرَئب إلى ما لم يفتْ طمعًا   ولا أبيتْ على ما فاتَ حسرانًا[٢]

(٣) وقال أبو العتاهية:

إن البخيل وإن أفاد غنى   لترى عليه مخايلُ الفقر[٣]

❁❁❁

(٤) وقال بعض الحكماء لابنه:

---

[١] شاعر مجيد، أتى في قصائده الطوال بكل بديع، وُلد بغزة، وهي بلدة بالشام وتوفي سنة ٥٢٤هـ.

[٢] اشراب إلى الشيء: تطلع إليه.

[٣] أفاد غنى بمعنى استفاده، والمخايل: العلامات، يقول: إن البخيل تظهر عليه دائمًا..... الفقر وعلاماته، وإن كان غنيًا كثير المال.

يـا بـنيَّ تعلـمْ حُسْـنَ الاسـتماع   كمـا تـتعلم حُسْـنَ الحـديث

(٥) وأوصى عبد الله بن عباس[١] رجلاً فقال :

لا تتكلم بما لا يعنيك ، ودع الكلام في كثير مما يعنيك حتى تجد له موضعا.

(٦) وقال أبو الطيب :

لا تلْقَ دهـركَ إلا غـيرَ مكـترثٍ   ما دامَ يصحب فيه روحك البدن[٢]

البحث:

يخبرنا أبو إسحاق الغزي بأن أبا الطيب المتنبي هو الذي نشر فضائل سيف الدولة بن حمدان وأذاعها بين الناس ، ويقول : لو لا أبو الطيب ما ذاعت شهرة هذا الأمر ، ولا عرف الناس من شمائله كل الذي عرفوه. وهذا قول يحتمل أن يكون الغزي صادقًا فيه كما يحتمل أن يكون كاذبًا ؛ فهو صادق إن كان قوله مطابقًا للواقع ، كاذب إن كان قوله غير مطابق للواقع.

والمتنبي في المثال الثاني يخبر عن نفسه بأنه قانع راض بحاله التي هو فيها ، فليس من عادته أن يتطلع مستشرفًا إلى ما هو آت ، وليس من دأبه أن يندم على ما فات ، ومن المحتمل أن يكون كاذبًا غير صادق.

كذلك يجوز أن يكون أبوالعتاهية في المثال الثالث صادقًا فيما قال وادعى ، ويجوز أن يكون غير صادق.

انظر بعد ذلك إلى المثال الرابع تجد قائله ينادي ولده ويأمره أن يتعلم حسْن الحديث ، وذلك كلام لا يصحُّ أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب ؛ لأنه لا يعْلمنا بحصول شيء أو عدم حصوله ، وإنما هو ينادي ويأمر.

كذلك لا يصح أن يتصف عبد الله بن عباس في المثال الخامس ، والمتنبي

---

[١] هو عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أحد أكابر الصحابة سمي بالحبر لسعة علمه ، ومات بالطائف سنة ٦٨هـ.

[٢] يقول : لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حيًا ، فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحي ، يأس مع الحياة.

في المثال السادس بالصدق أو الكذب، لأن كلاً منهما لا يخْبر عن حصول شيء أو عدم حصوله، ولو أنك تتبعت جميع الكلام لوجدته لا يخرج عن هذين النوعين، ويُسمى النوع الأول خبراً والنوع الثاني إنشاء.

انظر بعد ذلك إلى الجمل في الأمثلة السابقة أو في غيرها تجد كل جملة مكونة من ركنين أساسيين هما المحكوم عليه والمحكوم به، ويسمى الأول مسندًا إليه، والثاني مسندًا، أما ما عداهما فهو "قيد" في الجملة وليس ركناً أساسياً.

القواعدُ:

(١) الكلام قسمان: خبر وإنشاء:

أ ـ فالخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقًا للواقع كان قائله صادقًا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبًا.

ب ـ والإنشاء ما لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب.

(٢) لكل جملة من جمل الخَبر والإنشاءِ ركنان: محكوم عليه، ومحكوم به، ويسمى الأول مسندًا إليه، والثاني[١] مسندًا[٢]، وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصلة فهو قيد[٣].

نموذجٌ

لبيان أنواع الجمل وتعيين المسند إليه في كل جملة رئيسية[٤].

---

[١] مواضع المسند إليه: الفاعل ونائبه والمبتدأ الذي له خبر وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها.

[٢] مواضع المسند هي الفعل التام، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه، وخبر المبتدأ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، واسم الفعل، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

[٣] القيود هي أدوات الشرط والنفي والمفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنواسخ.

[٤] تنقسم الجملة عند علماء المعاني إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيدًا في غيرها. والثانية ما كانت قيدًا في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

(١) قال عبد الحميد الكاتب[1] يوصي أهل صِناعته بمحاسن الآداب:
تنافسوا[2] يا معاشر الكتاب في صنوف الآداب، وتفهموا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل ثم العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم[3]، ثم أجيدوا الخط فإنه حِليةُ كُتبكُمْ، وارووا الأشعارَ واعرفوا غَريبها ومَعانيها وأيامَ العرب والعَجَم وأحاديْثَها وسيرَها، فإن ذلك مُعين لكم على ما تَسمُو إليه هِمَمُكمْ.

(٢) قال أبو نواس:

الرزقُ والحرمانُ مجراهُما بما قضى اللّه وما قدرَا

فاصبرْ إذا الدهرُ نبَا نَبوةً فجُنَّة الحازِمِ أن يَصبرا

إجابةُ (١)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
تنافسوا	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل(تنافس)
يا معشر الكتاب	إنشائية	{الفاعل المستتر في الفعل أدعو الذي نابت عنه يا}	الفعل (أدعو)
وتفهموا في الدين	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل تفهم
وابدؤوا بعلم كتاب الله	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل ابدأ
فإنها نفاق ألسنتكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (نفاق)
أجيدوا الخط	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل أجدْ
فإنه حلية كتبكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (حلية)

[1] هو أبو غالب بن يحيى بن سعد، كان كاتباً مبدعًا، وقد برع في إنشاء الرسائل وضرب المثل ببلاغته في الكتابة، حتى قال الثعالبي: فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وقد كتب لمروان آخر ملوك بني أمية وقتل معه سنة ١٣٥هـ.

[2] تنافسوا: تباروا.

[3] ثقاف: ما يثقف منه الرماح.

واروُوا الأشعار	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (ارو)
واعرفوا غريبها	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل (عرف)
فإن ذلك معين لكم	خبرية	اسم إن (اسم الإشارة)	خبر إن (معين)

إجابةُ (١)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
{الرزق والحرمان إلى آخر البيت}	خبرية	المبتدأ (الرزق)	الخبر (جملة مجراهما إلخ)
فاصبر	إنشائية	الفاعل (الضمير في اصبر)	الفعل (اصبر)
فجنة الحازم أن يصبر	خبرية	المبتدأ (جنة الحازم)	الخبر (أن يصبر)

الأمثلة القرآنية:

مثال الخبر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الفاتحة: ١).﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة: ٢٠) هذا مطابق للواقع. ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾(النازعات: ٢٤)، ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾(البقرة: ٢٥٨) خبر، لكنه غير مطابق للواقع.

ومثال الإنشاء: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [سورة النازعات: ١٧]، ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢] هذا كلام صادق لأن الله قائله، وهو لا يحتمل الصدق والكذب.

الأسئلة:

١ـ عَرِّف الخبر والإنشاء.

٢ـ اشرح البيت التالي:

لا تلق دهرك إلاَّ غير مكترث

ما دام يصحب فيه روحك البدن

٣ـ اذكر أركان الخبر والإنشاء.

الدرس الثاني

الخَبَرُ

الغرضُ من إلقاء الخبر

الأَمثلةُ:

(١) وِلِدَ النبي صَلَّى اللهُ عَليهَ وسَلَمَ عَامَ الفِيل[1]، وَأُوحيَ إِلِيَه فِي سنِّ الأَربَعين، وأَقامَ بمَكةَ ثَلاَث عشْرَةَ سنَةً، وَبالْمَدِينَةِ عَشْرًا.

(٢) كانَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز[2] لا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ المال شيئاً، وَلا يُجْرِي عَلَى نَفسِهِ مِنَ الفيء[3] دِرْهَماً.

(٣) لَقدْ نَهضْتَ مِنْ نَوْمكِ اليومَ مُبَكرًا

(٤) أَنْتَ تَعْمَلُ فِي حَدِيقَتِك كلَّ يَوْم.

۞۞۞

---

[1] عام الفيل: هو العام الذي غزا فيه أبرهة ملك اليمن مكة، ثم رجع عنها خائبا بعد أن تفشى المرض في جنده. ومات فيله.

[2] هو الخليفة الصالح والملك العادل عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن االحكم الأموي. ولى الخلافة سنة ٩٩ هـ وتوفي سنة ١٠١هـ، وأخبار عدله وزهده كثيرة مشهورة، انظر كتاب الصلابي في ترجمة الخليفة العادل عمر رحمه الله.

[3] الفيء: الخراج والغنيمة.

(٥) قال يَحيى البَرْمَكيُّ[١] يُخَاطِبُ الخليفةَ هارُونَ الرَّشيد[٢] :

إن البرامكــة الــذِينَ رُمُــوا لَــدَيْك بداهيــه

صُـفْرُ الوُجـوهِ عَلَـيْهِمُ خِلَـع المَذَلَّـةِ بَادِيَـهْ[٣]

(٦) قال الله تعالى حكاية عن زكريَّا عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [سورة مريم : ٤].

(٧) قال أحد الأعراب يرْثي وَلَدَهُ :

إذا ما دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدكَ والبُكـا ... أجابَ البُكـا طَوْعاً ولَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ[٤]

فـإِنْ يَنْقطِـعْ منـكَ الرَّجـاءُ فإنَّـه ... سَيَبْقَى عليك الحُزْنَ مـا بَقِـيَ الـدَّهْرُ

(٨) قال عَمْرُو بْنُ كُلْثوم[٥] :

إِذَا بَلَـغَ الفِطَـامَ لَنَـا صَـبِيٌّ ... تَخِـرُّ لَـهُ الجَبَـابِرُ سَـاجِدِيْنَا

(٩) كَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الحُسَيْن[٦] إلى العباس بن موسى الهادي[٧] وقَدْ

---

[١] هو أبو الفضل يحي بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، كان كاتبا بليغا صائب الرأي حسن التدبير يباري الريح كرما وجودا، سجنه هارون الرشيد حين تغير على البرامكة، وبقي في سجنه حتى مات سنة ١٩٠هـ.

[٢] هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم، كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه، بويع بالخلافة سنة ١٧٠ وتوفي بطوس سنة١٩٢هـ.

[٣] الخلع : الملابس، يقول : إن ملابس الذل ظاهرة عليهم.

[٤] الأسي : الحزن.

[٥] هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم ينتهي نسبه إلى تغلب وهو صاحب المعلقة التي مطلعها : "ألا هبى بصحنك فاصبحينا".

[٦] هو أبو الطيب طاهر بن الحسين من كبار الوزراء. أدبا وحكة وشجاعة، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي وتوفى بمدينة مرو سنة ٢٠٧ هـ.

[٧] هو ثالث أبناء موسى الهادي الخليفة العباسي الرابع، كان عاملاً على الكوفة من قبل الأمين، وتوفي سنة ١٩٦هـ.

استبطأه في خَراج ناحيته :

وَلَيْسَ أخُو الحاجاتِ مَنْ بات نائماً ولَكنْ أَخُوها مَنْ يَبيتُ على وَجَلْ

البحثُ:

تدبَّر المثالين الأَولين تجد المتكلم إنما يَقْصِد أَن يُفيد المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبرُ في كل مثال، ويسمىَّ هذا الحكم فائدة الخبر، فالمتكلم في المثال الأَول يريد أن يُفيد السامع ما كان يجهله من موْلِدِ الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الإِيحاءَ إليه، والزمن الذي أقامه بعد ذلك في مكة والمدينة وهو في المثال الثاني يخبره بما لم يكن يعرفه عن عُمَرَ بن عبد العزيز من العِفة والزهد في مال المسلمين.

تأمل بعد ذلك المثالين التاليين، تجد المتكلم لا يَقْصِد منهما أن يفيد السامع شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام؛ لأنَّ ذلك معلومٌ للسامع قبل أن يعْلمه المتكَلم، وإنما يريد أن يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام. فالسامع في هذه الحال لم يستفد علماً بالخبر نفسِه، وإنما استفاد أنَّ المتكلم عالمٌ به، ويسمَّى ذلك لازمَ الفائدة.

انظر إلى الأمثلة الخمسة الأخيرة تجد أنَّ المتكلم في كل منها لا يقصد فائدة الخبر ولا لازم الفائدة، وإنما يَقْصِد إلى أشياءَ أخرى يَسْتطلعها اللبيب ويَلمَحُها منْ سِياق الكلام، فيحيى البرمكي في المثال الخامس لا يقصد أَن ينبئ الرشيد بما وصل إليه حاله وحال ذوي قُرْباه من الذلِّ والصَّغار، لأن الرشيد هو الذي أمر بهِ فهو أولى بأن يعلمه، ولا يريد كذلك أَن يفيده أَنه عالم بحال نفسه وذوي قرابته. وإنما يَستعطفه ويسترحمه ويرجو شفقته، عسى أَن يصغي إليه فيعودَ إلى البرّ به والعطف عليه. وفي المثال السادس يصف زكريا عليه السلام حالَه ويُظهر ضعفه ونفاد قوته. والأعرابيُّ في المثال السابع يتحسر ويُظهر الآسى والحزن على فقْدِ ولده وفلذةِ كَبده. وعمْرو بن

كلثوم في المثال الثامن يَفخَر بقومه، ويباهي بما لهم من البأس والقوة: وطاهرُ بنُ الحسين في المثال الأخير لا يقصد الإخبار. ولكنه يَحُثُّ عاملَه على النشاط والجدِّ في جباية الخراج، وجميع هذه الأَغراض الأخيرة إِنما تفهَم من سياق الكلام لا منْ أصْلِ وضْعِهِ.

القواعدُ:

(٣) الأَصْلُ في الخَبر أن يُلقَى لأحد غَرَضيْن:

(أ) إِفَادَةُ المخاطَبِ الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ، وَيسَمَّى ذلك الْحُكْمُ فَائِدَةَ الخَبر.

(ب) إفادة المخاطبِ أنَّ المتكلِّم عالمٌ بالحكْمِ، ويُسَمَّى ذلك لازمَ الفائدة.

(٤) قَدْ يُلْقَى الخَبْرُ لأغراض أخرى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاق، مِنْها ما يأتي:

(أ) الاسترحامُ.

(ب) إِظْهارُ الضعْفِ.

(ج) إظْهارُ التحسر.

(د) الفَخرُ.

(هـ) الحَثُّ على السعي والجدِّ.

نموذجٌ في بيان أغراض الأخبار

(١) كان مُعاوِيةُ[1] رضي الله عنه حَسَنَ السياسةِ والتَّدْبيرِ، يحْلَمُ في موضع الْحِلْم، وَيَشتَد في موضِع الشِّدَّة[2].

(٢) لَقدْ أدَّبتَ بَنِيكَ باللين والرفقِ لا بالقَسْوَةِ والعِقاب.

---

[1] هو من أجلة الصحابة، وأحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، يضرب المثل بحلمه وكياسته، وهو أول خلفاء الدولة الأموية، استقام له الملكُ عشرين سنة، وتوفى سنة ٦٠هـ.

[2] انظر كتاب معاوية بن أبي سفيان للصلابي، وكتاب محمد منير الغضبان من سلسلة أعلام المسلمين عنه.

(٣) تُوفِيَ عُمَرُ بنُ الخطاب رَضي الله عنه سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين من الهجرة.

(٤) قال أبو فِراس الحَمدَاني :

ومكارمي عددُ النجوم؛ ومنزلي   مأوَى الكِرَامِ، وَمَنزِلُ الأضْيَافِ

(٥) قال أبو الطيب :

وَمَا كُلّ هَاوٍ للجَميلِ بفاعِلٍ   وَلا كُلّ فَعّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

(٦) وقال أيضا يَرثي أخت سَيْفِ الدَّوْلة :

غدَرْتَ يا مَوْتُ كم أفنَيتَ من عدَدٍ   بمَنْ أصَبْتَ وكم أسكَتَّ من لجَبِ[1]

(٧) قال أبو العتاهية يَرثي وَلَدَهُ علياًّ :

بكيتُكَ يا عليٌّ بدَمْع عيني   فَمَا أغنى البُكاءُ عليك شيأً

وكانَتْ في حَيَاتك لي عِظاتٌ   وأنْتَ اليَومَ أوعَظُ مِنْكَ حَيا

(٨) وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر :

إنَّ الثَّمانِينَ، وبُلِّغْتَها قد   أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى تُرْجُمانْ

(٩)و قال أبو العلاء المعرِّي :

وَلِى منطِق لَم يرضَ لي كُنْهَ منزلي   عَلَى أنني بيْنَ السماكَينِ نازلُ[2]

(١٠) قال إبراهيمُ بن المَهْدي[3] يخاطب المأمون[4] :

أتَيْتُ جُرْمًا شنيعاً   وأنْتَ لِلْعَفْوِ أهْلُ

---

[1] اللجب : الضجيج : اختلاف الأْصوات ، يقول غدرت يا موت بسيف الدولة حين اغتلت أخته ، كنت تفني به العدد الكثير من أعدائه وتسكت لجبهم.

[2] السماكان : نجمان نيران يقال لأحدهما الأعزل وللآخر الرامح.

[3] إبراهيم بن المهدي هو عم المأمون وأخو هارون الرشيد ، كان وافر الفضل غزير الأدب ، لم ير في أولاد الخلفاء أفصح منه لسانًا ولا أحسن منه شعرا. بويع له بالخلافة ببغداد سنة ٢٠٢هـ، ومات بسر من رأى سنة ٢٢٤هـ.

[4] الفرج بعد الشدة للتنوخي - (ج ١/ ص : ٢٤٤).

فــــــإنْ عفَــــــوْتَ فَمَـــــــنْ   و إنْ قَتَلــــــــــــتَ فَعـــــــــدْلُ

الإجابةُ

(١) الغرض إِفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٢) إفادةُ المخاطب أنَّ المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

(٣) إفادةُ المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٤) إظهارُ الفخر ، فإِنَّ أَبا فِراس إنما يُريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

(٥) إفادةُ المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام؟ فإنَّ أبا الطيب يريد أَن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أَعمال الخير.

(٦) إظهارُ الأَسى والحزن.

(٧) الغرضُ إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.

(٨) إظهارُ الضعف والعجز.

(٩) الافتخارُ بالعقل واللسان.

(١٠) الاسترحامُ والاستعطاف.

الأمثلة القرآنية:

(١) إفادة المخاطب الحكم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]

(٢) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة، قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]

الاسترحام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص: ٢٤]، هذا الكلام سيق لأجل طلب الرحم والعفو.

إظهار الضعف: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [سورة مريم: ٤]، هذا الكلام ورد لإظهار الضعف.

إظهار التحسّر: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، هذا الكلام ورد لإظهار الحسرة.

الفخر: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٥١]، هذا الكلام ورد لبيان الفخر.

الحث على السعي: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف: ١٩]، هذا الكلام للحث على السعي والجد إلى العمل.

الأسئلة:

(١) ما هي أغراض الفخر؟ اكتب بالأمثله.

(٢) ما هي المعاني الأخرى التي يلقي لأجلها الخبر؟ اكتب بعضها منها بالأمثلة.

الدرس الثالث

أَضْرُب الخَبر

الأمثلةُ:

(١) كتبَ معاويةُ رضي الله عنه إلى أحد عماله فقال[١] :

لا ينبغي لَنَا أن نَسُوس الناسَ سياسةً واحدةً ، لا نَلِينُ جميعاً فَيَمْرَح[٢] الناسُ في المَعْصِيَة ، ولا نَشْتَدُّ جميعاَ فَنحْمِلَ الناسَ على المهالك ، ولكنْ تكونُ أَنت للشِّدةِ والغِلْظَة ، وأَكون أنا لِلرأْفةِ والرحمةِ.

(٢) قال أَبو تمام[٣] :

ينالُ الفتى من عيشهِ وهو جاهلٌ ... ويُكْدِي الفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ[٤]

ولَوْ كانَتِ الأرزَاقُ تَجْري على الحِجَا ... هلكْنَ إذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ[٥]

(٣) قال الله تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٦] [سورة الأحزاب : ١٨].

---

[١] العقد الفريد - (ج ٢/ ص: ١٢٦).

[٢] يمرح : ينشط ويتبختر.

[٣] نهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ١/ ص: ٢٧٧).

[٤] يكدي يقل ماله.

[٥] الحجا العقل.

[٦] المعوقين: من قولهم عوقه عن الأمر صرفه عنه وثبطه ، هلم تعالوا والبأس الحرب والمعنى والمعنى أن الله يعلم المنافقين الذين يثبطون أمثالهم عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) قال السَريّ الرَّفاء:

إنَّ البِنـاءَ إذا مـا انهـدَّ جانبُـه　　　لم يـأمَنِ النـاسُ أنْ يَنهـدَّ باقِيـه

(٥) قال أَبو العباس السفاح[1]:

لأعْمِلَنَّ اللِّينَ حتَّى لا يَنْفَع إلا الشِّدةُ، ولأكْرِمَنَّ الخاصة ما أَمِنْتُهم على العامة، لأغْمِدَنَّ سيفي حتى يَسُلَّه الحق، ولأعْطِيَنَّ حتى لا أرى للعطية موْضِعاً.

(٦) قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ..﴾[2] [سورة آل عمران: ١٨٦].

(٧) وقال الشاعر:

واللّهِ إنـي لأَخـو هِمَّـةٍ　　　تسـمو إلى المجـد ولا تَفتُـر

البحث:

إذا تأملت الأَمثلة المتقدمة وجدتها أخبارا، ووجدتها في الطائفة الأولى خالية من أدوات التوكيد. وفي الطائفتين الأخيرتين مؤكدة بمؤكِّد أو مؤكِّدين أو أكثر، فما السرُّ في هذا الاختلاف؟

إذا بحثت لم تجد لذلك سبباً سوىٰ اختلاف حال المخاطب في كل موطن، فهو في أمثلة الطائفة الأولى خال الذهن من مضمون الخبر، ولذلك لم يـر المتكلم حاجة إلى توكيد الحكم له، فألقاه إليه خاليا من أدوات التوكيد، ويسمَّى هذا الضرب من الأخبار ابتدائيّا.

أما في الطائفة الثانية فالمخاطب له بالحكم إلمام قليل يمتزج بالشك، وله تشوُّف إلى معرفة الحقيقة، وفي مثل هذه الحال يحسن أَن يلقَى إليه الخبر وعليه مِسْحَةٌ من اليقين تجلو له الأمر وتدفع عنه الشبهة. ولذاك جاءَ الكلام في المثال

---

[1] هو أول الخلفاء العباسيين بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ، وكان جوادا كريم الأخلاق توفي بالأنبار سنة ١٣٦هـ.

[2] لتبلون: لتخبرن.

الثالث مؤكدا بقد وفي الرابع مؤكدًا بإن ولا ، ويسمَّى هذا الضرب طلبيا.

أما في الطائفة الأَخيرة فالمخاطب منْكرٌ للحكم جاحد له. وفي مثل هذه الحال يجب أن يُضَمَّن الكلام من وسائل التقوية والتوكيد، ما يدفع إنكار المخاطب ويدعيه إلى التسليم: ويجب أن يكون ذلك بقدر الإنكار قوة وضعفا، ولذلك جاءَ الكَلام في المثالين الخامس والسادس مؤكدًا بمؤكدين هما القسم ونون التوكيد. أَما في المثال الأَخير فقد فرض الشاعر أَن الإِنكار أقوى. ولهذا أكده بثلاثة أَدوات هي: القسم وإنّ واللام، ويسمى هذا الضرب إنكاريًّا.

ولتوكيد الخبر أَدوات كثيرة سنأتي عند ذكر القواعد على طائفة صالحة منها.

القواعدُ:

(٥) لِلْمخَاطِبِ ثَلاَثُ حالاتٍ:

(١) أَن يَكونَ خالي الذِّهْنِ مِنَ الحُكْمِ، وفي هذه الحال يُلْقَى إِلَيْهِ الخَبَرُ خالياً مِنْ أدواتِ التوكيد، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ من الخَبر ابتدائيّا.

(ب) أن يكونَ مُتَرَدِّدا في الحكُم طالباً أَنْ يَصِلَ إلى اليقين في معرفَتهِ، وفي هذه الحال يَحْسُنُ توكيده له لِيَتَمَكنَ مِنْ نفسه، ويُسَمَّى هذا الضَّرب طلبيًّا.

(جـ) أَنْ يَكون مُنْكرًا لهُ، وفى هذه الحال يَجبُ أَنْ يُؤَكَّدَ الْخَبَر بمؤكَّدٍ أَوْ أَكْثَرَ على حَسب إنكاره قوّةً وضَعْفاً، وَيُسَمَّى هذا الضَّرْبُ إنكاريًّا[1].

(٦) لِتَوْكِيدِ الخَبَرِ أدواتٌ كثيرَةٌ" منها إِنّ، وأَنَّ، والقَسمُ ولاَمُ الابْتِدَاء، ونُونَا التَّوْكيدِ، وأَحْرُفِ التَّنْبيه (ألا، أما، هاهي)، والْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ (وهي سبعة: إن، أن، لا، من، واللام، والباء، ما)، وقَدْ، وأما الشَرْطِيَّةُ.

---

[1] وضع الخبر ابتدائيا أو طلبيا أو إنكاريا إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر، وقد يؤكد ما لا يتطلب التأكيد لأغراض سنبينها بعد.

نمُوذَجٌ في تعْيين أضرُبِ الخَبَر وأدوات التَّوْكيد

(١) قال أبو العتاهية :

إنـــي رأيْـــتُ عَوَاقِـــب الـــدُنيَا | فَتَركْـتُ مـا أهـوى لمـا أَخشـى

(٢) قال أبو الطيب[١] :

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تـأتي العَزائِمُ | وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكـارِمُ[٢]

وَتَعْظُمُ فِي عَينِ الصّغيرِ صغارُها | وَتَصْغُرُ فِي عَينِ العَظيمِ العَظـائِمُ[٣]

(٣) وقال حَسان بن ثابت رضي الله عنه[٤]:

وإنـــي لحلـــوٌ تعتريـــني مـــرارة | وإنـــي لـــتراكٌ لمـــا لمْ أعـــوَّدِ

(٤) قال الأرجانيُّ[٥] :

إنــا لفــي زَمَــن مــلآن مِــنْ فِــتَن | فــلا يعــاب بــه مــلآن مــن فــرق[٦]

(٥) وقال لبيد[٧] :

وَلَقَـدْ عَلِمْـتُ: لَتـأْتِيَنَّ مَنِـيَّتي | إنَّ الْمَنَايَـا لا تَطِـيشُ سِـهَامُهَا[٨]

---

[١] تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي - (ج ١/ ص : ٨٣).

[٢] العزائم : جمع عزيمة وهي الإرادة ، والمكارم جمع مكرمة اسم من الكرم. والمعنى أن الكرام تأتى على القدر فاعليها ويقاس مبلغها بمبلغهم ، فتكون عظيمة إذا كانوا عظاما.

[٣] الضمير في صغارها يعود على العزائم والمكارم أي إن الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر انه يستنفد همته ، والعظيم يصغر في عين العظيم القدر ، لأن في همته زيادة عليه.

[٤] البخلاء - (ج ١/ ص ٦٤) وديوان حسان بن ثابت - (ج ١/ ص : ٦٠).

[٥] هو القاضي ناصح الدين أبو بكر الأرجاني والأرجاني نسبة إلى الأرجان "بلد بفارس" كان فقيها شاعرا كثير الشعر رقيقه وقد توفي سنة ٥٤٥هـ. قلت : لم أجد البيت.

[٦] الفرق الخوف.

[٧] هو لبيد بن ربيعة أحد الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين أسلم وحسن إسلامه قيل إنه مات وعمره ١٤٥ سنة. عاش منها ٩٠ سنة في الجاهلية وله المعلقة المشهورة.

[٨] لا تطيش : أي لا تخطئ وكل سهم يخطئ ويصيب إلا سهم المنية فإنه قاتل لا محالة. خزانة الأدب - (ج ٣/ ص : ٣٢٣) ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب - (ج ١/ ص : ١٥٠).

(٦) وقال النابِغَةُ الذبَيانِيٌّ[١] :

وَلَسْـتَ بِمُسْـتَبْقٍ أَخـاً لا تَلُمُّـهُ على شَعَثٍ أَيُّ الرجـالِ المُهَذَّبُ

(٧) قال الشريفُ الرضيُّ :

قَـدْ يَبْلُـغُ الرّجُـلُ الجَبَـانُ بِمَالِـهِ مَـا لَـيسَ يَبلُغُـهُ الشّـجَاعُ المُعـدِمُ

الإجابة

الرقم	الجملة	ضرب الخبر	أدوات التوكيد
١	إنى رأيت فتركت ما أهوى	طلـــــبي ابتدائي	إنّ
٢	على قدر أهل العزم الخ وتأتى على قدر الكرام الخ وتكبر في عين الصغير الخ وتصغر في عين العظيم الخ	ابتدائي ابتدائي ابتدائي ابتدائي	
٣	وإني لحلو تعتريني مرارة وإني لتراك	إنكاري إنكاري	إن واللام إن واللام
٤	إنا لفي زمن الخ البيت فلا يعاب . . ."	إنكاري ابتدائي	إن واللام
٥	ولقد علمت إن المنايا لا تطيش سهامها	إنكاري طلبى	القسم وقد إن
٦	ولست بمستبق الخ	طلبى	الباء الزائدة
٧	قد يبلغ الرجل الجبان الخ	طلبى	قد

الأمثلة القرآنية:

الخبر الابتدائي: قال تعالى ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ

---

[١] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - (ج ١/ ص : ٤٤).

إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣]، هذا المثال خال من التأكيد.

الخبر الطلبي: قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة القصص: ٢٠]، هذا المثال يتردد فيه صاحبه، فَحَسُنَ التأكيد.

الخبر الإنكاري: قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [سورة يس: ١٦]، هذا المثال جاء للمنكر الذي ينكر، فاحتاج إلى تأكيدات كثيرة.

الأسئلة:

(١) كم حالةً للمخاطب؟ اكتب بالأمثلة.

(٢) اشرح البيت التالي، واذكر موضع استدلاله.

إن البناء إذا ما انهدَّ جانبه ... لم يأمن الناس أن ينهد باقيه

الدرس الرابع

خُروجُ الخبَر عن مُقتضَى الظاهر

الأمثلةُ:

(١) قال تعالى: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [سورة هود: ٣٧].

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف: ٥٣].

(٣) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٥].

(٤) وقال حَجَل بن نضلة القيسي[١]:

جاءَ شَقِيقٌ عارضاً رُمْحَه إنَّ بَني عَمِّكَ فِيهمْ رِمَاح[٢]

(٥) وقال تعالى يخاطب منكري وَحْدَانيَّتِه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣]

(٦) الجهلُ ضارٌّ: (تقوله لمنْ يُنكرُ ضررَ الجهل).

البحثُ:

عرفنا في الباب السابق أن المخاطَب إن كان خالي الذهن ألقى إليه الخبر

---

[١] نهاية الأرب في فنون الأدب – (ج ٢/ ص ٢٩١) وشرح ديوان الحماسة – (ج ١/ ص: ١٧٦).

[٢] شقيق: هو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن وعارضا رمحه أي جاعلا رمحه وهو راكب على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح في جهة العدو وذلك ادلالا بشجاعته واستخفافا بمن يقابلهم حتى كأنه يعتقد أنهم لا سلاح عندهم.

غير مؤكَّد ، وإن كان متردّداً في مضمون الخبر طالباً معرفته حَسُن توكيده له وإن كان منكرًا وجب التوكيد ، وإلقاء الكلام على هذا النمط هو ما يقتضيه الظاهر ، وقد توجد اعتبارات تدعو إلى مخالفة هذا الظاهر نشرحها فيما يأتي :

اُنظر إلى المثال الأول تجد المخاطب خالي الذهن من الحكم الخاص بالظالمين ، وكان مقتضَى الظاهر على هذا أن يُلْقَى إليه الخبر غير مؤكدٍ ، لكن الآية الشريفة جاءت بالتوكيد ، فما سبب خروجها عن مقتضى الظاهر؟ السبب أن الله سبحانه لما نهى نوحاً عن مخاطبته في شان مخالفيه دفعه ذلك إلى التطلع إلى ما سيصيبهم فنزل لذلك منزلة السائل المتردد؟ أحُكِمَ عليهم بالإغراق أم لا؟ فأجيب بقوله : ﴿إنهم مغرقون﴾.

وكذلك الحال في المثال الثاني فإن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ غير أن هذا الحكم لما كان مسبوقاً بجملة أخرى وهي قوله تعالى : ﴿وما أبري نفسي﴾ وهي تشير إلى أنَّ النفس محكوم عليها بشي غير محبوب أصبح المخاطب مستشرفا متطلعاً إلى نوع هذا الحكم ، فنزل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد وألقي إليه الخبر مؤكدًا.

انظر إلى المثال الثالث تجد المخاطبين غير منكرين الحكمَ الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ ، فما السبب إذًا في إلقاء الخبر إليهم مؤكداً؟ السببُ ظهور أمارات الإنكار عليهم فإن غفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح يُعَدّانِ من علامات الإنكار ، ومن أجل ذلك نزلوا منزلةَ المنكرين وألقي إليهم الخبر مؤكَدًا بمؤكدين.

وكذلك الحال في قول حَجَل بن نضله فإن شقيقاً لا ينكر رماح بني عمه ، ولكنَّ مجيئَه عارضاً رمحه من غير تهيؤ للقتال ولا استعدادٍ له ، دليل على عدم اكتراثه. وعلى أنه يعتقد أن بني عمه عُزْل لا سلاحَ معهم ، فلذلك اُنْزل منزلةَ المنكرين ، فأكد له الخبر وخوطب خطاب المنكر ، فقيل له : "إِن بني عمك فيهم رماح ".

أُنظر إِلى المثال الخامس تر أن الله سبحانه يخاطب المنكرين الذين يجحدون وحدانيته، ولكنه ألقى إليهم الخبر خاليا من التوكيد كما يُلْقَى لغير المنكرين فقال: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فما وجه ذلك؟ الوجه أنّ بين أيدي هؤلاء من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملوا لوجدوا فيه نهاية الإقناع ولذلك لم يُقِم الله لهذا الإنكار وزناً ولم يعتدَّ به في توجيه الخطاب إليهم.

وكذلك الحال في المثال الأخير، فإن لدى المخاطب من الدلائل على ضرر الجهل ما لو تأمله لارتدعَ عن إنكاره، ولذلك ألقي إليه الخبر خالياً من التوكيد.

القواعدُ:

(٧) إِذَا أُلقيَ الْخَبَرُ خالِياً من التَّوْكِيدِ لخالي الذِّهْن، ومؤَكَّدا استحسانا للسائل المُتَرَدِّدِ، ومؤكدًا وُجُوباً لِلْمُنْكِرِ، كان ذلك الخبرُ جارياً عَلَى مُقْتَضى الظَّاهِرِ.

(٨) وقد يَجْري الخَبَرُ عَلَى خلافِ ما يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ لاعتبارات يَلْحَظها المتكَلِّمُ ومنْ ذلك ما يأتي:

(أ) أَنْ يُنزَّلَ خاليَ الذِّهْن مَنْزلَةَ السائل المُتَرَدِّدِ إذَا تَقَدَّمَ في الكلام ما يُشِيرُ إلى حُكْمِ الخَبَرِ.

(ب) أَنْ يُجْعلَ غَيْرُ الْمُنْكرِ كالْمُنْكِرِ لِظُهور إمارات الإنكار عَلَيْهِ.

(جـ) أَنْ يُجْعَلَ الْمُنْكِرُ كغَيرِ المنكر إن كانَ لدَيْهِ دَلائلُ وشَوَاهِدُ لَوْ تأملها لارْتَدَعَ عَنْ إِنْكارِهِ.

نموذجٌ

بينْ وجهَ خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فيما يأتي:

(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[سورة الحج: ١].

(٢) إنَّ برَّ الْوَالدَيْن لواجبٌ (تقوله لمنْ لا يطِيع والديه).

(٣) إن الله لَمُطلِّعٌ على أفعال العبادِ (تقوله لمنْ يظلم الناس بغير حقٍّ).

(٤) الله موجودٌ (تقول ذلك لمنْ ينكر وجود الإله).

الإجابةُ

(١) الظاهر في المثال الأول يقتضي أَن يُلقى الخبر خالياً من التوكيد، لأن المخاطَب خالي الذهن من الحكم ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلعاً إِليه، فنزِّلَ منزلةَ السائل المتردد واستُحسن إِلقاءَ الكلام إِليه مؤكدًا جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

(٢) مقتضَى الظاهرُ أَن يُلقى الخبر غير مؤكد، لأَن المخاطب هنا لا ينكر أن بر الوالدين واجب ولا يتردد في ذلك، ولكن عصيانه أمارة من أمارات الإِنكار، فلذلك نزِّل منزلة المنكر.

(٣) الظاهر هنا يقتضي إلقاء الخبر غير مؤكد أَيضاً، لأَن المخاطب لا يُنكِرُ الحكم ولا يترددُ فيه ولكنه نزِّل منزلة المنكر، وألقى إليه الخبر مؤكدًا لظهور إمارات الإِنكار عليه وهي ظلمه العباد بغير حق.

(٤) الظاهر هنا يقتضي التوكيد لأَن المخاطب يَجْحد وجود الله، ولكن لَما كان بين يديه من الدلائل والشواهد ما لو تأمله لارتدع عن الإِنكار، جعل كغير المنكر. ألقى إليه خالياً من التوكيد جرياً على خلاف مقتضَى الظاهر.

الأسئلة:

متى يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر؟ اكتب بالأمثلة.

الأمثلة القرآنية:

١ ـ ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٢]

هنا وضع الخبر مؤكداً، وظاهر الكلام يقتضي أن لا يأتي الخبر مؤكداً، لكن لما تقدم في الكلام مايشعر بنوع الحكم، نزل الكلام منزلة السائل المتردد.

٢ ـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١]

الظاهر هنا لا يقتضي التوكيد، لكن جعل الكلام في منزلة المنكر، وجاء الكلام بالتأكيد.

الدرس الخامس
الإنشاءُ
تقسيمُه إلى طلبيٍّ وغير طلبيٍّ

الأمثلةُ:

(١) أَحِبَّ لِغَيْرِكَ ما تحِبُّ لِنفْسِكَ[١].

(٢) من كلام الحسَن رَضيَ الله عنه[٢]: لا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلا بقَدْرِ ما صَنَعْتَ.

(٣) وقال أَبو الطيب:

ألا ما لسَيفِ الدّوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِبَا ... فَداهُ الوَرَى أمضَى السّيُوفِ مَضَارِبَا[٣]

(٤) وقال حسانُ بن ثابت رضي الله عنه[٤]:

يا ليتَ شعري وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُني ... ما كانَ بين عليٍّ وَابنِ عفّانا!

(٥) وقال أَبو الطيب[٥]:

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ

---

[١] روى البخارى برقم(١٣)عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

[٢] هو سبط رسول الله صل الله عليه وسلم كان سيداً حليماً يكره الفتن والسيف حتى إنه نزل لمعاوية عن الخلافة حباً في جمع الكلمة وترك القتال بين المسلمين، توفي سنة ٤٩ هـ.

[٣] أمضى اسم تفضيل بمعنى أقطع وهو منصوب عل المدح، ومضارب السيوف حدودها وجملة فداه الورى وما يتصل بها دعاء.

[٤] العقد الفريد - (ج ١/ ص: ١٨٧).

[٥] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج ١/ ص: ٩١).

(٦) وقال الصِّمَّة بنُ عَبْدِ الله[١] :

بنفسي تلْكَ الأرض ما أَطْيَبَ الرُّبَا! ... ومَا أَحْسَنَ اَلْمُصْطَافَ والمتَرَبَّعَا[٢]

(٧) وقال الجاحظ من كتاب[٣] :

أَمَّا بعدُ فَنِعْمَ البَديلُ من الزَّلَّةِ الاعتذارُ[٤] ... وبِئْسَ العوَضُ من التَّوبةِ الإِصْرَارُ[٥]

(٨) وقال عبد الله بنُ طاهر[٦] :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكتَسَبُ الغنى ... ولا باكْتِساب المالِ يُكتَسبُ العَقْلُ

(٩) وقال ذو الرُّمَّة[٧] :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً ... مِنَ الْوَجْدِ أو يشفي شجيّ البلابل[٨]

(١٠) وقال آخر[٩] :

---

[١] شاعر غزل مقل بدوى. وهو من شعراء الدولة الأموية كان شريفا ناسكا عابدا.
قلت: البيت في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - (ج ١/ ص: ١٤٧).

[٢] الربا: الأماكن العالية، والمصطاف منزل القوم في الصيف. والمتربع منزلهم في الربيع.
يقول: أفدى بنفسي تلك الأرض لطيب رباها وحسنها صيفا وربيعا.

[٣] العقد الفريد - (ج ٢/ ص: ٦٨) والمخصص - (ج ٣/ ص: ١٦٩).

[٤] البديل: البدل، والزلة: السقطة في الكلام وغيره، يقول: إن مقابلة الزلل بالاعتذار محمودة.

[٥] الإصرار عقد النية على البقاء على الذنب، يعني أنه يحب على المذنب أن يتوب من ذنبه وألا يصر على ارتكابه.

[٦] العقد الفريد - (ج ١/ ص: ١٦٧).

[٧] من شعراء دولة الأموية وكان بليغ الكلام لسانا أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد.
والبيت في تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي - (ج ١/ ص: ٧٨).

[٨] الشجي: الحزين والبلابل: جمع بلبال وهو الهم ووسواس الصدر والمراد بشجى البلابل المحزون الذي امتلاءهما صدره هماً وحزناً.

[٩] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١/ ص: ٥٥).

عَسَى سـائلٌ ذو حاجَةٍ إن مَنَعْتَهُ   مِنَ اليَوْمِ سُؤلاً أن يُكون له غَدُ[١]

البحثُ:

الأمثلة المتقدمة جميعها إنشائية لأنها لا تحتمل صدقاً، ولا كذباً، وإذا تدبرتها جميعها وجدتها قسمين فأمثلة الطائفة الأولى يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب، ولذلك سميَ الإنشاء فيها طلبيًّا. أما أمثلة الطائفة الثانية فلا يطلب بها شيء. ولذلك يسمَّى الإنشاء فيها غير طلبي.

تدبر الإِنشاءَ الطلبيَّ وأَمثلة الطائفة الأولى تجده تارة يكون بالأمر كما في المثال الأَول، وتارة بالنهي كما في المثال الثاني. وتارة بالاستفهام كما في المثال الثالث، وتارة بالتمني كما في المثال الرابع، وتارة بالنداء كما في المثال الخامس. وهذه هي أَنواع الإنشاء الطلبي التي سنبحث عنها في هذا الكتاب[٢].

اُنظر إلى أمثلة الطائفة الثانية تجد وسائل الإنشاء فيها كثيرة، فقد يكون بصيغ التعجب كما في المثال السادس، أَو بصيغ المدح والذم كما في المثال السابع أو بالقسم كما في المثال الثامن أو بلعل وعسى وغيرهما من أدوات الرجاء كما في المثالين الأخيرين. وقد يكون بصيغ العقود كبعت واشتريت.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني ولذلك نقتصر فيها على ما ذكرنا ولا نطيل فيها البحث.

القاعدةُ:

(٩) الإِنْشاء نوعان طَلَبِيٌّ وغَيْرُ طلبيٍّ:

(أ) فالطلبيُّ ما يَسْتَدْعي مَطْلوباً غَيرَ حاصل وقتَ الطلب، ويكونُ

---

[١] لا يليق أن تمنع سائلا أتاك وله حاجة، فإنك إن منعته في يومك الذي هو لك فقد يكون له له الغد فيجازيك على الحرمان بالحرمان.

[٢] ويكون الإنشاء الطلبي أيضا بالعرض والتحضيض والجمل الدعائية، ولكنا اقتصرنا على على الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

بالأمر، والنهْي، والاستفهام، والتمني، والنِّداءَ[1].

(ب) وغَيْـر الطَّلَـبي مـا لا يَسْـتَدْعِي مطلوبـاً، ولـه صـيَغ كَـثيرة منهـا: التَّعَجُّب، والمدح، والذم، والقَسَمُ، وأفعالُ الرجاء، وكذلك صِيَغُ العُقُودِ.

نمُوذجٌ

لبيان نوع الإنشاء في كل مثال من الأمثلة الآتية:

(١) قال أبو تمام[2]:

لا تسـقني مـاءَ المـلامِ فـإنَّني صبٌّ قدِ استعذبتُ ماءَ بُكائي

(٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أُرَاهُ رَفَعَهُ قَالَ «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَـكَ يَوْمًـا مَـا وَأَبْغِـضْ بَغِيضَـكَ هَوْنًـا مَـا عَسَـى أَنْ يَكُـونَ حَبِيبَـكَ يَوْمًـا مَا»(أخرجه الترمذى برقم(٢١٢٨).

(٣) وقال ابن الزيات يمدح الفضْل بن سهْل[3].

يـا ناصِـر الـدين إذ رثَّـتْ حبائلُـه لأنتَ أكرمُ من آوَى ومـنْ نصـرا

(٤) وقال أميةَ بن أبي الصَّلْت[4] في طلب حاجة:

أأَذْكُـرُ حـاجَتِي أم قـد كَفـانِي حَيـاؤُكَ، إنَّ شِـيمَتَكَ الحيَـاءُ

---

[1] قد تكون الجملة خبرية في اللفظ وهي إنشائية في المعنى وعلى ذلك تعد من باب الإنشاء كقول المتنبي يخاطب عضد الدولة: "فدى لك من يقصر عن فداكا" وكقوله يدعو لسيف الدولة بالشفاء من علة أصابته: "شفاك الذي يشفي بجودك خلقه".

[2] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١/ ص: ٨٢).

[3] كان فضل بن سهل وزيرا للمأمون وقد اشتهر ببلاغته وحسن كتابته وجمال خلاله وكان يلقب بذي الرياستين وقتل بسرخس سنة ٢٠٢هـ.

[4] اعر من شعراء الجاهلية قرأ كتب اليهود والنصارى، وكان يمني نفسه أن يكون النبي المبعوث من العرب ولما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الإسلام حسدا له وفي شعره كثيرٌ من ألفاظ السريانية ومات أول ظهور الإسلام.

(٥) وقال زُهيْرُ[١] بن أبى سُلْمى[٢]:

نِعْـمَ امـرَءًا هَـرِمٌ، لم تَعْـرُ نائِبَـةٌ   إلاَّ وكــانَ لِمُرتــاعٍ بهــا وَزَرا[٣]

(٦) قال امرؤ القيس[٤]:

أجارتَنــا إنــا غَريبــانِ هاهُنــا   وكــلُّ غريــبٍ للغريــب نسـيبُ

(٧) وقال آخر:

يا ليت منْ يمْنَع المعروفَ يَمْنعُهُ   حتى يذوق رجالٌ غِبَّ ما صنعوا[٥]

(٨) وقال أبو نُواس يستعطفُ الأمين[٦]:

وحيــاةِ رأْسِــكَ لا أَعــو   دُ لمثلــها وحيــاةِ رأْسِــكْ

(٩)وقال دِعْبلُ الخُزاعيُّ[٧]:

مــا أكْثــرَ النَّـاسِ! لا بــلْ مــا   اللّـهُ يَعلَـمُ أَنّـي لَـم أَقُـلْ فَنَـدا[٨]

إنِّـي لأفْـتَحُ عـيني حِـين افتَحُـها   على كـثيرٍ ولكـنْ لا أرى أَحـدا

الجوابُ:

الرقم	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١	لا تسقني ماء الملام	طلبي	النهي

---

[١] أحد الثلاثة المتقدمين على سائر شعراء الجاهلية وهم زهير وامرؤ القيس والنابغة كان لا يعاظل في كلامه، وكان يتجنب وحشي الشعر ولا يمدح أحدا إلا بما فيه، وكان يضرب به المثل في تنقيح الشعر حتى سميت قصائده بالحوليات؛ لأنه كان يعمل القصائد ثم يأخذ في تنقيحها وعرضها على الشعراء سنة كاملة.

[٢] جامع الدروس العربية للغلايينى - (ج ١/ ص: ١٧٤).

[٣] تعر: تنزل، والمرتاع: الخائف. الوزر: الملجأ. يمدح الهرم ابن سنان بأنه ملجأ كل خائف وغياث كل ملهوف.

[٤] البيان والتبيين - (ج ١/ ص: ٢٨٧).

[٥] الغب: العاقبة.

[٦] غرر الخصائص الواضحة - (ج ١/ ص: ٢٠٨).

[٧] الكشكول ـ (ج ١/ص: ١٩٩).

[٨] الفند بفتحتين: الكذب.

٢	أحْببْ حبيبكَ هوْناً ما عسى أنْ يكون بغيضَكَ يَوْما ما وأبغض بغيضَـكَ هوْنـاً ما عسى أن يكون حبيبَكَ يوْماً ما.	طلبي	الرجاء
٣	يا ناصِر الدين إذ رثّتْ حبائلُه	طلبي	النداء
٤	أأذكرٌ حاجتي أم قَدْ كفاني	طلبي	الاستفهام بالهمزة
٥	نِعْم امرأً هرمٌ لَم تَعرُ نَائِبةٌ	غير طلبي	المدح نعم
٦	أجارتَنا إنا غَريبان هاهُنا	طلبي	استفهام بالهمزة
٧	يا ليت منْ يمْنَع المعروفَ يَمْنعُهُ	طلبي	النداء بيا التمني
٨	وحياة راسك لا أعوُ دُ	طلبي	القسم
٩	ما أكْثر النَّاس! لا بلْ ما أقَلَّهم	غير طلبي	التعجب

الأمثلة القرآنية:

الإنشاء الطلبي: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

فآمنوا فعل أمر، وفعل أمر من الإنشاء الطلبي.

الإنشاء غير الطلبي: قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَه﴾ [سورة عبس: ١٧].

ما أكفره فعل التعجب، وفعل التعجب من الإنشاء غير الطلبي.

الأسئلة:

(١) كم قسمًا للإنشاء؟ اذكر بالمثال.

(٢) ومن قوله صلى الله عليه وسلم: "أحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا. وأبْغِض بَغِيضَكَ هَوْناً مَا، عسى أنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا".

اشرح هذا الحديث، واذكر موضع الاستدلال فيه.

الدرس السادس

الإِنشاءُ الطلبيُّ

(١) الأمر

الأمثلةُ:

(١) من رسالة لعليّ رضي الله عنه بعث بها إلى ابن عَباس وكان عاملا بمكة.
"أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ[١]، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ[٢]، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ.

(٢) وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج: ٢٩].

(٣) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥].

(٤) وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]

۞۞۞

(٥) وقال أَبو الطيب في مدح سيف الدولة:

كَذا فَلْيَسْرِ مَن طَلَبَ الأعادي ... وَمِثلَ سُراكَ فَلْيَكُنِ الطِّلابُ[٣]

(٦) وقال يخاطبه:

---

[١] يريد أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم.

[٢] يريد بالعصرين الغداة والعشي من باب التغليب.

[٣] السري: السير ليلا.

أَزِلْ حَسَدَ الحُسّادِ عَنّي بكَبتِهِمْ   فأنتَ الذي صَيّرْتَهُمْ لِيَ حُسّدَا[١]

(٧) وقال امرؤ القيس[٢]:

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ   بسقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[٣]

(٨) وقال أيضاً:

أَلا أَيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلِ   بِصُبْحٍ، وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ[٤]

(٩) وقال البحتري:

فمَن شاءَ فَلْيَبْخُلْ، وَمَن شاءَ فليَجُد   كَفاني نَداكمْ من جَميعِ المَطالبِ[٥]

(١٠) وقال أبو الطيب:

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ   بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ[٦]

(١١) وقال آخر:

أروني بخيلاً طالَ عُمْرًا ببُخْلِهِ   وَهَاتُوا كَريماً مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ البَذلِ

(١٢) وقال غيره[٧]:

إذا لَمْ تَخْشَ عاقِبَةَ اللّيالي إ!   ولمْ تَسْتَحْي فاصْنَعْ ما تشاءُ

(١٣) وقال تعالى: ﴿.. وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ

---

[١] كبته: أذله يقول أنت صيرتهم حاسدين لي بما أفضت علي من نعمتك فاصرف شر حسدهم عني بإذلالهم.

[٢] البديع في نقد الشعر - (ج ١ / ص: ٦٨).

[٣] قفا: أمر للاثنين بالوقوف. الذكرى التذكر، وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع، يقول لرفيقيه: قفا وأعيناني بالبكاء لتذكر حبيب فارقته ومنزل خرجت منه، وهذا المنزل بين هذه المواضع.

[٤] الانجلاء الانكشاف والأمثل الأفضل. أني أقاس من همومي نهارا ما أقاسيه ليلا.

[٥] يقول: إما أن تعيش عزيزاً ممتنعا من الأعداء أو تموت في الحرب موت الكرام، لأن القتل في الحرب يدل على شجاعة الرجل وكرم خلقه وهو خيرٌ من العيش في الذل.

[٦] خفق البنود: اضطرابها والبنود جمع بند وهو العلم الكبير.

[٧] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - (ج ١ / ص: ١٨).

مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..﴾ [سورة البقرة: ١٧٨].

البحثُ:

إذا تأملت أَمثلة الطائفة الأولى رأيت كلاً منها يشتمل على صيغةٍ يُطْلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب. ثم إذا أَنعمت النظر رأيت طالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طُلِب الفعل منه. وهذا هو الأمر الحقيقي، وإذا تأَملت صِيغَتَهُ رأَيتها لا تخرج عن أَربع: هي فعل الأمر كما في المثال الأول والمضارع المقرون بلام الأمر كما في المثال الثاني، واسم فعل الأمر كما في المثال الثالث. والمصدر النائب عن فعل الأمر كما في المثال الرابع.

انظر إذاً إِلى الطائفة الثانية تجد أَن الأمر في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي وهو طلب الفعل من الأَعلَى للأدنى على وجه الإِيجاب والإِلزام، وإِنما يدل على معان أخرى يُدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال.

فأَبو الطيب في المثال الخامس لا يريد تكليفاً ولا يقصد إِلى إِلزام. وإِنما ينصح لمن ينافسون سيف الدولة ويرشدهم إلى الطريق المثلى في طلب المجد وكسب الرفعة. فالأَمر هنا للنصح والإِرشاد لا للإِيجاب والإلزام.

وصيغة الأَمر في المثال السادس لا يُراد بها معناها الأصلي، لأن المتنبي يخاطب مليكه، والمليك لا يأمره أَحد من شعبه. وإِنما يراد بها الدعاء، وكذلك كل صيغة للأَمر يُخاطِبُ بها الأَدنى من هو أَعلى منه منزلة وشأناً.

وإذا تدبرت المثال السابع وجدت امرأَ القيس يتخيَّل صاحبين يستوقفهما ويستبكيهما جرياً على عادة الشعراء، إذ يتخيل أحدهم أَن له رفيقين يصطحبانه في غدُوِّهِ ورواحه، فيوجه إليهما الخطاب، ويفضي إليهما بسرِّه ومكنون صدره، بصيغة الأمر إِذا صدرت من رفيق لرفيقه أو من ندٍّ لِنِدِّه لم يُرد بها الإيجاب والإلزام. وإنما يراد بها محض الالتماس.

وامرؤ القيس أيضاً في المثال الثامن لم يأمر الليل ولم يكلفه شيئاً، لأنَّ الليل لا يسمع ولا يطيع، وإنما أرسل صيغة الأَمر وأَراد بها التمني.

وإذا تدبرت الأمثلة الباقية وتعرفت سياقها وأحطْت مما يكْنُفها من قرائن الأحوال أدركت أَن صيغ الأمر فيها لم تأت للدلالة على المعنَى الأصلي: وانما جاءت لتفيد التخيير، والتسوية، والتعجيز، والتهديد والإِباحة على الترتيب.

القواعدُ:

(١٠) الأمر طَلَبُ الْفِعْل على وجْهِ الاِسْتِعْلاء.

(١١) لِلأَمْر أَرْبَعُ صِيَغ: فِعْلُ الأمر، والْمُضَارعُ المقرونُ بلام الأَمْر، واسمُ فِعْل الأَمْر، والَمصْدرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْل الأَمْر.

(١٢) قَدْ تَخْرُجُ صِيغ الأَمْر عَنْ مَعْناها الأصليِّ إِلى مَعانٍ أُخْرَى تُسْتفادُ مِنْ سِياق الكلام، كالإرشَادِ، والدّعاءِ، والالْتماس، والتمني، والتَّخْيير والتَّسْوية والتَّعْجيزِ، والتَّهْديدِ، والإِباحةِ.

نموذجٌ

لبيانِ صيغ الأمر وتعيين المراد من كل صيغة فيما يأتي:

(١) قال تعالى خطاباً ليحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

(٢) قال الأرجانيُّ[1]:

شاوِرْ سَواكَ إذا نابَتْك نائبةٌ ... يوماً وإنْ كنتَ منْ أهلِ المَشوراتِ

(٣) وقال أبو العتاهية:

واخفِضْ جناحكَ إن مُنِحْتَ إمَارةً ... وارْغَبْ بنفسِكَ عن رَدَى اللذات[2]

(٤) وقال أبو العلاء[3]:

فيا موت زُرْ إنَّ الحيَاةَ ذَميمةٌ ... ويَا نَفْسُ جدِّي إنَّ دهرَكِ هازلُ[4]

---

[1] غرر الخصائص الواضحة - (ج ١/ ص: ٤٩).
[2] المراد بخفض الجناح التواضع، والردى: الهلاك.
[3] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ -٢٠ - (ج ١٦/ ص: ٤٨).
[4] يفضل الموت على الحياة ويأمر نفسه أن تأخذ في طريق الجد لأن الدهر غير جاد.

(٥) وقال آخر[١]:

أرِيني جَواداً ماتَ هَزْلاً، لَعَلّني أرَى ما تَرَينَ، أوْ بَخيلاً مُخَلَّدا[٢]

(٦) وقال خالد بن صفْوَان[٣] ينصح ابنه: دع مِنْ أعمال السر ما لا يَصْلحُ لكَ في العلانيَةِ[٤].

(٧) وقال بشار بن بُرد[٥]:

إذا كنتَ في كُلِّ الأُمُورِ مُعاتِباً صَدِيقَكَ، لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

فعِشْ واحداً، أو صِلْ أخاك، فإنَّهُ مُقارِفُ ذَنْبٍ تارَةً ومُجانِبُهْ[٦]

(٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٠].

(٩) وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة[٧]:

أخا الجُودِ أعْطِ النّاسَ ما أنتَ مالكٌ وَلا تُعْطِيَنّ النّاسَ ما أنَا قائِلُ[٨]

(١٠) وقال قطري بن الفُجَاءَة[٩] يخاطب نفسه[١]:

---

[١] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١/ ص: ٢٥٥). أريني سخياً أماته الضر، منا أو من غيرنا، لعلني أهتدي بهديك وأعتقد مذهبك، وأئتمر لك فيما ترينه رشاداً، أو بخيلاً بقي في الدنيا وعاش ما أراد ليطلب بموافقته ما حصل له من الدوام.

[٢] الهزل بالضم وبالفتح: الضيق والفقر.

[٣] كان من فصحاء العرب والمشهورين وكان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معها أخبار، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالا، توفي سنة ١١٥هـ.

[٤] العقد الفريد - (ج ١/ ص: ٣٠٥).

[٥] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - (ج ١ / ص ٢٧٤).

[٦] مقارف الذنب: مرتكبه يقول إذا أردت الا يزل معك صديق فعش منفردا وذلك مستحيل مستحيل أما إذا أردت أن تعيش مع الناس فسامح إخوانك وصلهم على ما بهم من عيوب.

[٧] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - (ج ١/ ص: ١٠).

[٨] يقول أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعري. أي لا تحوجني إلى مدح غيرك.

[٩] هو أحد رؤوس الخوارج فارس مذكور وشاعر إسلامي مشهور، سلموا عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة.

فَصَبْراً فِي مَجالِ المَوْتِ صَبْراً　　فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ

الإجابة

الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد
١	خذ الكتاب	المعنى الحقيقي للأمر
٢	شاور سواك	الإرشاد
٣	واخفض جناحك وارغب بنفسك	الإرشاد الإرشاد
٤	زر جدي	التمني التمنى
٥	أريني	التعجيز
٦	دع من أعمال السر	الإرشاد
٧	فعش واحداً أو صل أخاك	التخيير
٨	قل تمتعو	المعنى الحقيقي للأمر
٩	أعط الناس	دعاء
١٠	صبراً	المعنى الحقيقي للأمر

الأمثلة القرآنية:

فعل الأمر له أربع صيغ:

(١) ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [سورة التوبة: ١٠٣].

هنا فعل الأمر، وهو من الإنشاء الطلبي، وهو خذ.

(٢) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ [سورة النساء: ٩].

هنا فعل المضارع المقرون بلام الأمر، وهو وَلْيَخْشَ.

(٣) ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

---

[١] لباب الآداب لأسامة بن منقذ - (ج ١/ ص ٦٦).

هنا اسم فعل الأمر، وهو سلاماً.

(٤) ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨].

هنا المصدر النائب عن فعل الأمر، وهو سلاماً، أي نسلّم سلاماً.

الأمر للدعاء: قال الله تعالى: ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [سورة النمل: ١٩].

للتمني: قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [سورة الزمر: ٥٨].

للإرشاد: قال الله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

للالتماس: قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ [سورة يوسف: ١٠].

للتهديد: قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [سورة حم السجدة: ٤٠].

للتعجيز: قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٥٨].

للإهانة: قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٠].

للإباحة: قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [سورة البقرة: ٦٠].

للامتنان: قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة المائدة: ٨٨].

للتخيير: قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

للتسوية: قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا﴾ [سورة الطور: ١٦].

الأسئلة:

(١) عرِّف فعل الأمر، اذكر صيغه.

(٢) متى يخرج فعل الأمر عن معناه الأصلي؟

الدرس السابع

(٢) النَّهْيُ

الأمثلةُ:

(١) قال تعالى في النهي عن أَخذ مال اليتيم بغير حق: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ [سورة الإسراء: ٣٤].

(٢) وقال في النهى عن قَطْعِ الإنسان رَحِمَه ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى﴾[سورة النور: ٢٢][١].

(٣) وقال في النهى عن اتخاذ بطانة السوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [سورة آل عمران ١١٨][٢].

۞۞۞

(٤) وقال مسلم بن الوليد في الرشيد:

لا يعدَمَنْكَ حِمَى الإِسْلامِ مِنْ مَلِكٍ ... أَقَمْتَ قُلّتَه مِنْ بَعْدِ تأويد[٣]

(٥) وقال أَبو الطيب في سيف الدولة:

فَلا تُبْلِغَاهُ ما أقُولُ فإِنّهُ ... شُجاعٌ متى يُذكَرْ لهُ الطّعنُ يَشْتَقِ

(٦) وقال أَبو نواس في مدح الأمين[٤]:

---

[١] يأتل: يحلف والسعة الغنى.

[٢] لا يألونكم خبالا: أي لا يقصرون في إفساد شئونكم.

[٣] قلة كل شيء: أعلاه والتأويد: التعويج.

[٤] الوساطة بين المتنبي وخصومه - (ج ١/ ص: ١٧).

يا نـاقُ لا تَسْـأمي، أو تَبْلُغـي مِلْكـاً ... تَقبيـلُ راحَتِـهِ والـرّكـنِ سِيّانِ[(١)]
متـى تحطّـي إلَيـهِ الرّحلَ سـالِمَةً ... تَسْتَجْمِعِي الخَلْقَ في تِمْثالِ إنْسانِ

(٧) وقال أبو العلاء:
وَلا تجلـس إلى أَهْـل الـدنايا ... فـإن خَلائـقَ السـفَهَاءَ تُعْـدِى

(٨) وقال أَبو الأسود الدؤلي[(٢)]:
لا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ ... عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِـيمُ[(٣)]

(٩) وقال البحتري[(٤)]:
لا تَعْرِضَـنّ لِجَعْفَـرٍ، مُتَشَـبّهاً ... بَنَـدَى يَدَيـهِ، فَلسـتَ مِـنْ أنْـدَادِهِ

(١٠) لا تَمْتَثِلْ أمري (تقول ذلك لمن هو دونك)

(١١) قال أبو الطيب يهجو كافورًا:
لا تَشْـتَرِ العَبْـدَ إلاّ وَالعَصَـا مَعَـهُ ... إنّ العَبيـدَ لأنْجَـاسٌ مَنَاكِيـدُ[(٥)]

البحثُ:

إذا تأملـت أمثلـة الطائفـة الأولى رأيـت كـلاً منهـا يشـتمل علـى صـيغة يُطلب بهذا الكف عن الفعل: وإذا أنعمت النظر رأيـت طالـب الكـفِّ فيهـا أعظـم وأعلـى مـن طلـب منـه. فـإن الطالـب في أمثلـة هـذه الطائفـة هـو الله سبحانه وتعالى والمطلوب منهم هُـمْ عبـادُه. وهـذا هـو النهـي الحقيقـي - وإذا

---

(١) الراحة: الكف.

(٢) هو ظالم بن عمرو بن ظالم من قبيلة الدئل. كان شاعرا مجيدا وفقيها محدثا وفارسا شجاعا صحب عليا وشهد معه صفين، وهو أول من وضع النحو بإشارة علي رضي الله عنه، توفي سنة ٦٥هـ.

(٣) ونسب البيت لغيره: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - (ج ١/ ص:٩٣).

(٤) البديع في نقد الشعر - (ج ١/ ص:٦٨).

(٥) المناكيد: جمع منكود وهو قليل الخير: أي إن العبد لا يصلح إلا بالضرب والإهانة.

تأملت صيغته في كل مثال يرد عليك وجدتها واحدة لا تتغير، وهي المضارع المقرون بلا الناهية.

انظر إذاً إلى الطائفة الثانية تجد أَن النهي في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي. وهو طلب الكف من أَعلى لأَدنى؛ وإنما يدل على معان أخرى يدركها السامع من السياق وقرائن الأَحوال.

فمسلم بن الوليد في المثال الرابع لا يقصد من النهي إلا الدعاءَ للخليفة الرشيد بالبقاء لتأييد الإسلام وإعلاء كلمته.

وأبو الطيب في المثال الخامس إنما يلتمس من صاحبيه أن يكْتُما عن سيف الدولة ما سمعاه في وصف شجاعته وفتكه بالأعداء وحسْن بلائه في الحروب؛ لأنه شجاع والشجعان يشتاقون إلى الحروب متى ذُكرت لهم، وهذا على ما جرت به عادة العرب في شعرهم إِذ يتخيل الشاعر أن له رفيقين يصطحبانه ويستمعان لإنشاده. فيخاطبهما مخاطبة الأنداد، وصيغة النهي متى وجِّهَتْ من نِدٍّ إلى نده أفادت الالتماس.

وأبو نوَاس في المثال السادس إنما يتمنى أن تتحمل ناقته مشاق السفر وألا ينزل بها السأم حتى تَبلغ ديار الأمين، فترى هناك كيف جمع الله العالمَ في صورة إنسان.

وأبو العلاء في بيته إنما ينصح مخاطبه ويرشده إِلى الابتعاد عن السفهاء وأهل الدنايا.

وأبو الأسود إنما يقصد توبيخ من ينهَى الناس عن السوء ولا ينتهي عنه، ويقصد الآخرون في الأمثلة الثلاثة الباقية إلى التيئيس، والتهديد، والتحقير على الترتيب.

القواعدُ:

(١٣) النَّهىُ طَلَبُ الكَفِّ عَن الْفِعْل عَلَى وَجْهِ الاستعلاء.

(١٤) لِلنَّهْي صِيغَةٌ واحِدةٌ، هي المضَارِعُ مَعَ لا النَّاهِيَة[1].

(١٥) قَدْ تَخْرُجُ صِيغَةُ النَّهي عَنْ مَعْناها الحقيقي إلى مَعانٍ أخرى تُسْتَفَادُ مِنَ السياق وقَرَائن الأحوال، كالدُّعاء، والالتماس، والتمني، والإرشاد، والتوبيخ، والتيئيس، والتهديد، والتحْقِير.

نموذجٌ

بيِّن صيغةَ النهي والمراد منها في كل مثال من الأَمثلة الآتية:

(١) قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِها..﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

(٢) وقال أبو العلاء:

لا تَحلِفَنّ على صِدقٍ ولا كَذِبٍ فما يُفيدُكَ، إلاّ المأثمَ، الحَلِفُ

(٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

(٤) وقال تعالى عن المنافقين: ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ..﴾ [التوبة: ٦٦].

---

[1] قلت: وقد يأتي النهي بالجملةِ الدالةِ على ذلك، كقولكَ: (حرامٌ أن تفعلَ كذا) أو بلفظ نهَى نحو قول عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ - رضى اللهُ عنه -: إِنَّ نَبِىَّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِى يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِى شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِى» (أخرجه أبو داود) برقم(٤٠٥٩) وهو صحيح. ونحو قول أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ صَلاَتَيْنِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ (أخرجه البخاري) برقم(٥٨٨).
وقد يردُ بلفظ اللعنِ نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" (أخرجه البخاري) برقم (١٣٩٠و: ٣٤٥٣ و: ٣٤٥٤).

(٥) وقال البحتري يخاطب المعتمد[١] على الله :

لاَ تَخلُ مـن عَيشٍ يكُـرُّ سـرُورُهُ   أبَـداً ، وَنيْـرُوزٍ علَيْـكَ مُعَـادِ[٢]

(٦) وقال الغَزي :

ولا تُـثْقِلاَ جيـدي بمِنـةِ جاهـل   أرُوحُ بهَـا مِثْـل الْحمَـام مُطوَقـا

(٧) وقال آخر :

لا تطلُـبِ المجـدَ إنَّ المجـدَ سُلَّمه   صعبٌ وَعِشْ مُسْتريحاً نَاعِمَ الْبَالِ

(٨) وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا[٣] :

أعيْنَــيَّ جُــودا ولاَ تَجْمُــدَا[٤]   ألا تبكِيــانِ لِصـخْرِ النَّــدى[٥]

(٩) وقال خالدُ بنُ صفْوان : لا تطلبوا الحاجاتِ في غير حِينهَا ، ولا تطلبوا مِنْ غير أهْلِها.

الإجابةُ

الرقم	صيغة النهي	المعنى المراد
١	ولا تفسدوا	المعنى الحقيقى للنهى
٢	لا تحلفن	الإرشاد
٣	لا يسخر	التوبيخ
٤	لا تعتذروا	التيئيس

---

[١] هو الخليفة العباسي الخامس عشر بويع بالخلافة سنة ٢٥٦هو اشتهر بالحلم الواسع وتوفي سنة ٢٧٩هـ.

[٢] النوروز : أول يوم في السنة الشمسية وهو من أعياد الفرس.

[٣] هو الشهم الكريم أخو الخنساء لأبيها وقد قتل قبل الإسلام بقليل فرثته أخته بقصائد غراء نالت من اجلها الصيت الذائع بين شعراء الجاهلية والمخضرمين.

[٤] لا تجمدا : أي لا تبخلا بالدموع.

[٥] الحماسة البصرية - (ج ١/ ص : ٩١).

٥	لا تخل ولا تطلبوا	الدعاء
٦	لا تثقلا	الالتماس
٧	لا تطلب	التحقير
٨	لا تجمدا	التمنى
٩	لا تطلبوا	الإرشاد

الأمثلة القرآنية:

(١) ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

لا تفسدوا: فعل النهي، وهو من الإنشاء الطلبي.

وصيغة النهي تأتي لمعان أخرى كالدعاء: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٥].

والالتماس: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [سورة يوسف: ١٠].

التمني: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة هود: ٤٢].

الإرشاد: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

التوبيخ: ﴿لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

التيئيس: ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٦]، ﴿وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّه﴾ ﴿لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

التهديد: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥].

التحقير: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

الأسئلة:

(١) عرِّف النهي، اذكر مثاله.

(٢) ما هي المعاني التي يأتي لها فعل النهي؟

الدرس الثامن

(٣) الاِسْتفهامُ وأدواتهُ

الأمثلةُ:

(١) أَ أَنْتَ الْمُسَافِرُ أَمْ أَخُوكَ؟

(٢) أ مُشْتَر أَنْتَ أَمْ بَائِع ؟

(٣) أ أشَعِيرًا زَرَعْتَ أَمْ قَمْحاً؟

(٤) أ راكِباً جئْتَ أَمْ مَاشِياً؟

(٥) أَ يَوْمَ الجمعةِ يسْتَريحُ العُمَّالُ أَمْ يَوْمَ الأَحَدِ؟

ب

(٦) أ يَصْدَأ الذَّهَبُ؟

(٧) أ يسيرُ الغمامُ؟

(٨) أتتحركُ الأرضُ؟

ج

(٩) هَلْ يَعْقِلُ الحيوانُ؟

(١٠) هَلْ يُحِسُّ النباتُ؟

(١١) هَلْ ينمُو الْجَمَادُ؟

البحثُ:

الجمل السابقة جميعها تفيد الاستفهام، وهو كما تعلم طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وأدواته في أمثلة الطائفتين أ، ب الهمزة وفي

أمثلة الطائفة جـ هـل. ونريد هنا أن نعرف الفرق بين الأداتين في المعنى والاستعمال.

ندبر أمثال الطائفة أ حيث أداة الاستفهام هي الهمزة تجد أن المتكلم في كل منها يعرف النسبة التي تضمنها الكَلامُ، ولكَنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أحدهما لأنه في المثال الأول مثلاً يعْرف أن السفر واقع فعلا وأنه منسوب إلى واحد من اثنين، المخاطب أو أخيه، فهو لذلك لا يطلب معرفة النسبة، وإنما يطلب معرفة مفرد، وينتظر من المسئول أن يعين له ذلك المفرد ويدل عليه، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له: أخي"، مثلاً. وفي المثال الثاني يعلم السائل أن واحداً من شيئين: الشراء أم البيع قد نسب إلى المخاطب فعلاً، ولكنه متردد بينهما فلا يدري هو الشراء أم البيع، فهو إذا لا يطلب معرفة النسبة لأنها معروفة له، ولكنه يسأل عن مفرد ويطلب تعيينه، ولذا يجاب بالتعيين فيقال له في الجواب: بائع مثلاً، وهكذا يقال في بقية أمثلة الطائفةأ.

وإذا تدبرت المفرد المسئول عنه في أمثلة هذه الطائفة، وكذلك في كل مثال آخر يعرض لك، وجدته دائماً يأتي بعد الهمزة مباشرة سواء أكان مسندًا إليه كما في المثال الأول أم مسندًا كما في الثاني، أم مفعولاً به كما في الثالث، أم حالا كما في الرابع، أم ظرفاً كما في الخامس أم غير ذلك، ووجدت له معادلا يذكر بعد "أم" كما ترى في الأمثلة. وقد يحذف هذا المعادل فتقول: أأنت المسافر؟ أمشتر أنت؟ وهلم جرّاً.

انظر إلى أمثلة الطائفة "ب" حيث أداة الاستفهام هي الهمزة أيضا تجد الحال على خلاف ما كانت في أمثلة الطائفة " أ " فإنَّ المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها، فهو يجهلها ولذلك يسال عنها ويطلب معرفتها، ففي المثال السادس مثلاً يتردد المتكلم بين ثبوت الصدأ للذهب ونفيه عنه ولذلك

يطلب معرفة هذه النسبة. ويكون جوابه بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسئول عنه وهو النسبة معادلاً.

ومما تقدم ترى أن للهمزة استعمالين فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمَّى معرفة المفرد تصورا ومعرفة النسبة تصديقا.

۞۞۞

انظر إلى أمثلة الطائفة جـ حيث أَداة الاستفهام هل تجد أن المتكلم في كل منها لا يتردد في معرفة مفرد من المفردات، ولكنه متردد في معرفة النسبة فلا يدري أمثبتة هي أم منفية فهو يسأل عنها، ولذلك يجاب بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، ولو أنك تتبعت جميع الأمثلة التي يستفهم فيها بهل لوجدت المطلوب هو معرفة النسبة ليس غيرُ، فهل إذاً لا تكون إلا لطلب التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل.

الدرس التاسع

(أ) - الهمزةُ وهلْ

القواعدُ:

(١٦) الاِسْتِفْهامُ طلَبُ الْعِلْمِ بشيء لَمْ يَكُن مَعْلوماً مِنْ قَبْلُ، ولهُ أَدَوَاتٌ كثِيرَةٌ مِنْها: الْهَمْزَةُ، وهلْ.

(١٧) يُطْلَبُ بالْهَمْزَةِ أَحَدُ أَمْرَيْن:

أ :

التَّصَورُ، وهو إدْراكُ الْمُفْرَدِ، وفي هذِهِ الحَال تأتي الهمْزَةُ متلوَّةً بالْمَسْئُول عَنْهُ ويُذْكَرُ لهُ في الغَالِب مُعَادِلٌ بَعْدَ أَمْ.

ب :

التَّصْديقُ وهو إدْراكُ النِّسْبَةِ، وفي هذِه الحال يمتَنعُ ذكْرُ الْمُعَادِلِ[١].

(١٨) يُطْلَبُ بهل التَّصْدِيقُ لَيْسَ غَيْرُ، وَيَمتَنِعُ مَعَهَا ذكْرُ الْمُعَادل[٢].

---

[١] إن جاءت "أم" بعد همزة التصور تكون "متصلة" وإن جاءت بعد همزة التصديق أو هل قدرت " منقطعة " وتكون بمعنى " بل ".

[٢] هل، قسمان: بسيطة إن استفهم بها عن وجود الشيء أو عدمه نحو: هل الإنسان الكامل موجود؟ ومركبة إن استفهم بها عن وجود شيء لشيء نحو: هل النبات حساس؟

الدرس العاشر

(ب) بَقيةُ أدواتِ الإِسْتِفْهَامِ

الأمثلةُ:

(١) مَنِ اخْتَطَّ القَاهِرَةَ؟

(٢) مَنْ حفر تُرْعَةَ السُّوَيْسِ؟

(٣) مَا الْكَرَى؟

(٤) مَا الإِسْرَافُ؟

(٥) مَتَى تَوَلى الخِلاَفَةَ عُمَرُ؟

(٦) مَتَى يَعُودُ المُسَافِرُونَ؟

(٧) قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة: ٦].

(٨) وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [سورة النازعات: ٤٢].

البحثُ:

الجملُ المتقدمة جميعها استفهامية، وإذا تأملت معاني أدوات الاستفهام هنا رأيت أن "من" يطلب بها تعيينُ العقلاء، وأن ما تكون لغير العقلاء، ويطلب بها تارة شرح الاسم كما إذا قلت: ما الكَرى؟ فتجاب بأنه النوم، وتارة يطلب بها حقيقة المسمَّى، كما إذا قلت: ما الإِسرافُ؟ فتجاب بأَنه تجاوز الحد في النفقة وغيرها، ووجدت أن متى يطلب بها تعيين الزمان ماضياً أو مستقبلاً، وأيان للزمان المستقبل خاصة يتكون في موضع التفخيم والتهويل.

وهناك أدوات أخرى للاستفهام هي: كيف، وأين، وأَنَّى، وكم، وأي، فكيف يطلب بها تعيين الحال نحو: كيف جئتم؟ وأين يطلب بها تعيين المكان نحو: أَين دِجلة والفرات؟ وأَنَّى تكون بمعنى كيف، نحو: أَنَّى تسودُ العشيرةُ وأَبناؤها متخاذلون؟ وبمعنى من أين نحو: أَنَّى لهم هذا المال وقد كانوا فقراءَ؟ وبمعنى متى نحو: أَنَّى يحضرُ الغائبون؟ و"كم" يطلب بها تعيين العدد نحو: كم جنديًّا في الكتيبة؟ وأما أيٌّ فيطلب بها تعيين أحد المتشاركَيْن في أَمر يعمهما؟ نحو: أي الأخوين أكبر سنا؟ وتقع على الزمان، والمكان، والحال، والعاقل، وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه. جميع هذه الأدوات تأتي للتصور ليس غير، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه.

القواعدُ:

(١٩) لِلاِسْتِفْهَام أَدَوَاتٌ أخرى غيْرُ الهمزة وهَلْ، وهي:

مَنْ ويُطْلَبُ بهَا تَعْيين الْعُقَلاَء.

ما شَرْحُ الاسمِ أو حقيقة المسمَّى.

مَتَى تَعْيينُ الزَّمَان مَاضِياً كانَ أو مستقبلا.

أَيَّانيطلب بها تعيين الزمان الْمُسْتَقْبَل خاصَّةً، وتكون مَوْضِع التَّهويل.

كَيفَ وَيُطلَبُ بها تَعْيينُ الحال.

أيْنَ يطلب بها تعيين المكان.

أَنَّى وتأتى لِمَعَان عِدَّةٍ، فتكونُ بمَعْنَى كَيْفَ، وبمعنى مِنْ أَيْنَ، وبمعنى مَتى.

كمْ ويُطَلبُ بها تَعْيينُ العَدَدِ.

أي ويُطلَبُ بهَا تَعْيينُ أَحَدِ الْمُتَشَاركين في أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، ويُسْأَلُ بها عَن الزَّمَان والْحَال والعَدَدِ والعَاقِل وغير العاقل عَلَى حَسَبِ مَا تُضَافُ إِليْهِ.

(٢٠) جَمِيعُ الأَدَوَاتِ الْمُتَقَدِّمةِ يُطلَبُ بها التصوُّر، ولذلِك يكونُ الجوابُ معَهَا بَتعْيين الْمَسْئُول عَنْهُ.

الأمثلة القرآنية:

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [سورة الروم: ٢٩].

أداة: الهمزة وهي في معنى التصور: ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٥٩].

التصديق: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ١].

أداة ما: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [سورة طه: ١٧].

أداة من: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

أداة متى: للماضي، والمستقبل، ولم يأت في القرآن إلاًّ للمستقبل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة السجدة: ٢٨].

أداة أيان: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة: ٦].

أداة كيف: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة الروم: ٩].

أداة: أَنَّى تكون بمعنى كيف: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٠]، وبمعنى من أين: قال تعالى ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧]، وبمعنى متى: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة: ٣٥٩].

وأداة كم: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]

أداة أين: يقول الإنسان يومئذ أين المفر. [سورة القيامة: ١٠]

أيّ يطلب بها تعيين أحد المتشاركين في أمر يعمهما ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [سورة الأنعام: ١٩]، ويسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل وغير العاقل.

الأسئلة:

(١) عرِّف التصور والتصديق، واذكر مثاله.

(٢) اكتب خمس أدوات استفهام مع أمثلة قرآنية؟

الدرس الحادي عشر

(ج) المعاني التي تُسْتَفَادُ مِنَ الاستفهامِ بالقَرَائن

الأمثلةُ:

(١) قال البحتري:

هل الدهر إلا غمرةٌ وانجلاؤها وشيكاً ... وإلا ضـــيقة وانفراجهـــا[(١)]

(٢) وقال أبو الطيب في المديح:

أَتَلْتَمِسُ الأعداءُ بَعدَ الذي رَأَتْ ... قِيَـامَ دَليـلٍ أَوْ وُضُـوحَ بَيَـانِ[(٢)]

(٣) وقال البحتري:

أَلَسْـتَ أعَمّهُـمْ جُـوداً، وأزْكَـا ... هُـمُ عُـوداً، وأمضَـاهُمْ حُسَـامَا[(٣)]

(٤) وقال أحمد شوقي:

إلامَ الْخُلْـفُ بَيْـنَكُمُ إلا مـا؟ ... وهَـذِهِ الضَّـجةُ الكُبرَى عَلامَـا[(٤)]

(٥) وقال أبو الطيب في الرثاء:

مَن للمَحافلِ وَالجَحافلِ وَالسُّرَى ... فَقَـدَتْ بفَقْـدِكَ نَيِّـراً لا يَطلُـعُ[(٥)]

---

(١) الغمرة الشدة وانجلاؤها: زوالها، ووشيكاً سريعاً.

(٢) يقول: هل يطلب أعداؤك دليلا على أن الله يريد أن يجعل أمرك هو الغالب بعد ما رأو ا الأدلة على ذلك.

(٣) أزكاهم عوداً: أقواهم جسماً.

(٤) المحافل: المجامع، والجحافل: الجيوش، والسرى: مشي الليل، ويريد به الزحف على الأعداء.

(٥) المحاجم: جمع محجمة وهي القارورة يحجم بها الجلد، ويقال لها كاس الحجامة، الجلم: أحد شقي المقراض والمراد به المشراط. قيل إن كافورا كان عبدا لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد.

وَمَنِ اتخذتَ على الضّيوفِ خَليفَةً   ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لا يكَادُ يُضَيّعُ

(٦) وقال يهجو كافورًا[١] :

من أيّةِ الطُّرْقِ يأتي مثلَكَ الكَرَمُ   أينَ المَحاجِمُ يا كافُورُ وَالجلَمُ

(٧) وقال أيضاً :

حَتّامَ نحنُ نُساري النّجمَ في الظُّلَمِ   ومَا سُرَاهُ على خُفٍّ وَلا قَدَمِ[٢]

(٨) وقال أيضاً وقد أصابته الحمَّى :

أبِنْتَ الدّهْرِ عِندي كُلُّ بِنْتٍ   فكَيفَ وَصَلْتِ أنتِ منَ الزّحامِ[٣]

(٩) وقال تعالى : ﴿قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء : ١٣٦].

(١٠) وقال تعالى : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾ [سورة الأعراف : ٥٣].

(١١) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف : ١٠].

البحث:

عرفتَ فيما مضى ألفاظ الاستفهام ومعانيها الحقيقية. هنا نريد أن نبين لك أن هذه الألفاظ قد تخرج إلى معان أخرى تستفاد من السياق.

تدبر الأمثلة المتقدمة تجد البحتري في المثال الأول لا يسأل عن شيء، وإنما يريد أن يقول : ما الدهر إلا شدة سرعان ما تنجلي، وما هو إلا ضيق

---

[١] يقول لا طريق إليك للكرم فإنك لست منه في شيء إنما أنت أهلٌ لأن تكون حجاما مزينا فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها.

[٢] نساري : من السرى وهو مشي الليل يقول حتى متى نسرى مع النجم في الليل وهو لا يسرى على خف كالإبل ولا على قدم كالناس فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا.

[٣] يريد ببنت الدهر : الحمى التي أصيب بها، وبنات الدهر : شدائده ومصائبه. يقول للحمى : عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى العظام.

يعقبه فرج، فلفظة "هل" في كلامه إِنما جاءت للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولا.

وأبو الطيب في المثال الثاني إنما ينكر على الأعداء ارتيابهم في عُلا كافور والتماسهم البراهين على ما كتبه الله من النصر واختصه به من الجدِّ السعيد، بعد أن رأوا كيف يتردَّى في المهالك كل من أَراد به شرّا وكيف يُصيب الزمان كل من نوى له سوءا، فالاستفهام في البيت لا يفيد معنى سوى الإِنكار.

والبحتري في المثال الثالث إنما يريد أن يحمل الممدوح على الإِقرار بما ادعاه له من الفوْق على بقية الخلفاء في الجود وبسطة الجسم والشجاعة. وليس من قصده أن يسأل، فالاستفهام في كلامه للتقرير.

والشاعر في المثال الرابع يلوم مخاطبيه على تماديهم في الشقاق واستمرارهم في التخاذل والتنافر. ويقرعهم على غلوهم في الصخَب والضجيج، فهو قد خرج بأداة الاستفهام عن معناها الأصلي إلى التوبيخ والتقريع.

وأبو الطيب في المثال الخامس يقصد إلى التعظيم والإجلال بإِظهار ما كان للمرثي أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم، مع ما في ذلك من إظهار التحسر والتفجع. أَما في المثال السادس حيث يهجو كافورًا فإنه ينتقصه ويعمِدُ إِلى تحقيره والحطّ من كرامته.

وإذا تدبرت بقية الأَمثلة وجدت أَدوات الاستفهام قد خرجت عن معانيها الأَصلية إِلى الاستبطاء والتعجب. والتسوية والتمني، والتشويق، على الترتيب.

القاعدةُ:

(٢١) قَدْ تَخْرُجُ أَلفاظُ الاستفهام عَنْ معَانِيها الأَصْلِيَّةِ لمعَانٍ أُخْرى تستفَادُ من سياق الكلام كالنَّفْي، والإِنْكَار، والتَّقْرير والتَّوْبيخِ والتعظيم، والتحقير والاستبطاء والتَّعَجبِ، والتّسْويةِ والتَّمَنِّي والتشويق.

نموذج(١)

(١) شَبَّ في المدينة حريقٌ لم تره، فسلْ صديقك عن رؤيته إيَّاه.

(٢) سمعت أنَّ أحد أخويك عليٌّ ونجيب أنقذ غريقاً. فسل عليًّا يعيِّن لك المنقذ.

(٣) إذا كنت تعرف أنَّ البنفسج يكثر في أحد الفصلين الخريف أو الشتاء لا على التعيين، فضَع سؤالا تطلب فيه تعيين أحد الفصلين.

الإجابة(١)

الرقم	السؤال المطلوب	شرح الإجابة
١	هل رأيت الحريق الذي شب في المدينة؟	السؤال هنا عن النسبة، وهل والهمزة صالحتان للاستفهام عنها فتذكر إحداهما ويؤتى بعدها بالجملة.
٢	أ أنت الذي أنقذت الغريق؟	السؤال هنا للمسند إليه فيستفهم بالهمزة ويؤتى بعدها بالمسؤول عنه ثم يؤتى بمعادل بعد أم
٣	أفي الخريف يكثر البنفسج أم في الشتاء؟	السؤال عن الظرف ويتبع في تكوينه ما اتبع في المثال السابق.

نموذج(٢)

لبيانِ الأغراض التي يدلُّ عليها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

(١) قال أبو تمام في المديح:

هَل اجتَمعتْ أَحْيَاءُ عَدْنَانَ كلُّهَا ... بِمُلْتَحَمٍ إلاَّ وأَنْتَ أَميرُهَا؟[1]

(٢) وقال البحتري:

[1] أحياء عدنان: بطونها؛ الملتحم: مكان اشتداد القتال.

أأكفُرُكَ النَّعْمَاءَ عِندي، وَقد نمتْ ... علَيّ نُمُوَّ الفَجْرِ، والفَجْرُ ساطِعُ[١]

وأنتَ الذي أعْزَزْتَني بَعدَ ذِلّتي ... فلا القوْلُ مَخفوضٌ ولا الطّرْفُ خاشعُ

(٣) وقال ابن الرومي في المدح:

أَلستَ المرءَ يَجْبي كلَّ حمدٍ ... إذا ما لم يكنْ للحمدِ جابِ[٢]

(٤) وقال أبو تمام:

مَا للخُطوبِ طَغَتْ عليَّ كأنَّها ... جهلتْ بأنَّ نداكَ بالمرصادِ

(٥) وقال آخر:

فَدَعِ الوَعيدَ فما وَعيدُكَ ضائري ... أطَنينُ أجْنِحَةِ الذُّبابِ يَضيرُ[٣]

(٦) قال الشاعر:

أضاعوني وأيَّ فَتى أضاعوا؟ ... لِيوْمِ كريهَةٍ وسدادِ ثَغْرِ[٤]

الإجابة (٢)

الرقم	صيغة الاستفهام	الغرض	الشرح
١	هل اجتمعت أَحياء عدنان	النفي	لأن المعنى أن بطون عدنان لم تجتمع في مكان قتال إلا أنت أمير عليها
٢	أأكفرك النعماء عندي	الإنكار	فإن البحتري يريد أن يقول لمدحه إنه لا يليق في أن أكفر نعماءك فقد غمرتني بها غمراً، بدلتني بالذل عزا، وبالخضوع والخشوع عظمة وعلواً

---

[١] القول المخفوض: ما كان لينا لَيْسَ في شدة، والطرف الخاشع: العين فيها انكسار وذلة.

[٢] جبى: يجمع.

[٣] الطنين: صوت أجنحة الذباب، ويضير: يضر.

[٤] الكريهة: الشدة في الحرب، والثغر: موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان، ويريد بسداده سده بالخيل والرجال.

٣	ألســت المــرء يجبى كل حمد	التقرير	لأن القائل يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه من اجتماع المحامد له
٤	مــا للخطــوب طغت علي	التعجب	فإن أبا تمام يعجب من تراكم الشدائد عليه في حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه نداه وعطاياه، ولذلك قال كأنها جهلت بأن نداك بالمرصاد
٥	الطـنين أجنحـة الذباب يضير	التحقير	لأن الشاعر يشبه وعيد عدوه بصوت أجنحة الذباب
٦	أضـاعوني وأي فتى أضاعوا	التعظيم	لأن المـتكلم يريـد أن يرفـع مـن شـأن نفسـه ويـبين أنـه عمـاد العشـيرة في أو قات الحروب والشدائد

الأمثلة القرآنية:

(١) النفي:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإَحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠)

(٢) الإنكار:

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر: ٣٦)

(٣) التوبيخ:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ (سورة المر سلات: ١٦)

(٤) التعظيم:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥)

(٥) التحقير:

قال الله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ (سورة الفرقان: ٤١)

(٦) التعجب:

قال الله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ (سورة الفرقان: ٧)

(٧) التسوية:

قال الله تعالى: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة: ٦)

(٨) التشويق:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة الصف: ١٠).

الأسئلة:

١ـ اذكر المعاني التي تخرج إليها أداة الاستفهام.

شب في المدينة حريق لم تره، فسل صديقك عن رؤيته إياه

اشرح هذا المثال، وطبق على قاعدة الاستفهام.

الدرس الثاني عشر

(٤) التمنِّي

الأمثلةُ:

(١) قال ابن الرومي في شهر رمضان:

فليتَ الليلَ فيه كانَ شهرًا ... ومرّ نهارُه مَرَّ السحابِ

(٢) وقال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٣].

(٣) وقال جرير:

وَلَّى الشَّبابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ ... لو كان ذلكَ يُشْتَرَى أَو يَرْجِعُ

(٤) وقال آخر:

أَسِرْبَ الْقَطا، هلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ ... لعلّي إلى من قَد هَويتُ أَطِيرُ[1]

(٥) وقال تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة القصص: ٧٩]

البحثُ:

الأمثلة المتقدمة جميعها من باب الإنشاء الطلبي. وإذا تأَملت المطلوب في كل مثال وجدته أمراً محبوباً لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً كما في الأمثلة الأربعة الأولى، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله كما في المثال الأخير، ويسمَّى هذا الضرب من الإنشاء بالتمني.

والأدوات التي أفادت التمني في الأمثلة المتقدمة هي: ليت، وهل، ولو، ولعل: غير أن الأداة الأولى أفادته بأصل الوضع، أما الثلاث الأخرى

---

[1] السرب: الجماعة، والقطا: نوع من الطير يشبه الحمام، وهويت: أحببت.

فإنها استُعْمِلت فيه للطائف بلاغية.

هذا، وإذا كان المطلوب المحبوب ممكناً مطموعاً في حصوله كان طلبه ترجياً، ويعبر فيه بلعل وعسى، وقد تستعمل فيه ليت لسبب يقصده البليغ كما في قول أبي الطيب:

فَيَا لَيتَ مَا بَيْني وبَينَ أحِبّتي ... مِنَ البُعْدِ ما بَيني وبَينَ المَصائِبِ

القواعدُ:

(٢٢) التمني طَلَبُ أمْرٍ مَحْبُوبٍ لا يُرجَى حُصُولُه، إمَّا لِكَونِهِ مُسْتَحِيلاً، وإمَّا لكونه مُمكِناً غيرَ مطموع في نَيْلِهِ.

(٢٣) واللفظُ الْمَوْضُوعُ للتمني لَيتَ، وقد يُتَمَّنى بهَل ولو، ولَعلَّ، لِغَرَض بلاغيٍّ[1].

(٢٤) إذا كان الأمرُ المحبوبُ مِما يُرجَى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ تَرَجِّياً، ويُعَبرُ فيهِ بلعل أَوْ عَسَى، وقد تستعمل فيه لَيتَ لَغَرَض بلاغيٍّ[2].

نموذجٌ

لبيان ما في الأمثلة الآتية من تمنٍّ أو ترجٍّ، وتعيين الأداة في كل مثال:

(١) قال صريع الغواني:

واهاً لأيامِ الصَبا وزمانِهِ ... لَوْ كانَ أسْعفَ بالمقَام قليلا[3]

(٢) وقال أبو الطيب[4]:

---

[1] الغرض في هل ولعل، هو إبراز التمني في صورة الممكن القريب الحصول؛ لكمال العناية به والشوق إليه، والغرض في لو الإشعار بعزة المتمني وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع، إذ أن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

[2] الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله.

[3] واها: كلمة تعجب تقولها إذا تعجبت من طيب الشيء، فمعنى واها لأيام الصبا ما أطيبها!

[4] أي ليت هوى الأحباب كان عادلا في فعله فكان يحمل على كل قلب بقدر طاقته وفي هذا إشارة إلى أنه اعشق العشاق وإن الهوى حمله ما لا يطيقه جورا عليه.

فَلَيْتَ هـوَى الأحبّـةِ كـانَ عَـدلاً   فَحَمّـلَ كُـلّ قَلْـبٍ مـا أطَاقَـا

(٣) قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [سورة غافر: ١١].

الإجابة:

الرقم	المعنى المراد	الأداة	البيان
١	التمنى	لو	لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله.
٢	الترجي	ليت	لأن المطلوب هنا ممكن مطموع في حصوله.
٣	التمنى	هل	لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [سورة النبأ: ٤٠]. هذا مثال لكون المتمني مستحيلًا.

(٢) قال الله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [سورة القصص: ٧٩].
هذا المثال لكون المتمني بعيد الوقوع.

مثال الترجي، وذلك بعسى ولعل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

ومثال لعل: قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق: ١].

وللتمني أربع أدوات: ليت، هل، لو، لعلَّ.

(١) ليت: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [سورة النبأ: ٤٠]

(٢) هل: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٣]

(٣) لو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٢]

(٤) لعلَّ ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [سورة المؤمن: ٣٦ ـ ٣٧]

الأسئلة:

(١) عرِّف التمني بالمثال.

(٢) ما هي أدوات التمني؟ اذكر بالأمثلة القرآنية.

الدرس الثالث عشر

(٥) النّداءُ

الأمثلةُ:

(١) كتبَ أبو الطيب إلى الوالي، وهو في الاعتقال:

أمَالِـكَ رِقّـي ومَـنْ شَـأنُهُ ... هِبـاتُ اللُّجَـينِ وعِتْـقُ العَبيـدِ[١]

دَعَوْتُـكَ عِنـدَ انْقِطـاعِ الرّجَـاءِ ... والمَـوْتُ مـني كـحَبلِ الوَريـدِ[٢]

(٢) وقال أَبو نُواس[٣]:

يـا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذنوبي كثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعظمُ

(٣) وقال الفرزدق يفتخر بآبائه ويهجو جريرًا[٤]:

أُولَئِـكَ آبَـائي، فَجِـئْني بِمِـثْلِهِمْ ... إذا جَمَعَتْنـا يـا جَرِيـرُ المَجَـامِعُ

(٤) وقال آخر:

أَيـا جـامِعَ الـدنيَا لِغَـيرِ بَلاغَـةٍ ... لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وأنت تَمُوتُ؟

البحثُ:

إذا أَردنا إقبال أَحد علينا دعوناه بذكر اسمه أو صفة من صفاته بعد حرف نائب مناب أدعو، ويسمَّى هذا بالنداء.

---

[١] الرق: العبودية، والهبات: العطايا، واللجين: الفضة، والعتق: التحرير.

[٢] حبل الوريد: عرق في العنق يضرب مثلًا في شدة القرب.

[٣] العقد الفريد ـ (ج ١/ ص: ٣٤٨).

[٤] منتهى الطلب من أشعار العرب - (ج ١/ ص: ٢١٧).

وأَدوات النداء هي : الهمزة ، وأي ، ويا ، وآ ، وآي ، وأيا ، وهيا ، ووا.

والأصل في نداء القريب أن ينادى بالهمزة أو أي. وفي نداء البعيد أَن ينادَى بغيرهما من بقية الأدوات ، غير أن هناك أسباباً بلاغية تدعو إِلى مخالفة هذا الأصل ، وسنشرح لك هذه الأسباب فيما يأتي :

تأَمل المثال الأَول تجد المنادى فيه بعيداً ، ولكن أبا الطيب ناداه بالهمزة الموضحة للقريب ، فما السبب البلاغي هنا؟ السبب أَن أبا الطيب أراد أن يبين أن المنادَى على الرغم من بعده في المكان ، قريب من قلبه مستحضر في ذهنه لا يغيب عن باله ، فكأنه حاضر معه في مكان واحد. وهذه لطيفة بلاغيَّة تسوغ استعمال الهمزة وأي في نداء البعيد.

انظر إِلى الأمثلة الثلاثة الباقية تجد المنادى في كل منها قريبَا ، ولكن المتكلم استعْمل فيها أحرف النداء الموضوعة للبعيد ، فما سبب هذا؟

السبب أن المنادى في المثال الثاني جليل القدر خطير الشأن فكأَنَّ بُعد درجته في العِظم بعدٌ في المسافة ، ولذلك اختار المتكلم في ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع. وأما في المثال الثالث فلأنَّ المخاطب في اعتقاد المتكلم وضيع الشأن صغير القدر فكأنَّ بُعد درجته في الانحطاط بعدٌ في المسافة. وأما في المثال الأخير فلأن المخاطب لغفلته وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم في مكان واحد.

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي وهو طلب الإِقبال إلى معان أخرى تستفادُ من القرائن ، ومن هذه المعاني ما يأتي :

(١) الزجر كقول الشاعر :

يا قلب ويْحك ما سمعتَ لنَاصِحٍ　　　لَمَّا ارْتَميْتَ ولا اتقَيْتَ ملامًا

(٢) التحسر والتوجع ، قال الحُسَين بن مُطَير الأَسَدِي[1] :

---

[1] خزانة الأدب - (ج ٢/ ص : ٢٦٠).

فيا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْف وارَيْتَ جُودَهُ   وقَدْ كانَ مِنْه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرعَا

(٣) الإِغراء كقولك لمنْ أقبل يتظلم : يا مظلومُ تكلَّم.

القواعدُ:

(٢٥) النّداءُ طَلَبُ الإِقْبَال بحَرْفٍ نَائِبٍ منَابَ أَدْعُو.

(٢٦) أدوات النِّدَاءَ ثمان : الْهَمْزَةُ، و"أي" ، و"يَا"، و"آ" ، و"آي" و"أَيا" ، و"هَيَا" ، و"وا" .

(٢٧) الهمزة وأي لنداء القريب ، وغيرهما لنداء البعيد.

(٢٨) قد ينزَّل البعيد منزلة القريب ، فينادَى بالهمزة و"أي" ، إشارةً إلى قُربه من القلب وحضوره في الذهن.

وقد ينزَّلُ القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة و"أي" ، إشارةً إلى عُلُوِّ مرتبته ، أو انحطاط منزلته ، أو غفلته وشرود ذهنه.

(٢٩) يخرج النداءُ عن معناه الأصليِّ إلى معان أخرَى تستفادُ من القرائن ، كالزجر والتحسر والإغراء.

نموذجٌ

لبيان أدوات النداء في الأمثلة الآتية ، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد ، وما خرج عن ذلك مع بيان السبب :

(١) قال الشاعر[(١)] :

أَبُنَـيَّ إِنَّ أَبـاكَ كـارِبُ يَومِـهِ   فـإِذا دُعِيتَ إِلى المَكارِمِ فاعْجَلِ[(٢)]

(٢) وقال الشاعر[(٣)] :

يـا مـنْ يُرجَّـى للشـدائد كلِّها   يـا مـنْ إليـه المشـتكَى والمفـزعُ

[(١)] تاج العروس - (ج ١/ ص : ٩٠٧).

[(٢)] كارب يومه أي مقارب يومه الذي يموت فيه.

[(٣)] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج ٢/ ص : ١٠٢).

(٣) وقال أبو العتاهية[(١)]:

أيا مَنْ عاشَ في الدنيا طويلاً — و أفنَى العمرَ في قيلٍ وقالِ
وأتعبَ نفسَه فيما سيفنَى — يجمَّعُ مِنْ حرامٍ أو حلالِ
هبِ الدنيا تقادُ إليكَ عفوا — أليسَ مصيرُ ذلك للزوالِ؟

(٤) وقال سوار بن المُضَرَّب[(٢)]:

يأيها القلبُ هلْ تنهاكَ موعظةٌ — أو يُحدِثَنْ لك طولُ الدهرِ نسيانا[(٣)]

(٥) وكتب والدٌ لولده ينصحه[(٤)]:

أَحُسَيْنُ إنِّي واعِظٌ وَمُؤَدِّبُ — فَافْهَمْ فَأَنْتَ العَاقِلُ المُتَأَدِّبُ

الإجابةُ

(١) الأداة الهمزة وقد استعملت في نداء القريب جرياً على الأصل.

(٢) الأداة يا وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى علو مرتبة المنادى وارتفاع شأنه.

(٣) الأداة أيا وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى غفلة المخاطب.

(٤) الأداة "يا" وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى أنَّ المنادى غافل لاهٍ، فكأنه غير قريب.

(٥) الأداة "الهمزة" وقد نُودي بها البعيد على خلاف الأصل، إشارة إلى أن المنادَى حاضر في الذهن لا يغيب عن البال فكأنه حاضرُ الجثمان.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيْمُ أَعْرِضْ عَنْ هذَا﴾ [هود: ٧٦].

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف - (ج ١/ ص: ٧٣).

(٢) شاعر إسلامي كان مع قطري بن الفجاءة، وهو من بني سعد تميم.

(٣) شرح ديوان الحماسة - (ج ١/ ص: ٤١٧).

(٤) منسوبة لعلي رضي الله عنه تراجم شعراء موقع أدب - (ج ١٣/ ص: ٢٤).

(٢) قال الله تعالى: ﴿يا نوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢].

حروف النداء التي خرجت عن معناها الأصلي.

(١) **الزجر:** قال الله تعالى: ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء: ١٠١].

هنا "يا" ليس للإقبال، بل للزجر، لأنّ فرعون يزجر ويلومُ موسى.

(٢) **الإغراء:** قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٧٣].

هنا "يا أيها النبي" لايُراد منهُ إقبال الأمر الذي هو معنى فعل الأمر، بل يرادُ منه معنى الإغراء والحث على جهاد الكفار والمنافقين.

(٣) **التحسر:** قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٥٦].

ياحسرتا معناه: إظهار الحسرة، فالمقصود من النداء هو إظهار الوجع والحسرة.

الأسئلة:

(١) عرف النداء، واذكر أدواته.

(٢) ما هي المعاني التي تخرج إليها أدوات النداء؟



الدرس الرابع عشر

القصرُ

تعريفه - طرقه - طرَفاه

الأمثلةُ:

(١) لا يفوز إلا المجدُّ.

(٢) إنما الحياةُ تعبٌ.

(٣) الأرضُ متحرِّكةٌ لا ثابتة.

(٤) ما الأرضُ ثابتةً بلْ متحركةٌ.

(٥) ما الأرضُ ثابتةً لكنْ متحركةٌ.

(٦) على الرجالِ العاملين نثني.

البحثُ:

إذا تأملت الأمثلة السابقة رأيت أنَّ كل مثال منها يتضمن تخصيص أمر بآخر، فالمثال الأول يفيد تخصيص الفوز بالمجدِّ، بمعنى أن الفوز خاص بالمجدِّ لا يتعداه إلى سواه. والمثال الثاني يفيد تخصيص الحياة بالتعب، بمعنى أن الحياة وقفٌ على التعب لا تفارقه إلى الراحة. وهكذا يقال في بقية الأمثلة.

وإذا أردت أن تعرف منشأ هذا التخصيص في الكلام، كفاك أن تبحث في الأمثلة قليلاً. خذ المثال الأول مثلا، واحذف منه أداتي النفي والاستثناء، تجد أن التخصيص قد زال منه وكأنه لم يكن، إذاً النفي والاستثناء هما وسيلة التخصيص فيه، وبمثل هذه الطريقة تستطيع أن تدرك أن وسائل

التخصص في الأمثلة الباقية هي: إنما: العطف بلا، أو بل، أو لكن، وتقديم ما حقه التأخير. ويسمي علماء المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل بالقصر، ويسمُّون الوسائل نفسها طرق القصر.

ارجع إلى الأمثلة مرة أخرى، وابحث فيها واحدًا واحداً: تجد المتكلم في المثال الأول يقصر الفوز على المجد، فالفوز مقصور، والمجد مقصور عليه، وهما طرفا القصر. ولما كان الفوز صفةً من الصفات، والمجدُ هو الموصوف بهذه الصفة، كان القصر في هذا المثال قصر صفة على موصوف، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر. وتراه في المثال الثاني يقصر الحياة على التعب. فالحياة مقصورة، والتعب مقصور عليه، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفةً لها كان القصر في هذاالمثال قصرَ موصوف على صفة بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة، ولو أنك تدبرت جميع أمثلة القصر ما ذكر منها هنا وما لم يذكر، لوجدت كلَّ مثال يشتمل على مقصور ومقصور عليه، ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين. فهو إما قصر صفة على موصوف، وإما قصر موصوف على صفة.

وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهِّل عليك معرفة كلٍّ من المقصور والمقصور عليه في كل ما يرد عليك، فانظر إلى القواعد الآتية تجد ذلك مفصَّلاً.

القواعدُ:

(٣٠) القصرُ تخصيصُ أمرٍ بآخرَ بطريقٍ مخصوصٍ.

(٣١) طرقُ القصرِ المشهورةِ أربعٌ[١]:

(أ) النفي، والاستثناء، وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.

(ب) إنما، ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوبًا.

---

[١] هناك طرق القصر غير هذه الأربع، منها ضمير الفصل نحو: علي هو شجاع، ومنها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو: أكرمت محمدا وحده، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية.

(جـ) العطف بلا ، أو بل ، أو لكن ، فإنْ كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها ، وإن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما.

(د) تقديم ما حقُّهُ التأخير. وهنا يكون المقصور عليه هو المقدَّم.

(٣٢) لكلِّ قصرٍ طرفانِ: مقصورٌ، و مقصورٌ عليه.

(٣٣) ينقسمُ القصرُ باعتبار طرفيهِ قسمين:

(أ) قصرُ صفةٍ على موصوفٍ.

(ب) قصرُ موصوفٍ على صفةٍ.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤].

(٢) قال الله تعالى: ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾ [سورة هود: ٤٣].

(٣) قال الله تعالى: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [سورة الصافات: ٣٥].

استعمال أدوات القصر:

(١) النفي والاستثناء: قال الله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة المائدة: ١١٠ ، وسورة سبأ: ٤٣].

(٢) إنما: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

(٣) العطف بلا أو بل أو لكن: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [سورة الحاقة: ٣٦] وقال ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٦].

(٤) تقديم ما حقه التأخير: كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة: ٤].

الأسئلة:

(١) عرِّف القصر واذكر طرقه.

(٢) اذكر أدوات القصر بالأمثلة.

الدرس الخامس عشر

الْفَصلُ والوصلُ

(١) مواضِع الْفَصْلِ

الأمثلةُ:

(١) قال أبو الطيب:

وَمَا الدَّهرُ إلا مِنْ رُوَاةِ قصائدي إذَا قُلتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدهرُ مُنْشِدًا[(١)]

(٢) وقال أَبو العلاء[(٢)]:

والنّاسُ للنّاسِ من بَدْوٍ وحَاضِرَةٍ بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يَشعُروا، خدَم[(٣)]

(٣) وقال تعالى: ﴿.. يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد: : ٢].

(٤) وقال أَبو العتاهية:

يا صاحبَ الدُّنْيَا الْمُحِبَّ لها أَنْتَ الذي لاَ ينقضي تَعَبُهْ

(٥) وقال آخر:

---

(١) يقول: إن الدهر من جملة شعري، وذلك لأن ألسنة الناس جميعا تتناقله في كل وقت فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدي ويرويها.

(٢) ديوان أبي العلاء المعري - (ج ١/ ص: ١٢٠٣).

(٣) البدو: البادية، والحاضرة: ضد البادية وهي المدن والقرى والريف، يقال: فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، ومعنى البيت إن الناس لا بد لهم من التعاون فلا يتهيأ لإنسان أن يستقل في هذه الحياة بشؤون نفسه.

وَإِنَّمَــا الْمَــرْءُ بِأَصْــغَرَيْه　　كُـلُّ امـرئ رَهْـنٌ بمَـا لَدَيْـهِ[١]

(٦) وقال أبو تمام[٢]:

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عنْكَ لي أَملاً　　إِنَّ السَمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[٣]

البحثُ:

يقصِد علماء المعاني بكلمة الوصْل عطفَ جملة على أخرى بالواو[٤] كقول الأبيوَرْدى يخاطب الدهر:

فَالعَبْدُ رَيّانُ مِنْ نُعْمى يَجودُ بها　　والحرُّ ملتهبُ الأحشاءِ مِنْ ظمإِ[٥]

ويقصدون بالفصل ترك هذا العطف، كقول المعري:

لا تَطْلُبَنَّ بآلةٍ لَكَ حاجةً　　قَلَمُ البليغ بغيْر حظٍّ مِغْزَلُ

هذا، ولكل من الفصل والوصل مواطنُ تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام، وسنبدأ لك بمواطن الفصل:

تأمل أَمثلة الطائفة الأولى تجد بين الجملة الأولى والثانية في كل مثال تآلفاً تامًّا، فالجملة الثانية في المثال الأَول، وهي إذا قُلتُ شِعْرًا أصْبح الدهرُ مُنشِدًا لم تجئ إلا توكيدًا للأولى، وهي جملة وما الدهرُ إلا من رُواة قصائدي فإن

---

[١] الأصغران: القلب واللسان، ورهن بما لديه: يجازي بما عمل.

[٢] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١/ ص: ٩٥).

[٣] المراد بالحجاب احتجاب الممدوح عن قصاده، ومقص: مبعد، وتحتجب: تختفي تحت الغيوم.

[٤] إنما قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل "بالواو" دون بقية حروف العطف، لأنها هي الإرادة التي تخفي الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الإدراك، إذ إنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك أما غيرها من حروف العطف فتفيد معاني زائدة، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في ثم، وهلم جرا ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها.

[٥] الريان: ضد الظمآن، والنعمى: النعمة.

معنى الجملتين واحد. والجملة الثانية في المثال الثاني بعضٌ لبعض وإن لم يشعرُوا خدمُ ما جاءَت إلا لإيضاح الأولى الناسُ للناس من بدوٍ وحاضرة فهي بيان لها، والجملة الثانية في المثال الثالث جزء من معنى الأولى، لأَن تفصيل الآيات بعضٌ من تدبير الأمور، فهي بدل منها، ولا شك أنك لَحَظْتَ أن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى في كل مثال من الأمثلة الثلاثة، ولا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد[١]. ولذا يقال: إن بين الجملتين كمالَ الاتصال.

تأمل مثالي الطائفة الثانية تجد الأمر على العكس، فإنَّ بين الجملة الأولى والثانية في كل مثال منتهَى التباين وغايةَ الابتعاد، فإنهما في المثال الرابع مختلفان خبرًا وإنشاء. وهذا جلي واضح.

أما في المثال الخامس فلأنه لا مناسبة بينهما مطلقاً، إذ لا رابطة في المعنى بين قوله: وإنما المرءُ بأصغريه وقوله: كل امرئ رهن بما لديه، وهنا تجد الجملة الثانية في كل من المثالين مفصولة عن الأولى، ولا سر لذلك إلا كمالُ التباين وشدةُ التباعد[٢]، ولذلك يقال في هذا الموضع: إنَّ بين الجملتين كمالَ الانقطاع.

انظر إلى المثال الأخير تر أن الجملة الثانية فيها قويت الرابطة بالجملة الأولى، لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن أبا تمام بعد أن نطق بالشطر الأول توهم أن سائلا سأله، كيف لا يحولُ حجاب الأمير بينك وبين تحقيق آمالك؟ فأجاب: إنَّ السماء ترجَّى حين تحتَجب فأنت ترى أن الجملة

---

[١] لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت، وهذا يقتضي ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه، والجزء لا يعطف على كله.

[٢] إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما. ولا ذلك في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين.

الثانية مفصولة عن الأولى، ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤال فأشبهت الحالُ هنا من بعض الوجوه حال كمال الاتصال التي تقَدمت، ولذلك يقال إنَّ بين الجملتين شبهَ كمال الاتصال.

القواعدُ:

(٣٤) الوصلُ عَطفُ جُملةٍ عَلَى أخْرَى بالواو، والفصلُ تَرْكُ هذا العطف، ولكلٍّ مِنَ الفَصْلِ والوصلِ مَوَاضِعُ خاصةٌ.

(٣٥) يَجبُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن في ثَلاثَةِ مَواضعَ:

(أ) - أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ تَامٌّ، وذلك بأَنْ تَكونَ الجمْلَةُ الثانيةُ تَوْكِيدًا لِلأولى، أَوْ بَيَاناً لها، أوْ بَدَلاً مِنْهَا، وَيُقَالُ حِينَئِذ إنَّ بَيْنَ الجملَتَين كَمَالَ الاتِّصَال.

(ب) ـ أنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ تَامٌّ، وذلكَ بأَنْ تَختلفَا خَبَرًا وإنشاءً، أَوْ بألا تَكونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا، وَيُقَالُ حِينَئِذ إن بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الانْقِطَاع.

(جـ) ـ أَنْ تَكونَ الثَّانَيةُ جوابا عَنْ سُؤالٍ يُفْهَم مِنَ الأولى، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن شِبْهَ كَمَال الاتِّصَال[1].

الأمثلة القرآنية:

(١) موضع الفصل (اتحاد تام): قال الله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٣٢ـ ٣٣].

هناك جملتان: الجملة الأولى: أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُوْنَ، وَالجملة الثانية: أَمَدَّكُمْ بأنعامٍ وَبَنِيْنَ، فالجملة الثانية بدل أو بيان للجملة الأولى.

---

[1] ذهب بعض المتأخرين من علماء المعاني إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التي ذكرناها ولكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الموضع الثالث.

(٢) تباين تام: قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ [سورة الحج: ٢٧]. فبين "أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ"، وبين "يَأْتُوْكَ" تباين تام، لأن الجملة الأولى جملة إنشائيةٌ، والجملة الثانية جملة خبرية، أو بأن لا يكون بينهما مناسبة في المعنى.

(٣) أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١]

فالجملة الثانية (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) في هذه الآية جواب عن السؤال.

الأسئلة:

(١) عرِّف مواضع الفصل بشيء من التفصيل.

(٢) اكتب تعريف الفصل.

الدرس السادس عشر

(٢) مواضِعُ الوصلِ

الأمثلةُ:

(١) قال أَبو العلاء المعري:

وحـبُّ العـيشِ أعبـدَ كـلَّ حـرٍّ ... وعلّـمَ سـاغباً أكـلَ المُـرار[١]

(٢) وقال أبو الطيب:

وَللسـرّ مـني مَوْضِـعٌ لا يَنَالُـهُ ... نَـديمٌ وَلا يُفْضِـي إلَيْـهِ شَـرَابُ[٢]

(٣) وقال أيضاً:

يُشَـمّرُ لِلُّـجِّ عَـنْ سـاقِهِ ... ويَغْمُـرُهُ المَـوْجُ فِي السّـاحِلِ[٣]

(٤) وقال بشارُ بن بُرد[٤]:

وأَدْنِ على القُربَى المُقَرِّب نَفْسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرأً غيرَ كاتِمِ[٥]

(٥) لا وباركَ اللهُ فِيك: تجيبُ بذلك لمن قال: (هل لكَ حاجة أساعدك في قضائها)

---

[١] الساغب: الجائع، والمرار: شجر مر، يقول: إن حب الحياة يجعل الحر عبدا ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى.

[٢] النديم: الجليس على الشراب، ويفضي: ينتهي، يقول: إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه الشراب.

[٣] اللج: معظم الماء، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن اليسيرة.

[٤] زهر الآداب وثمر الألباب - (ج ١/ ص: ٣٤٧).

[٥] يقول: قرب من يتقرب إليك بعقله وكماله، ولا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار.

(٦) لا ولطَفَ اللهُ بهِ: تجيبُ بذلك منْ قال: (هل أبلَّ أخوكَ منْ علته).

البحثُ:

تأمل الجملتين أَعْبَدَ كُلَّ حرٍ وعلَّم ساغبا أكل المُرار في البيت الأول تجد أن للأولى منهما موضعًا من الإعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها، وإن القائل أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي وتأمل الجملتين: لا يناله نديم ولا يفضي إليه شراب في البيت الثاني تجد أن للأولى أيضا موضعًا من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها، وأنه أريد إشراك الثانية لها في هذا الحكم، وإذا تأملت الجملة الثانية في كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأولى موصولة بها. وكذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو.

اُنظر في البيت الثالث إلى الجملتين: يشمِّر لِلُّجِّ عن ساقه ويغمُره الموج في الساحل تجدهما متحدتين خبرًا متناسبتين في المعنى[١] وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الثانية على الأولى، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاء، هما: أدنِ ولا تشهد وهما متناسبتان في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الثانية على الأولى، هكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرًا أو إنشاء وتناسبتا في المعنى ولم يكن هناك ما يقتضي الفصل بينهما.

انظر في المثال الخامس إلى الجملتين: لا وبارك الله فيك تجد أن الأولى خبرية[٢] والثانية إنشائية[٣]. وأنك لو فصلت فقلت: لا باركَ الله فيك لتوهم السامع أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له، ولذلك وجب العدول

---

[١] يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما كأن يكون المسند إليه في الأولى له تعلق بالمسند في الثانية، وكان يكون المسند في الأولى مماثلا للمسند في الثانية أو مضادا له.

[٢] "لا" في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير "لا حاجة لي" وكذلك يقال.

[٣] جملة "بارك الله فيك" خبرية لفظا إنشائية معنى، والعبرة بالمعنى.

عـن الفصـل إلى الوصـل. وكـذلك الحـال في جملـتي المثال الأخير، وفي كـل جملتين اختلفتا خبرًا وإنشاء وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود.

القاعدةُ:

(٣٦) يَجبُ الوَصْلُ بيَنَ الجملتين في ثَلاَثَة مَوَاضعَ:

(أ) إذَا قُصدَ إشرَاكُهمَا في الحُكم الإعرابي.

(ب) إذا اتّفَقتَا خبراً أوْ إنشاءً وكانت بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامةٌ، ولَم يَكُن هُنَاكَ سَبَبٌ يقتضي الفصلَ بَيْنَهُما.

(جـ) إذَا اخْتلَفَا خَبَراً وإنشاءً وَأوْهَمَ الفَصلُ خِلافَ الْمَقصود.

نموذجٌ

لبيان مواضعِ الوصل والفصل فيما يأتي مع ذكر السبب في كل مثال:

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦]

(٢) وقال الأحنف بن قيس: "لا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود"[١].

(٣) وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [سورة هود: ٧٠][٢].

(٤) وجاء في الحكم: كفاء بالشيبِ داءً، صلاحُ الإنسان في حفظِ اللسان.

(٥) وينسبُ للإمام علي كرم الله وجهه[٣]:

---

[١] هذا الخبر في شعب الإيمان للبيهقي برقم(٦٣٥٨) وبرقم(٨٢٦٣) والزهد لأحمد بن حنبل برقم(١٣٢٥) عن الأحنف بن قيس قال: «خمس هن كما أقول: لا راحة لحسود، ولا مروءة لكذوب، ولا وفاء لملوك، ولا حيلة لبخيل، ولا سؤدد لسيئ الخلق» وهو حسن موقوف.

[٢] أوجس منهم خيفة: أحس منهم خوفا.

[٣] كتاب نهج البلاغة - (ج ١ / ص: ٤٥٦).

دَعِ الإسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِك، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ[١] لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.

(٦) ولأبي بكر رضي الله عنه: أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي[٢].

(٧) وقال أبو الطيب[٣]:

إنّ نُيُوبَ الزّمَانِ تَعْرِفُني	أنَا الذي طالَ عَجْمُها عُودي[٤]

(٨) لا وكُفيتَ شرَّها. (تجيب بذلك من قال: أذهبتِ الحُمَّى عن المريض؟)

(٩) قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٢ـ١٣٤].

(١٠) وقال أبو العتاهية[٥]:

قَدْ يدرِكُ الرَّاقِدُ الهادِي برقْدَتِهِ	وقَدْ يخيبُ أخُو الرَّوْحاتِ والدُّلَجِ[٦]

(١١) وقال الغزي يشكو الناس:

---

[١] الفضل: ما يفضل من المال.

[٢] وتكملتها: الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ اللّهُ " سيرة ابن هشام ـ (ج ٢/ ص: ٦٦١) وهو صحيح.

[٣] زهر الأكم في الأمثال والحكم ـ (ج ١/ ص: ٢٤٥).

[٤] عجم العود: عضه ليعرف أصلب هو أم رخو، يقول: قد طالت صحبتي للزمان وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوائبه.

[٥] الفرج بعد الشدة للتنوخي ـ (ج ١/ ص: ٣٦٤).

[٦] الروحات: جمع روحة اسم بمعنى الرواح وهو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يغدو: والدلج: جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعي.

يصدُّون في البأساءِ من غير علةٍ | و يمتثلون الأمرَ والنهيَ في الخفض[(١)]

(١٢) وقال أبو العلاء المعري:

لا يُعجِبَنّكَ إقبالٌ يريكَ سَناً | إنّ الخُمودَ، لعَمري، غايةُ الضَّرَمِ[(٢)]

(١٣) وقال الشاعر:

يقولونَ إني أحملُ الضيمَ عندهم | أعوذُ بربي أنْ يضامَ نظيري[(٣)]

(١٤) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٤٩][(٤)].

(١٥) وقال تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم: ٣-٥].

الإجابةُ:

(١) فصل بين الجملتين، جملة: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، وجملة ﴿لا يؤمنون﴾ لأن بينهما كمال الاتصال، إذ أن الثانية لا توكيد للأولى.

(٢) وصل بين الجملتين لاتفاقهما خبرا وتناسبهما في المعنى. ولأنه لا يوجد هناك ما يقتضي الفصل.

(٣) فصلت جملة ﴿قالوا﴾ عن جملة ﴿و أوجس منهم خيفة﴾ لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه وقد داخله الخوف؟ فأجيب ﴿قالوا لا تخفْ﴾.

[(١)] البأساء: الشدة، والخفض: الدعة والنعيم.

[(٢)] السنا: ضوء البرق، وخمود النار: سكون لهبها، والضرم: اشتعال النار والتهابها.

[(٣)] الضيم: الذل.

[(٤)] يسومونكم سوء العذاب: يحملونكم إياه.

(٤) فصل بين الجملتين لأنَّ بينهما كمالَ الانقطاع، إذ لا مناسبة في المعنى بين الجملة الأولى والجملة الثانية.

(٥) وصل بين الجمل الأربع لاتفاقها إنشاء مع وجود المناسبة، ولأنه لا يوجد هناكَ سببٌ يقتضي الفصل.

(٦) فصل بين الجملتين: أيها الناس و"إني وليت عليكم لاختلافهما خبرًا وإنشاءً فبينهما كمال الانقطاع، ووصل بين الجملتين: وليت عليكم ولست بخيركم لأنه أريد إشراكهما في الحكم الإعرابي إذ كلتاهما في محل رفع، وإذا كانت الواو للحال فلا يصل.

(٧) فصل بين شطري البيت، لأن الثاني منهما جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فبينهما شبه كمال الاتصال.

(٨) وصل بين جملتي لا، وكفيت، لاختلافهما خبرًا وإنشاءً، وفي الفَصْل إيهام خلاف المقصود، فبينهما كمال الانقطاع مع الإبهام.

(٩) بين جملة أمدكم بما تَعْلمون وجملة أمدكم بأنعام وبَنِينَ وجنَّات وعيون كمال الاتصال؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.

(١٠) ووصل أَبو العتاهية بين الجملتين لأنهما اتفقتا في الخبرية، وبينهما مناسبة تامة، وليس هناك ما يقتضي الفصل.

(١١) كذلك وصل الغَزِّي بين شطري البيت لما تقدم.

(١٢) وفصل أبو العلاء بين شطري البيت، لأن بينهما كمال الانقطاع، إذ الجملتان مختلفتان خبراً وإنشاءً.

(١٣) بين جملة يقولون إني أحمل الضيْمَ وجملة أعوذ بربي أن يضام نظيري شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن الشاعر بعد أن أتى بالشطر الأول من البيت أحس أنْ سائلاً يقول له:

وهل ما يقولونه من أنك تتحمل الضيم صحيح؟، فأجاب بالشطر الثاني.

(١٤) بين جملة: ﴿يسومونَكم سُوء العذاب﴾ وجملة: ﴿يُذبحون أبْناءكم﴾ كمال الاتصال، فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى.

(١٥) فصل الله تعالى بين الجملتين في الآية الكريمة، لأن بينهما كمال الاتصال، فإن الجملة الثانية بيان للأولى.

الأمثلة القرآنية:

(١) إذا اتفقت الجملتان خبراً أو إنشاءً، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣- ١٤].

الأسئلة:

(١) متى يجب الوصل بين الجملتين؟ اكتب بالأمثلة.

(١) اكتب معنى الوصل، واذكر مثالاً له.



الدرس السابع عشر

(١) الْمُسَاوَاةُ

الأمثلةُ:

(١) قال تعالى: ﴿..وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ..﴾[البقرة: ١١٠].

(٢) وقال تعالى: ﴿.. وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ..﴾ [سورة فاطر: ٤٣][١].

(٣) وقال النابغة الذبياني[٢]:

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ واسِعُ[٣]

(٤) وقال طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ[٤]:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهِلاً ... ويأتِيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[٥]

---

[١] يحيق: من قولهم حاق به الشيء إذا أحاط به.

[٢] زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١ / ص: ٩٢).

[٣] المنتأى: موضع البعد وهو اسم مكان من انتأى عنه أي بعد: يخاطب النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ويشبهه في حال سخطه بالليل في أنه يعم كل موطن وذلك لسعة ملك النعمان وبسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد.

[٤] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - (ج ١ / ص: ٣٠١).

[٥] من لم تزود: أي من لم تعطه زادا، والزاد طعام المسافر يقول: إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم ويأتيك بالأخبار من لم توجهه في طلبها.

البحثُ:

يختارُ البليغُ للتعبير عما في نفسه طريقاً من طرق ثلاث، فهو تارة يوجز، وتارة يُسْهبُ، وتارة يأتي بالعبارة بَين بَيْن، على حسب ما تقتضيه حالُ المخاطب ويدعو إليه موْطنُ الباب، نريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث، وسنبدأ بالمساواة لأنها الأول المقيس عليه.

تأمل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعاني، وأنك لو حاولت أن تَزيد فيها لفظًا لجاءت الزيادة فضلاً، أو أردتَ إسْقاط كلمة لكان ذلك إخلالاَ، فالألفاظ في كل مثال مساوية للمعاني، ولذلك يُسَمَّى أداءُ الكلام على هذَا النحو مساواة.

القاعدةُ:

(٣٧) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تَكونَ المعاني بقدرِ الأَلْفَاظِ، والألفاظُ بقَدْر المعاني، لا يَزيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعضٍ.

الدرس الثامن عشر

(٢) الإِيجاز

(١) قال تعالى: ﴿.. أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

(٢) وقال صَلَّى الله عليه وسَلَّم: الضَّعِيفُ أَميرُ الرَّكْب[١].

(٣) وقيل لأعرابي يَسوقُ مالاً[٢] كثيرًا: لِمَنْ هَذا الْمالُ؟ فقالَ: للهِ في يدي.

(٤) وقال تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: ٢٢].

(٥) وقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق/١ـ ٢].

---

[١] الركب: جماعة المسافرين.

قلت: لا أصله بهذا اللفظ انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ـ (ج ١/ ص: ٣٤٣)برقم (٥٨٠) وإنما ذكر في كتب الأدب واللغة:

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ (ج ١/ ص: ١٩١).

ويغني عنه ما أخرجه البخارى برقم(١) حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِىُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِىُّ قَالَ أَخْبَرَنِى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِىُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِىَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ رضى الله عنه ـ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقُولُ «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

[٢] المال: كل ما ملكته، ويطلق عند الأعراب على الإبل.

(٦) وقال تعالى: في حكاية موسى عليه السلام مع ابنتي شُعَيْب[١] :
﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٤ـ٢٦].

البحثُ:

تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجدْ أن ألفاظها في كل مثال على قلتها جمعت معاني كثيرةً متزاحمةً، فالمثال الأَول تضَمَّن كلمتين اسْتَوعبتا جميع الأشياء والشئون على وجْهِ الاستقصاء. حتى لقد رُويَ أَن ابن عمَر رضي الله عنه قرأها فقال: "منْ بقي له شيء فَلْيطلبه"[٢].

والمثال الثاني آية في البلاغة والحسن، فقد جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أن يُعبِّر عنه إلا بالقول المُسْهَب الطويل. وكذلك الحال في المثال الثالث.

وهذا الأسلوب من الكلام يسمَّى إيجازاً. ولما كان مدار الإيجاز هنا على اتساع الألفاظ القليلة للمعاني المتكاثرة والأغراض المتزاحمة، لا على حذف بعض كلمات أَو جمل، سميَ إيجاز قِصَرٍ.

تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد أنها موجَزَةٌ أيضا، وإذا أَردت أن تَعْرف سِرَّ الإيجاز فيها فانظر إلى المثال الأَول تجد أنه قد حُذف منه كلمة إذ تقدير

---

[١] قلت: الصواب من القول أنه رجل صالح كما ذكر القرآن الكريم، وليس النبي شعيب عليه السلام، بل بعده بزمان طويل، ولا عبرة بما ذكر في كتب التفسير أنه النبي شعيب عليه السلام، فمن غير المعقول أن يهلك الله تعالى الكفار في بلده ويبقى المؤمنون ثم يتركون النبي شعيب عليه السلام في حال كبره، ويفعلون به هذا.

[٢] لم أجده.

الكلام فيه وجاءَ أمر ربك، وانظر إلى المثال الثاني تجد أنه حُذف منه جملة هي جواب القسم، إذ تقدير الكلام ﴿ق والقرآن المجيدِ﴾ لَتُبْعثن.

أَما المثال الثالث فالمحذوف فيه جمل عدة، ونَظم الكلام من غير حذف أن يقال: فَذهبَتا إلى أَبيهما، وقصتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، ﴿فجاءته إحْداهما تَمْشي على استحياء﴾.

ولما كان سببُ الإيجاز في هذه الأمثلة هو الحذف سُمِّي إيجاز حذفٍ، ويشترط في هذا النوع من الإيجاز أن يقوم دليلٌ على المحذوف، وإلا كان الحذفُ رديئاً والكلامُ غيرَ مقبول.

القاعدةُ:

(٣٨) الإيجازُ جَمْعُ المعاني الُمتَكاثِرَةِ تَحتَ اللَّفْظِ اَلْقَلِيل مَعَ الإبانةِ وَاَلإفْصَاح، وَهُوَ نوْعَان:

(١) ـ إيجازُ قِصَرٍ، ويكون بتَضمِين العِبارَاتِ اَلْقَصِيرَةِ معاني قَصِيرَةً مِنْ غَيْر حَذْفٍ.

(ب) ـ إيجاز حَذْفٍ، ويَكونُ بحَذْفِ كلِمَةٍ[1] أو جملةٍ أَوْ أَكثْرَ مَعَ قَرينَة تُعَيِّن اَلْمَحْذُوفَ.

نَموذَجٌ

لبيان نوع الإيجاز في العبارات الآتية:

(١) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

(٢) وقال تعالى: ﴿قَالُواْ تَاالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ٨٥].

---

[1] الكلمة المحذوفة إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والاسم المحذوف قد يكون مضافا، أو موصوفا، أو صفة.

(٣) وقال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [سورة النازعات: ٣١].

(٤) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦].

(٥) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة الرعد: ٣١].

(٦) وقال أبو الطيب[1]:

أتَى الزّمَانَ بَنُوهُ في شَبيبَتِهِ ... فَسَرّهُمْ وَأتَيْنَاهُ عَلى الهَرَمِ[2]

(٧) أكلتُ فاكهةً وماءً.

الإجابةُ:

(١) في الآية إيجاز قِصَر، لأن كلمة {الأمن} يدخل تحتها كل أمر محبوب، فقد انْتَفَى بها أن يخافوا فقرًا، أو موتاً، أو جوْرا، أو زوال نعمة، أو غير ذلك من أصناف المكاره.

(٢) في الآية إيجاز حذف، لأن المعنى ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ فحذف حرف النفي.

(٣) في الآية إيجاز قصر، فقد دل الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا ومتاعاً للناس من العُشب والشجر والحطب واللِّباس والنار والماء.

---

[1] تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) - (ج ١/ ص: ٩١).

[2] يقول: إن بني الزمان من الأمم السالفة جاءوا في حداثة الدهر فسرهم، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به.

(٤) في الآية إيجاز حذف، فقد حُذف جوابُ أَمَّا، وأصل الكلام، فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

(٥) في الآية إيجاز بحذف جواب لو، إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن.

(٦) في البيت إيجاز بحذف جملة: والتقدير: أتيناه على الهَرم فساءنَا.

(٧) في العبارة إيجاز حذف جملة، إذ التقدير: وشَرِبْت ماءً.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة فاطر: ٤]، فحذفت الجملة: فتأس واصبر.

(٢) قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [سورة يوسف: ٤٦]، والجملة بكاملها: أرسلون إلى يوسف لأستفسره الرؤيا ففعلوا، فأتاه، وقال له يوسف أيها الصديق.

الدرس التاسع عشر

(٣) الإطنابُ

الأمثلةُ:

(١) قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤][١].

(٢) وقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [سورة نوح: ٢٨].

(٣) وقال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

(٤) وقال عنترة بن شداد في بعض روايات معلقته[٢]:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ، والرِّمَاحُ كأنّها ... أَشْطانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ[٣]

يَدْعُون عَنْتَرَ والسُّيُوفُ كأنها ... لَمْعُ الْبَوَارِقِ في سحَابٍ مُظْلِمِ[٤]

(٥) وقال النابغة الْجَعدِي[٥]:

---

[١] الروح: جبريل عليه السلام.

[٢] منتهى الطلب من أشعار العرب ـ (ج ١/ ص: ٤٧).

[٣] أشطان البئر: حباله، ولبان الأدهم: صدر الفرس.

[٤] ديوان عنترة بن شداد - (ج / ص:).

[٥] هو حسان بن قيس الجعدي، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم فأعجب به وقال له: لا يفضض الله فاك.

أَلا زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بأنِّي ... أَلا كَذَبُوا - كَبِيرُ السنِّ فاني[(١)]

(٦) وقال الحطَيئة[(٢)]:

تَزُورُ فَتًى يُعطِي على الحَمدِ مالَه ... ومنْ يعطِ أثمانَ المَحامِدِ يُحمَدِ

(٧) وقال ابنُ نُباتة السعدي[(٣)]:

لم يُبْقِ جودُكَ لي شيئاً أُؤمّلهُ ... تركتني أصحبُ الدُّنيا بلا أَمَلِ

(٨) وقال ابن المعتز يصف فرساً[(٤)]:

صَبَبْنَا عليْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا ... فطَارَتْ بها أَيْدٍ سِرَاعٌ وأَرجُلُ

البحثُ:

عرفتَ فيما سبق معنى الإيجاز ؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعاً آخر من الأساليب يقابله ويُضادُّه فتزيد فيه الألفاظ على المعاني لغرض بلاغي.

تأمل المثال الأول تجد لفظ " الروح " فيه زائدًا، لأن معناه داخل في عموم اللفظ المذكور قبله نحو الملائكة، وانظر في المثال الثاني تجد أن لفظ " لي ولوالدي " زائد أيضاً، لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنات، وكذلك يشتمل كل مثال من الأمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأتي، وسترى أيضا أنَّ هذه الزيادة لم تجئ عبثًا، وإنما جاءَت لِلطيفة من اللطائف البلاغية التي تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه، وأداءُ الكلام على هذا الوجه يُسمىَّ إطناباً.

ارجع إلى الأمثلة وابحث فيها واحدًا واحدًا تجد طرق الإطناب فيها مختلفة: فطريقه في المثال الأول ذكر الخاص بعد العام، فقد خَص الله سبحانه وتعالى الروح بالذكر وهو جبريل مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريمًا له

---

(١) البديع في نقد الشعر - (ج ١ / ص: ٢٩) والأغاني - (ج ١ / ص: ٤٨٦).

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه - (ج ١ / ص: ١٥٦).

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج ٣/ ص: ٤١١).

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه - (ج ١ / ص: ١٢٧).

وتعظيمًا لشأنه كأنه جنس آخر، ففائدته الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص.

وطريقه في المثال الثاني ذكر العام بعد الخاص، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات، وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك مرة واحدة، ومرة مندرجا تحت العام.

وطريقه في المثال الثالث الإيضاح بعد الإبهام، فإن قوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ "الأمر" وذلك لزيادة التقرير ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل.

وطريقه في بيت عنترة التكرار لتقرير المعنى في نفس السامع وتثبيته، ويظهر هذا الغرض في الخطابة وفي موطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار، وقد يكون التكرار لدواع أخرى منها التحسر كما في قول الحسين بن مطير[1] يرثي معن بن زائدة[2]:

فيا قبرَ معنٍ أنت أولُ حُفْرَةٍ ... من الأرض خُطَّتْ للسماحة مَضْجَعا[3]

ويا قبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جودَهُ ... وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا؟

ومنها طولُ الفصل كما في قول الشاعر[4]:

لَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليَمَانونَ أنَّنِي ... إذا قُلْتُ أَمَّا بعدُ أَنِّي خَطِيبُها[5]

وطريقه في المثال الخامس الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض

---

[1] شاعر عاش في الدولتين الأموية والعباسية، وله مدائح في رجالهما، وكان من أحسن أهل البادية زياً وكلاماً توفي سنة ١٦٩هـ بعد معن زائدة وله رثاء فيه.

[2] زهر الآداب وثمر الألباب - (ج ١/ ص: ٣٣٣).

[3] خطت للسماحة موضعا: أي اتخذت لتكون موضعا للكرم والجود.

[4] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - (ج ١/ ص: ٤٩٧).

[5] اليمانون: المنسوبون إلى اليمن.

يقصد إليه البليغ ، فجملة "ألا كذبوا " قد جاءت في بيت النابغة بين اسم أن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكِبَر ، قد يكون من أغراض الإعراض الإسراع إلى التنزيه ، نحو : إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لطيف بعباده ، وقد يكون للدعاء نحو إني ـ وقاك اللهُ ـ مريضٌ.

وطريقه في المثالين السادس والسابع التذييلُ ، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها تأكيدًا لها ، فإن المعنى في كلا البيتين قدِ تم في الشطر الأول ، ثم ذُيِّل بالشطر الثاني للتوكيد. وإذا تأملت التذييل في المثالين وجدتَ بينهما بعض الخلاف. وذلك أن التذييل في المثال الأول مستقل بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله ، ويقال له : إنه جارٍ مجرَى المثل.

أما في المثال الثاني فهو غير مستقل بمعناه ، إذ لا يفهم الغرضُ منه إلا بمعونة ما قبله ، ويقال لهذا النوع إنه غير جار مجرَى المثل.

تأمل المثل الأخير تجد أننا لو أسقطنا منه كلمة "ظالمين" ، لتوهم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدةً تستحق الضرب ، وهذا خلاف المقصود ، وتسمَّى هذه الزيادة في البيت احتراسًا ، وكذلك كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً.

القَاعدةُ:

(٣٩) الإطنابُ زيادَةُ اللفْظِ عَلَى المَعنَى لفائدةٍ[١] وَيكُونُ بأمور عِدة منْها :

(أ) ـ ذِكْرُ الخَاصِّ بَعْدَ العام لِلتَّنبيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ.

---

[١] فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سميت " تطويلا " إن كانت الزيادة غير متعينة ، و"حشوا " إن كانت متعينة ، فالتطويل كما في قول عنترة بن شداد :

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

والحشو كما في قول زهير بن أبي سلمى :

واعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

(ب) ـ ذِكْرُ العَامِّ بَعدَ الخَاصِّ لإفادَةِ العُمُومِ معَ الْعِنايةِ بشأن الخاصِّ.

(جـ) ـ الإيضاحُ بَعْدَ الإبهامِ، لتقرير الْمَعْنى في ذهن السامِع.

(د) ـ التكرار لِدَاعٍ: كتمكِين الْمَعنَى من النفس، وكالتَّحَسُّر، وكَطُول الْفَصل.

(هـ) ـ الاعْتِرَاضُ، وهُو أنْ يؤْتَى في أثْناءَ الكلاَم أوْ بَيْنَ كلامَيْنِ مُتَّصِلَيْن في المعنى بجُمْلَةٍ أوْ أكثر لا مَحَلَّ لها منَ الإعراب[1].

(و) ـ التَّذْييلُ، وهوَ تعقيبُ الجمل بجمْلَةٍ أخْرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا توْكيدًا لها، وهُوَ قِسْمان:

(١) جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إنِ أَسْتَقَلَّ مَعْناهُ واستغنى عَمَّا قبلَهُ.

(٢) غيْرُ جَارٍ مجرى المَثَلِ إن لَم يَسْتَغنِ عَما قَبلَهُ.

(ز) ـ الاحتراسُ، وَيَكُونُ حِينما يأتي المتكلم بمَعْنى يُمكِنُ أنْ يَدخلَ عَلَيْهِ فيه لَوْم، فَيَفْطِنُ لذلكَ ويأتي بما يُخَلِّصُهُ منْهُ.

نموذجٌ

بين نوع الإطناب فيما يأتي:

(١) قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ❖ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ❖ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٧ـ ٩٩].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ❖ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء/ ٣٤ـ ٣٥].

(٣) وقال أبو الطيب[2]:

---

[1] ويجب أن يكون للبليغ في الاعتراض غرض يرى إليه غير دفع الإيهام، فإن كان الغرض دفع الإيهام كان احتراسا.

[2] شرح ديوان المتنبي - (ج ١/ ص: ٣٣٢). يقول: أحلم عمن يؤذيني ما دام حلمي كرما فإذا كان حلمي جبنا لم أحلم كما قال الفند، وبعض الحلم عند الجهل للذلةِ إذعانُ.

إنّي أُصَاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ   وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ

(٤) وقال النابغة الجعْدي يهجو[١] :

لَو أنّ البَاخلينَ وأنتِ منهمْ   رَأوكِ تعلَّموا منكِ المِطالاَ

(٥) وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوٍّ لكَ إلاّ نَفْسَكَ[٢] .

(٦) وقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ❖ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ❖ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الشعراء : ١٣٢ـ ١٣٥].

الإجابةُ:

(١) في الآية إطناب بالتكرار في معْرض الإنذار لتقرير المعنى في نفوس السامعين.

(٢) في الآية إطناب بالتذييل في موضعين : أولهما قوله تعالى : ﴿أفإن متَّ فهم الخالدون﴾ وهذا تذييل لم يجر مجرى المثل ، والثاني قوله تعالى : ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وهو جار مَجْرَى المثل.

(٣) في البيت إطناب بالاحتراس في موضعين : أولهما في الشطر الأوَّل بذكر وهو بي كرم ، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر وهو بي جُبن.

(٤) في البيت إطناب بالاعتراض. فقد جاءت جملة : وأنت منهم معترضة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذم المخاطَب.

(٥) هنا إطناب بالاحتراس ، لأن نفس الإنسان تجري مجْرى العدو له ، فإنها تدعوه إلى ما يوبقه.

(٦) في الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام ، فإن ذكر الأنعام والبنين توضيح لما أبهم قبل ذلك في قوله : ﴿بما تعلمون﴾.

---

[١] البديع في نقد الشعر ـ (ج ١ / ص : ٢٩).

[٢] محاضرات الأدباء ـ (ج ١ / ص : ١٨٢).

الأمثلة القرآنية:

(١) **الإيضاح:** وهو أن يؤتي في آخر الكلام مفسراً باثنين كقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [سورة الفرقان: ٥٣]. ففي هذه الآية (عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ تفسير) وبيان للمثنى الذي هو البحرين.

(٢) **التكرار:** لغرض كطول الفصل ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]. فالتكرار في الآية لطول الفصل بين طائر ودابة وخبره، وكزيادة الترغيب في العفو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوْهُمْ، وَإِنْ تَعْفُوْا وتَصْفَحُوْا وَتَغْفِرُوْا﴾ (التغابن: ١٤)، فإن تكرار الأمر بالعفو لزيادة الترغيب فيه.

(٣) **الاعتراض:** قال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٧]، فقوله: "سبحانه" جملة معترضة.

(٤) **التذييل:** وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل على أن معناها تأكيدًا كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء: ٨١].

وقال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سورة سبأ: ١٧].

(٥) **الاحتراس:** قال الله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [سورة القصص: ٣٢]

الأسئلة:

(١) عرِّف المساواة، واذكر أمثلتهما.

(٢) ما هي صور التكرار؟ اذكرها بكل تفصيل.

۞۞۞

الدرس العشرون

أثرُ عِلمِ المعاني في بَلاغةِ الكلامِ

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعاني في أمرين اثنين:

الأول: أنه يبين لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ويُريك أنَّ القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي أُلقي عليه، وقديمًا قال العرب: لكلِّ مقامٍ مقالٌ.

فقد يؤكد الخبر أحياناً كما علمت، وقد يُلقى بغير توكيد، على حسب حال السامع مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار. ومناهضة هذا الأصل بلا داعٍ نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة. انظر إلى قوله تعالى في شأن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ❖ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ❖ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ❖ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣-١٦].

فإن الرسل حين أحسُّوا إنكارهم في المرة الأولى اكتفوا بتأكيد الخبر بإن. فقالوا: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾، فلما تزايد إنكارهم وجحودهم قالوا: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ أكدوا بالقسم وإنَّ واللام.

وقد تَخفَى هذه الدقائق على غير أهل اللغة، رُوي أن الكندي[١] ركب إلى أبي العباس المبرِّد[٢] وقال له: "إني أجد في كلام العرب حشواً!"[٣].

فقال أبوالعباس: أين وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولونإن عبد الله قائم"، ثم يقولون "إن عبد الله لقائم" فالألفاظ مكررة والمعنى واحد؛ فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن السؤال، والثالث ردٌ على منكر.

كذلك يوجب علم المعاني أنْ يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من اللغة والأدب فلا يجيز أن يخاطب العاميُّ بما يخاطب به الأديب الملمُّ بلغة العرب وأسرارها.

قال بعضهم لبشار بن بُرد: إنك لتجئ بالشيء الهجين المتفاوت؛ قال: وما ذاك؟ قال: بينما تثير النقع وتخلع القلوب بقولك[٤]:

إِذا ما غَضِبْنا غَضبةً مُضَريَّةً ... هَتكنا حِجَابَ الشَّمْسِ أَو تمطر دَمَا

إِذا ما أَعَرْنا سَيِّداً مِن قَبيلة ... ذُرَا مِنبَر صَلَّى عَلَيْنا وسَلَّما

نراك تقولُ:

ربابةُ ربَّةُ البيْتِ ... تصُبُّ الخلَّ في الزيتِ

لَهَا عشرُ دجاجاتٍ ... ودِيكٌ حسنُ الصَّوْت

---

[١] هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب كان معاصرا للمأمون والمعتصم والمتوكل، وله عندهم منزلة سامية، برع في الطب والفلسفة والمنطق وطبائع الأعداد وعلم النجوم، نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره وحذا في تأليفه حذو أرسطو.

[٢] هو شيخ أهل النحو والعربية، وله التآليف النافعة في الأدب، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر، وتوفي سنة ٢٨٥هـ.

[٣] الجنى الداني في حروف المعاني ـ (ج ١/ ص: ٢١).

[٤] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ (ج ١/ ص: ٣٨).

فقال بشار: لكلٍّ وجْهٌ وموضع، فالقول الأول جدٌّ، والثاني قلتُه في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيْض من السوق، وربابة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهي تجمع لي البيض، فهذا القول عندها أحْسنُ من قفا نَبك مِنْ ذكرى حبيب ومنْزلِ عندك!(١).

وكثيرًا ما تجد الشَّاعر يسْهُلُ أحْياناً ويلين حتى يُشْبه شِعره لغة الخطاب، ويخشُنَ آونةً، ويصلُبَ حتى كأنه يقذفك بالجلمد، كلُّ ذلك على حسب موضوعه الذي يقول فيه والطبقة التي يُنشدها شعرَه. ومن خير الأمثلة لهذا النوع أبونواس، فإنه في خمرياته غيرُه في مدائحه ووصفه.

واعتبر هذا الأصل بما كان من النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لما أراد أن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أسهل الألفاظ وأوضحها فقال:

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ، سَلاَمٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللّهِ فَإِنّي أَنَا رَسُولُ اللّهِ إلَى النّاسِ كَافّةً لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّا وَيَحِقّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ أَسْلِمْ تَسْلَمْ فَإِنْ أَبَيْت فَعَلَيْكَ إثْمُ الْمَجُوسِ(٢).

وحين أراد أن يكتب إلى أُكيدر صاحبِ دومة الجندل فَخَّم الأَلفاظ وأتى بالجزْل النادر فقال(٣):

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ لأُكَيْدِرٍ حِينَ أَجَابَ إلَى الإِسْلاَمِ وَخَلَعَ الأَنْدَادَ وَالأَصْنَامَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللّهِ فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْنَافِهَا، إنّ لَنَا الضّاحِيَةَ مِنْ الضّحْلِ وَالْبَوْرَ وَالْمَعَامِيَ وَأَغْفَالَ

---

(١) الأغاني - (ج ١/ ص: ٢٩٤).

(٢) زاد المعاد - (ج ٣/ ص: ٦٠٠).

(٣) الأموال للقاسم بن سلام - (ج ١/ ص: ٤٦٩).

الأَرْضِ وَالْحَلْقَـةَ وَالسّـلاَحَ وَالْحَـافِرَ وَالْحِصْـنَ وَلَكُـمْ الضّـامِنَةُ مِـنْ النّخْـلِ وَالْمَعِينِ مِنْ الْمَعْمُورِ لاَ تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ وَلاَ تُعَدّ فَارِدَتُكُمْ وَلاَ يُحْظَرُ عَلَيْكُمْ النّبَاتُ تُقِيمُونَ الصّلاَةَ لِوَقْتِهَا، وَتُؤْتُـونَ الزّكَاةَ بِحَقّهَا، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللّهِ وَالْمِيثَاقُ وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصّدْقُ وَالْوَفَاءُ[1].

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً، فما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب: فللإيجاز مواطنه، وللإطناب مواقعه، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول؛ فالذكي الذي تكفيه اللمحة يحسن له الإيجاز، والغبي أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب.

وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كلَ الإيجاز، وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم أسهب وأطنب فمما خاطب به أهل مكة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [سورة الحج: ٧٣].

وقلما تَجدُ خِطاباً لبني إسرائيل إلا وهو مسهب مطول، لأنَّ يهودَ المدينة كانوا يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب فتجاوزوا الحد في المكابرة والعناد،

---

[1] = الضاحية (من النخل): النخلة البارزة الظاهرة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران. = البعل: النخل الراسخة عروقه في الأرض. = البور: الأرض الخراب التي لم تزرع. = المعامي: جمع معمى وهي الأراضي المجهولة. = أغفال الأرض: الأراضي التي لا أثر للعمارة فيها. = الحلقة: بسكون اللام: السلاح عاماً. = الضامنة من النخل: ما كان داخلا في العمارة وأطاف بها سور المدينة.

المعين: الماء الجاري على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير. = لا تعدل سارحتكم. السارحة: الماشية، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده. = لا تعد فاردتكم. الفاردة: الزائدة على الفريضة، يقول: لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب.

وقد يكون القرآن الكريم نزَّلهم منزلة قصار العقول فأطنب في الحديث إليهم، ويشهد لهذا الرأي ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما في أسفارهم.

وللإيجاز مواطن يحسن فيها[١]، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك، وللإطناب مواضع كالتهنئة والصلح بين فريقين والقَصص والخطابة في أمر من الأمور العامة، وللذوق السليم القولُ الفصل في هذه الشئون.

أما الأمر الثاني: الذي يبحث فيه عِلْم المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن فإنه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معنًى، ولكنه قد يؤدي إليك معنى جديدًا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها، فيقول لك: إن الخبر قد يفيد التحسر، والأمر قد يفيد التعجيز، والنهي قد يفيد الدعاء، والاستفهام قد يفيد النفي، إلى غير ذلك مما رأيته مفصَّلاً في هذا الكتاب.

ويقول لك: إن الخبر قد يلقى مؤكدًا لخالي الذهن، وقد يلقَى غير مؤكد للمنكر الجاحد، لغرض بلاغي بديع، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام.

ويرشدك علمُ المعاني إلى أنَ القصر قد ينحو فيه الأديب مناحي شتى، كأن يتجه إلى القصر الإضافي رغبةً في المبالغة، فيقول المتفائل[٢]:

وما الدنيا سِوَى حُلمٍ لذيذ ... تُنَبِّهُهُ تباشِيرُ الصباح

ويقول المتشائم[٣]:

---

[١] مثال على ذلك قوله تعالى عنهم: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (٩٦) سورة البقرة.

[٢] لم أجده إلا في جواهر البلاغة للهاشمي - (ج ١/ ص: ٩).

[٣] لم أجده.

هل الدَّهْرُ إلا ليلَةٌ طال سُهْدُها　　　تَـنفَّسُ عَـنْ يَـوْمٍ أحَـمَّ عصـيـبِ

وقد يكون من مرامي القصر التعريضُ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد: ١٩]، إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم في حكم من لا عقل له.

ويَهديك علم المعاني إلى أن من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقريرَ المعنى وتثبيته في ذهن السامع، كما في الفصل لكمال الاتصال وشبهه.

ولعل في هذه الكلمة الموجزة مَقنعاً في بيان ما لعلم المعاني من الأثر في بلاغة الكلام، ومَا يمدُّه به الناشئ في الأدب من أساليب، وما يرسمُ له من طريق لحسن تأليفها في اختيار الأحوال والمواطن التي تقال فيها.

الأسئلة:

(١) ما هما الأمران اللذان يعتني بهما علم المعاني، لخَّصهما في ضوء الكتاب؟

(٢)

هل الدهر إلاَّ ليلة طال سهدها　　　تنبهـه تباشـير الصـباح

اشرح هذا البيت، واذكر موضع الاستدلال فيه.

✿✿✿

الباب الثالث

علمُ البديعِ

علم البديع دراسة تتناول تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنويِّ، ويسمَّى العلمُ بعلم البديع. وله نوعان: محسِّناتٍ لفظية، محسِّنات معنوية.

الدرس الأول

المحسِّناتُ اللفظيَّةُ

(١) الجناسُ

الأمثلةُ:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الروم: ٥٥].

(٢) وقال الشاعر في رثاء صغير اسمه يَحْيَى:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ ... إلى رَدِّ أمْرِ اللّهِ فِيهِ سَبِيلُ

(٣) وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ❖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩ـ١١].

(٤) وقال ابن الفارض[(١)]:

هَلاَّ نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ ... لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ[(٢)]

(٥) وقالت الخنساءُ من قصيدة تَرثي فيها أخاها صخرًا:

إنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا ... ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ[(٣)]

---

(١) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد، أشعر المتصوفين، أصله من حماة، ومولده. في القاهرة، وله ديوان شعر، وتوفي بمصر سنة ٦٣٢ هـ وقبره معروف يزار.

(٢) النهى: جمع نهية وهي العقل، ويلفى: يوجد.

(٣) الجوى: الحرقة وشدة الوجد، الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب وهى مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر، والواحدة جانحة.

(٦) وقال الله تعالى حكايةً عنْ هَرون يخاطبُ موسى عليهما السلام : ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه : ٩٤].

البحثُ:

تأَمل الأمثلة السابقة تجدْ في كل مثال كلمتين تجانس إحداهما الأخرى وتشاكلها في اللفظ مع اختلاف في المعنى ؛ وإيرادُ الكلام على هذا الوجه يسمَّى جناساً.

ففي المثال الأول من الطائفة الأولى تجد أَن لفظ الساعة مكررٌ مرتين ، وأن معناه مرةً يومُ القيامة ، ومرة إحدى الساعات الزمانية ، وفي المثال الثاني ترى يَحْيى مكررًا مع اختلاف المعنى. واختلافُ كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يُسمَّى جناساً تامًّا.

وإذا تأَمَّلتَ كلَّ كلمتين متجانستين في الطائفة الثانية رأيت أنهما اختلفتا في ركن من أَركان الوفاق الأَربعة المتقدمة ، مثل تقْهرْ وتَنْهَرْ ، ونَهاكَ ونُهَاكَ. والجَوى والْجوانحِ ، وبيْن وبَنى ، على ترتيب الأَمثلة ، ويُسمَّى ما بين كل كلمتين هنا من تجانس جناساً غير تامٍّ.

والجناسُ في مذهب كثير من أهل الأدب غيرُ محبوب ؛ لأَنه يؤدي إلى التعقيد ، ويَحول بين البليغ وانطلاق عِنانه في مضمار المعاني ، اللهم إلا ما جاءَ منه عفوًا وسَمحَ به الطبعُ من غير تكلفٍ.

القاعدةُ:

(١) الجِنَاسُ أَنْ يَتشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعانِ :

(أ) **تَامٌّ**: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ : نَوْعُ الحُروفِ ،

وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.

(ب) **غَيْرُ تَامٍّ**: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ﴾ [سورة النساء١٤٣].

هنا هؤلاء وهؤلاء في معنى مسلمين وكافرين، اللفظان تشابها، لكن اختلف المعنى.

الأسئلة:

(١) عرِّف الجناس، واذكر مثاله.

(٢) اذكر نوعي الجناس بالأمثلة.

الدرس الثاني

(٢) الاِقْتِبَاسُ

الأمثلةُ:

(١) قال عبد المؤمن الأصفهاني[١]:

لا تَغُرَّنَّكَ مِنَ الظَّلَمَةِ كثرةُ الجيوش والأنصار ﴿إنما نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْم تَشْخَصُ[٢] فِيهِ الأبصَارُ﴾[٣]

(٢) وقال ابن سناء[٤] المُلك[٥]:

رَحَلُوا فَلَستُ مُسَائِلاً عَنْ دَارِهِمْ أنَا "بَاخِعٌ نَفْسِي[٦] عَلَى آثَارِهِمْ"[٧]

(٣) وقال أبو جعفر الأندلسي[٨] الغرناطي[٩]:

---

[١] أديب مشهور متصوف وله كتاب يدعى أطباق الذهب رتبه على مائة مقالة عارض بها الزمخشري.

[٢] يقال شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف.

[٣] قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ} (سورة إبراهيم: ٤٢).

[٤] هو القاضي السعيد هبة الله، كان من الرؤساء النبلاء، وكان واسطة العقد في مجالس الشعراء بمصر وهو أول من استكثر من الموشحات وأجاد فيها من المشارقة، وله ديوان شعر، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٨ هـ.

[٥] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - (ج ١/ ص: ٤١١).

[٦] بخع نفسه: قتلها غما.

[٧] قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} (٦) سورة الكهف.

[٨] أديب قوي الإدراك، أجاد في فني النظم والنثر، وجرت له مع لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات، وله ديوان شعر، وتوفي نحو سنة ٧٧٢ هـ.

[٩] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج ٧/ ص: ٣٧٥).

لا تُعـــادِ النَّـــاسَ فِي أَوْطـــانِهِمْ   قَلَّمـا يُرْعـى غَريـبُ الـوَطَنِ[١]

وإذا مـــا شِـــئتَ عَيْشـــاً بيـــنهُمْ   خـالِقِ النَّـاسَ بخُلُـقٍ حَسَـنِ[٢]

البحثُ:

العبارتـانِ اللتـانِ بـينَ الأقـواس في المثـالين الأَولـين مأْخوذتـانِ مـن القـرآن الكريم، والعبارة التي بين قوسين في المثال الثالث من الحديث الشريف، وقد ضمَّن الكاتبُ أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يُصرِّح بأنها من القرآن أو الحديث، وغرضه من هذا التضمين أن يسْتعِيرَ من قوتها قوةً، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه، وهذا النوع يسمَّى اقتباساً، وإذا تأملتَ رأيتَ أن الْمُقْتَبس قد يُغَيِّر قليلاً في الآثار التي يقْتَبِسُها كالمثال الثاني إذ الآية: ﴿فلعلَّكَ باخِعٌ نَفْسكَ على آثارهِمْ﴾.

القواعدُ:

(٢) الاقْتِباسُ: تَضْمِينُ النَّثْر أو الشِّعر شَيْئاً مِنَ الْقُرآن الكريم أو الحديثِ الشريفِ مِنْ غَيْر دلالةٍ عَلَى أَنَّهُ منهما، ويَجُوز أنْ يُغَيِّرَ في الأَثَر الْمُقْتَبس قَليلاً.

الأسئلة:

(١) عرِّف الاقتباس، واذكر مثاله.

(٢) ترجم البيت الآتي واذكر موضع الاستدلال فيه.

رحلوا فلستُ مسائلاً عن دارهم   أنــا بــاخع نفســي علــى آثــارهم

---

[١] يرعى غريب الوطن: أي يلحظ بالإحسان.

[٢] أخرجه الترمذى برقم(٢١١٥) عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» وهو حديث صحيح.

الدرس الثالث

(٣) السَّجْعُ[1]

الأمثلةُ:

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2].

---

[1] السجع هو موالاة الكلام على وزن واحد، وردّ القاضي أبو بكر الباقلاني على من أثبت السجع في القرآن فقال: (وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز، وكيف؟ والسجع مما كانت كهّان العرب تألفه، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تخالف النبوّات بخلاف الشعر، وما توهّموا أنه سجع باطل، لأنّ مجيئه على صورته لايقتضي كونه هو، لأنّ السجعَ من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي بالسجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن، لأنّ اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى، وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي إلى المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ).

والذي أراه أنّه إذا كان المراد بالسجع مراعاة موالاة الكلام على وزن واحد دون مراعاة المعنى فإن هذا تكلف ممقوت في كلام فضلاً عن كلام الله. أمّا إذا روعيت المعاني وجاء الاتفاق في الوزن تابعاً لها دون تكلف فهذا ضرب من ضروب البلاغة، قد يأتي في القرآن كما يأتي في غيره، وإذا سمينا هذا في القرآن بالفواصل دون السجع فذلك لتلافى إطلاق السجع على القرآن بالمعنى الأول (مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان).

[2] أخرجه البخارى برقم(١٤٤٢).

(٢) وقال أعرابيٌّ ذَهَبَ بابنه السَّيْل: «اللهُمَّ إنْ كنْتَ قَدْ أبْلَيْتَ، فَإنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ»[١].

(٣) الحُرُّ إذَا وَعَدَ وَفَى، وإِذَا أعَانَ كَفَى، وإِذَا مَلَكَ عَفَا.

البحثُ:

إذا تأملت المثالين الأولين وجدت كلاًّ منهما مركباً من فِقْرتَين متحدتين في الحرف الأَخير، وإذا تأَملت المثال الثالث وجدته مركباً من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأَخير أيضاً، ويسمَّى هذا النوع من الكلام سجعا[٢]. وتسمَّى الكلمة الأخيرة منْ كل فقرة فاصلةً، وتُسكَّن الفاصلةُ دائماً في النثر للوقف.

وأَفضلُ السجع ما تساوت فِقَرُه، ولا يحسنُ السجعُ إلا إذا كان رصين التركيب، سليماً من التكلف، خالياً منَ التكرار في غير فائدة. كما رأَيت في الأمثلة.

القاعدةُ:

(٣) السَّجْعُ: توَافُقُ الْفَاصِلَتَيْن في الْحَرْفِ الأخِير[٣]، وأَفْضَلهُ ما تسَاوَتْ فِقَرُهُ.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية: ٢٥ـ ٢٦].

(٢) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣ـ ١٤].

الأسئلة:

(١) ما هو السجع؟ واذكر بالمثال.

---

[١] صبح الأعشى - (ج ١/ ص: ٢٩٧).

[٢] تشبيهًا له بسجع الحمامة إذا هدرت.

[٣] السجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر كقول أبي الطيب:

فنحن في جذل والروم في وجل ... والبر في شغل والبحر في خجل

الدرس الرابع
المحسناتُ المعنويةُ
(١) التوريةُ

الأمثلةُ:

(١) قال سِرَاجُ الدين الوَرَّاق[١] :

أصُـونُ أديـمَ وجهـي عَـن أُنَـاس ... لقـاءُ المـوتِ عِنْـدهُم الأديـبُ

وَرَبُّ الشـعر عنـدهُمُ بَغِـيضٌ ... وَلَـوْ وَافَـى بـهِ لَهُـمُ "حبَيـبُ"

(٢) وقال نَصِيرُ الدين الحَمَّامي[٢] :

أبْيَـاتُ شِـعْرك كالقُصـ ... ـور ولا قُصُـورَ بهَـا يَعـوقْ[٣]

ومِـنَ العجَائـبِ لَفْظُهـا ... حُـرٌّ ومعناهـا "رَقيـقْ"

(٣) وقال الشَّابُّ الظريف[٤] :

تَبَسَّمَ ثغْرُ اللوز عَنْ طِيبِ نَشْرِهِ ... وأَقْبَلَ فِي حُسْنٍ يَجِلُّ عن الوَصْفِ[٥]

---

[١] شاعر مصري رقيق، برع في التورية وغيرها من أنواع البديع، وله شعر كثير جيد، ولد سنة ٦١٥ هـ ومات سنة ٦٩٥ هـ.

[٢] كان يحترف باكتراء الحمامات بمصر، فلما كبرت سنه اقتصر على الاستجداء بالشعر، وشعره يدل على نبوغ وعبقرية، مات سنة ٧١٢هـ.

[٣] يعوق: أي يمنع من إدراك جمالها.

[٤] هو شمس الدين بن العفيف التلمساني، كان نابغة عصره، وقد فتن بشعره لرقته وجماله الفني، ولد سنة ٦٦٢هـ ومات سنة ٦٨٧ هـ فكانت حياته خمساً وعشرين سنة.

[٥] تاج العروس - (ج ١/ ص: ٦٠٧٢).

هَلُمُّـوا إِليـه بَـينَ قَصْـفٍ ولَـذَّةٍ فإِنَّ غصونَ الزَّهْر تَصْلُحُ "للقَصْفِ"

البحثُ:

كلمة حَبِيبٍ في المثال الأول لها معنيان: أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهنْ بسبب التمهيد له بكلمة بغيض، والثاني اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيبُ بنُ أَوْس، وهذا المعنى بعيد. وقد أَراده الشاعر ولكنه تَلطف، فَورَّى عنه وستره بالمعنى القريب. وكلمة رقيق في المثال الثاني لها معنيان: الأول قريب متبادر وهو العبد المملوك، وسببُ تبادُره إلى الذهن ما سبقه من كلمة حُرّ، والثاني بعيد وهو اللطيف السهل. وهذا هو الذي يريده الشاعر بعد أَن ستَره في ظل المعنى القريب. وكلمة القَصْفِ في المثال الثالث معناها القريب الكسْر، بدليل تمهيده لهذا المعنى بقوله: فإِنَّ غصون الزهر ومعناها البعيد اللعب واللهو، وهذا هو المعنى الذي قصد إليه الشاعر بعد أَن احتال في إخفائه، ويسمَّى هذا النوع من البديع تورية، وهو فنٌّ بَرِعَ فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأَتوْا فيه بالعجيب الرائع الذي يدلُّ على صفاءَ الطبع والقدرة على اللعب بأَساليب الكلام.

القاعدةُ:

(٤) التَّوْرِيَةُ: أَنْ يَذْكُرَ المتكلِّمُ لَفْظاً مُفْردًا له مَعْنَيانِ، قَرِيبٌ ظاهِر غَيْرُ مُرَادٍ، وَبَعيدٌ خَفِيٌّ هُوَ المُرادُ.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام: ٦٠]، ما جرحتم له معنيان: قريب: ما كتبتم، ، وبعيد: ما ارتكبتم.

الأمثلة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة

الذاريات : ٤٧].

أيدٍ جمعُ يَدٍ: لها معنيان: القوة والعضو.

الأسئلة:

(١) عرف التورية، واذكر مثاله من القرآن.

(٢) اشرح هذه الشطر من البيت:

ولو وافى به لهم حبيب



الدرس الخامس

(٢) الطِّباق

الأمثلة:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ..﴾ [سورة الكهف: ١٨][١].

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائمة[٢].

(٢) وقال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ..﴾ [سورة النساء: ١٠٨].

(٤) وقال السموءَل:

وتُنكِرُ إن شِئنا على النّاسِ قولَهم ... ولا يُنكِرونَ القولَ حينَ نَقولُ[٣]

البحثُ:

إذا تأملت الأمثلةَ المتقدمةَ، وجدت كلاً منها مشتملاً على شيءٍ وضده، فالمثال الأول مشتمل على الكلمتين: أيقاظاً ورقود، والمثال الثاني مشتمل على الكلمتين: ساهر ونائمة.

أما المثالان الأَخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة، أَحدهما إيجابي والآخر سَلبي، وباختلافهما في الإيجاب والسلب صارا ضدين، ويسمَّى الجمع بين الشيءِ وضده في الأَمثلة المتقدّمة وأَشباهها

---

[١] أيقاظاً: جمع يقظ ككتف، ورقود: نيام، جمع راقد.

[٢] يعنى أن خير المال عين ماء ينام صاحبها وهي تظل فائضة تسقى له أرضه.

[٣] معنى الشطر الثاني أنهم لشد بأسهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم ما يقولون.

طباقاً، غير أنه في المثالين الأَولين يدعَى طباق الإيجاب وفي المثالين الأخيرين يدعَى طباق السلب.

القَاعدةُ:

(٥) الطِّباقُ: الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وضِدّه في الكلام، وهوَ نَوْعان:

(أ) طِبَاقُ الإيجاب: وَهُو ما لَمْ يَختَلِفْ فِيهِ الضدَّان إيجَاباً وَسَلْباً.

(ب) طِباَقُ السَّلبِ: وَهُو ما اخْتَلَف فِيه الضِّدان إيجَاباً وسَلْباً.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦].

(٢) قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [سورة التوبة: ٨٢].

الأسئلة:

(١) اذكر تعريف الطباق ومثاله.

(٢) اذكر طباق الإيجاب وطباق السلب بالأمثلة.

الدرس السادس

(٣) المقابلةُ

الأمثلةُ:

(١) قال صلى الله عليه وسلم للأنصار: إِنكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ.

(٢) وقال خالد بنُ صَفْوَانَ يَصِفُ رَجُلاً: لَيْسَ له صديقٌ في السِّر، وَلا عَدُوٌّ في الْعلانِيَةِ.

(٣) قال بعضُ الخلفاء: مَنْ أَقْعَدَتْه نِكايَةُ اللِّئام، أَقَامَتهُ إعانةُ الكِرام.

(٤) وقال عبد الملك بن مَرْوان[١]: مَا حَمِدْتُ نَفْسي عَلَى محبوب ابتدأْتُه بعَجْزٍ، ولا لُمْتهَا عَلَى مكروه ابتدأْتُه بحزم[٢].

البحثُ:

إذا تأملت مثاليْ الطائفة الأولى وجدتَ كل مثال منهما يشتمل في صدره على معنيين، ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي المثال

---

[١] خليفة من أعاظم خلفاء بني أمية ودهاتها، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان واسع العلم والمعرفة، توفى سنة ٨٦ هـ.

[٢] قلت: نسبه كثيرون لابنه مسلمة ولفظه: ما فرحت بظفرٍ ابتدأته بعجزٍ، ولا ندمت على مكروه ابتدأته بحزم.

الفخري في الآداب السلطانية - (ج ١/ ص:١٨).

الأَول بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم[1] صِفتين من صفات الأَنصار في صدر الكلام، وهما الكثرة والفزع، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب، وفي المثال الثاني قابل خالد بن صفوان الصديق والسرّ بالعدو والعلانية.

انظر مثالي الطائفة الثانية تجد كلاًّ منهما مشتملاً في صدره على أكثر من معنيين، ومشتملاً في العجز على ما يقابل ذلك في الترتيب، وأداءُ الكلام على هذا النحو يسمَّى مقابلةً.

والمقابلةُ في الكلام من أَسباب حسنه وإيضاح معانيه، على شرط أَن تتاح للمتكلم عفوًا، وأَما إِذا تكلفها وجرى وراءها، فإنها تعتقل المعاني وتحسبها، وتحرم الكلام رونق السلاسة والسهولة.

القاعدةُ:

(٦) الْمُقَابَلَة أنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْن أوْ أَكْثَرَ، ثم يُؤْتَى بمَا يُقَابلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرتِيب.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة ٢].

هناك جملتان: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ و﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، الأولى في مقابل الثانية.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة هود: ١٠٧].

هناك أيضاً جملتان: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ الأولى في مقابل الثانية.

الأسئلة:

(١) عرِّف المقابلة واذكر مثالها.

---

[1] قلت: لا تصح نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم.

الدرس السابع

(٤) حُسْنُ التعليلِ

الأمثلةُ:

(١) قال المعري في الرثاء[١]:

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطمِ[٢]

(٢) وقال ابن الروميِّ:

أَما ذُكاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ إلا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ

(٣) وقال الصلاح الأربلي، معلِّلاً عدم نزول المطر بأرضِ مصر غالباً:

ما قصرَ الغَيْثُ عنْ مصرَ وتربْتها طبعاً ولكنْ تعدَّاكم منَ الخَجَلِ

البحثُ:

يرْثي أبو العلاء في البيت الأَول، ويبالغ في أن الحزن على المرثي شَمِل كثيرًا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعي أَن كلفةَ البدر وهي ما يظهر على وجهه من كدْرة، ليست ناشئةً عن سبب طبيعي، وإِنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثي.

ويرىَ ابن الرومي في البيت الثاني أَنَّ الشمس، لم تَصفَرَّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء، ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح، وينكر الشاعر في البيت الثالث الأسباب الطبيعية لقلة المطر

---

[١] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - (ج ١/ ص: ٢٨١).

[٢] الكلفة: كدرة تعلو الوجه.

بمصر، ويتلمس لذلك سبباً آخر هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح وجوده، لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

فأنت ترى في كل مثال من الأَمثلة السابقة أنَّ الشاعر أنكر سبب الشيء المعروف والتجأ إلى علة ابتكرها، تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ويسمَّى هذا الأُسلوب من الكلام حسن التعليل.

القاعدةُ:

(٧) حُسنُ التَّعْلِيل: أنْ يُنْكِرَ الأَديبُ صَرَاحَةً أوْ ضِمْناً عِلَّةَ الشَّيْءِ الْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتي بعلَّةٍ أَدَبيَّةٍ طَرِيفَةٍ تُنَاسِبُ الغَرَضَ الَّذِي يَقْصِدُ إِلَيْهِ

الأمثلةُ القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ﴾ [سورة طه: ٤٠].

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة النحل: ٧٠].

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة ألأحزاب: ٤٠].

الأسئلةُ:

(١) ما هو حسن التعليل؟

(٢) اشرح البيت الآتي:

وما كلفة البدر المنير قديمة ... ولكنها في وجهه أثر اللطم



الدرس الثامن

(٥و٦) تأكيدُ المدحِ بما يُشْبهُ الذَّمَّ وعَكسُهُ[١]

الأمثلةُ:

(١) قال ابن الروميِّ[٢]:

لـيسَ بــه عيــبٌ سِــوَى أَنَّــهُ   لا تَقَــعُ العَــيْنُ علــى شــبههِ

(٢) وقال آخر[٣]:

ولا عَيْـبَ فِي معـروفِهِمْ غـيرَ أنَّـهُ   يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكرينَ عن الشُّكْرِ

(٣) وقال صلى الله عله يسلم: أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي من قُرَيْشٍ[٤].

(٤) وقال النابغة الجَعْدِي[٥]:

فَتًـى كَمَلَـتْ أَخلاقُـهُ غـيرَ أنّـه   جـوادٌ فمـا يُبقـي مـنَ المـالِ باقِيـا

البحثُ:

لا أظنـك تـتردد في أن الأمثلـة السـابقة جميعهـا تفيـد المـدح، ولكنهـا وُضعت في أُسلوب غريب لم تَعْهَدْه، ولذلك نرى أن نشرحه لك.

---

[١] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر - (ج ١/ ص: ١٣).

[٢] العمدة في محاسن الشعر وآدابه - (ج ١/ ص: ١٢٦).

[٣] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - (ج ١/ ص: ٢٨٤).

[٤] هذا الحديث لا أصل له كشف الخفاء برقم (٦٠٩). لا يصح نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان معناه صحيحاً.

[٥] شرح ديوان المتنبي - (ج ١/ ص: ٢٨٩).

صدَّر ابن الرومي في المثال الأول كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأَداة استثناء هي "سوى"، فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيباً في الممدوح، وأن ابن الرومي سيكون جريئاً في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أَن وجد بعد أَداة الاستثناء صفةَ مدح، فراعه هذا الأسلوب، ووجد أن ابن الرومي خدعه فلم يذكر عيباً، بل أكّد المدح الأول في صورة توهم الذم، ومثل ذلك يقال في المثال الثاني.

انظر إلى المثال الثالث تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بصفة ممدوحة وهي أنه أفصح العرب، ولكنه أتى بعدها بأَداة استثناء، فدهِش السامع: وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم، سيذكر بعدها صفةً غير محبوبة. ولكن سرْعان ما هدأَت نفسه حين وجد صفة ممدوحة بعد أَداة الاستثناء، وهي أَنه من قريش، وقريش أَفصح العرب غير منازَعين. فكان ذلك توكيدًا للمدح الأول في أُسلوب، أَلِف الناسُ سماعه في الذّم، وكذلك يقال في المثال الأَخير. ويسمَّى هذا الأسلوب في جميع الأمثلة المتقدمة وما جاءَ على شاكلتها تأكيد المدح بما يشبه الذّمَّ.

وهناك أسلوبٌ لتوكيد الذمِّ بما يشبه المدح وهو كالأسلوب السابق، له صورتان: فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شِحاحٌ إلا أَنهم جُبناء.

القواعدُ:

(٨) تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بما يُشْبهُ الذمّ ضربان:

(أ) أنْ يُسْتَثنَى مِنْ صِفَة ذَم مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ

(ب) أَن يُثْبَتَ لِشَيءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤتَى بَعْدَها بأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ مَدْح أخْرَى[1].

---

[1] ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك.

(٧٦) تأْكِيدُ الذَّمّ بما يُشْبهُ المدحَ ضربان :

(أ) أن يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ ذَمٍّ.

(ب) أنْ يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ ذَمٍّ، ثُمَّ يُؤْتَى بَعْدهَا بأَدَاةِ اسْتِثْناءٍ تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا ❖ إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا﴾ [سورة الواقعة: ٢٥ـ ٢٦].

(٢) قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٩].

(٣) قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [سورة الحج: ٤٠].

الأسئلة:

١ـ عرِّف تأكيد المدح بما يشبه الذم، واذكر مثاله.

٢ـ اذكر تعريف الذم بما يشبه المدح، واذكر مثاله؟

الدرس التاسع

(٧) أُسلوبُ الحكيمِ

الأمثلةُ:

(١) قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ..﴾ [البقرة: ١٨٩].

(٢) وقال ابن حجاج[١]:

قُلْتُ ثَقَّلْتُ إذْ أَتَيْتُ مراراً ... قالَ ثَقَّلْتَ كاهِلِي بالأَيادِي[٢]

قال طَوَّلْت، قلتُ: أو ليت طولاً ... قال أبرمت قلتُ: حبل ودادي[٣]

البحثُ:

قد يخاطبكَ إنسانٌ أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلا إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة منها أن السائل أعجزُ من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يجْمُل به أن ينْصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف محدثك في الرأي ولا تريد أن تجبه برأيك فيه، وفي

---

[١] هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي، شاعر فكه مقتدر على المعاني التي يديرها، كثير الهزل والفحش في شعره، وله ديوان شعر كبير، توفى سنة ٣٩١ هـ. قلت: هما في نهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ٢/ ص: ٣١٧).

[٢] الكاهل: ما بين الكتفين.

[٣] طولت: أطلت الإقامة، والطول: التفضل والإحسان، أبرمت من معانيها: أمللت، ومن معانيها أحكمت فتل الحبل.

تلك الحال وأمثالها تَصرفه في شيءٍ من اللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى.

اُنظر إلى المثال الأول تجد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه يسلم سألوه عن الأَهلة، لِمَ تبْدو صغيرةً ثمْ تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة فَصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائِل للتوْقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأَولى بهم أن يسألوه عن هذا: وإِلى أَنَّ البحث في العلوم يجب أن يُرْجأَ قليلاً حتى تتوطد الدول وتَسْتَقِرَّ صخرةُ الإِسلام.

وصاحبُ ابن حجاج في المثال الثاني يقول له: قد ثقَّلْتُ عليك بكثرة زياراتي فيصرفه عن رأيه في أدب وظُرْف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر. ويقول له: إنك ثقَّلتَ كاهلي مما أَغدقت عليَّ من نِعم، ومثل ذلك يقال في البيت الثاني، وهذا النوع من البديع يسمَّى: أُسلوبَ الحكيم.

القاعدةُ:

(٩) أُسْلوبُ الحكيم تَلَقِّي الْمُخَاطَبِ بغِير ما يَتَرَقَّبُهُ، إمَّا بتَرْكِ سؤالِهِ والإجابةِ عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإمَّا بحَمْلِ كلامِهِ عَلَى غير ما كانَ يَقْصِدُ، إشارَةً إلى أَنَّهُ كان يَنْبَغي له أَن يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى.

الأمثلة القرآنية:

(١) قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾ [سورة طه: ١٠٥-١٠٧].

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف: ٨٣].

الأسئلةُ:

(١) ما هو أُسْلوبُ الحكيمِ؟ واذكر مثاله من القرآن.

۞۞۞

فهرس الكتاب

الباب الثاني: علم المعاني